http://montadaali.ahlamontada.com

خليل عبد الكريم

العرب والمرأة

حفرية في الإسطير المخيم

سينا للنشر

مؤسسة الانتشار العربي

Arab Diffusion Company (UK) Ltd

خليل عبد الكريم

العرب والمرأة

حفرية في الإسطير المخيم

THE ARABS CONCEPT OF WOMEN

BY

KHALIL ABDUL KARIM

سينا للنشر
CAIRO - EGYPT

الانتشار العربي
LONDON - BEIRUT

Email: healthyliving@t-net.com.lb
P.o.box: 113/5752- Beirut

الطبعة الاولى ١٩٩٨

First Published in 1998

All rights reserved.
No part of this publication may be
reporduced, strored in a retrieval system,
or transmitted in any form or by any means,
electronic, mecanical, photocopying,
recording or otherwise,
without prior permission in writting of the publishers

المحتويات

توطئة ٧

تمهيد ١١

مقدمة ١٩

الباب الأول

المرأة والناقة ٣١

الباب الثاني

المرأة ـ الفرسة ٦٧

الباب الثالث

المرأة ومظاهر الطبيعة ٩٩

الباب الرابع

١ ـ النظرة الغليظة والحركة العنيفة ١٩٣

٢ ـ النظرة الغليظة ١٩٧

٣ ـ الحركة العنيفة أو الفعل الجافي ٢٢١

الخاتمة ٢٣١
المصادر والمراجع ٢٤٣

HAMDAN . B
03/07/09

توطئة

بعيداً عن (الإسلاميات) وما يحفّ بها من محاذير ومحظورات وما يحايثها من مساجلات ومواجهات ومجابهات ترجع في المقال الأول لـعَيْمة (الـعَيْمة = الإفراط في الشهوة) مرازبتها وسدنتها للتجمد والجمود والنفور من أي تجديد وخاصة في المنهج، وعَلَثِهم (خَلْطهم) لكثير من فروعها بقداسات زيوف وهالات مصطنعة وذلك تثبيتاً لمصالحهم وتحقيقاً لمكاسبهم وتوثيقاً لمكانتهم التي غدت في هذه الأيام لأسباب كثيرة ليس هذا موضع بسطها أو إيجازها ـ غليظة جَرِنِمَة (عظيمة الجِرْم) مِجْبَال (نسبة إلى الجبل) بعد أن كانت منذ عقود قريبة ضاوية مهزولة، ضامرة.

ورغبة في التنويع، ربما للاستجمام تأهباً لجولة إسلامية جديدة أو لارتياد ميدان فسيح وأرض خصبة فإننا في هذه المرة يهمنا شطر اللغة (اللسان) نرتع في قواميسها ونخُب ونضع بدروب معاجمها ونقترب ولو حتى من المياه الوَشِلة لشطئان محيطاتها...

والدراسة لها واجهة برّاقة ومظهر خلاب وسطح خَبّ وبَشْرَة خدّاعة إذ توحي أنها بحث لُغوي صِرْف (= غير ممزوج) والحال على خلافه إذ إن النسيج اللساني مجرد وسيلة وإن شئت قلت إنه عَبَارة (أداة العُبُور) فحسب إلى لُبّ الموضوع وهو الكشف عن الذهنية الثقافية لأصحاب

ذلك اللسان والمستوى الحضاري والأهم البنية النفسية إزاء مسألة على درجة قصوى من الخطورة والخطر (القدر) هي: النظرة إلى جسد المرأة. وفي الحق هذا تبسيط مُخِلّ أو هو اختزال مبالغ فيه لا يفي بالمطلوب ولا يحقق القصد ولا يصيب الهدف إصابة وافية شافية لأن النظرة إلى الجسد هي جزء من كل أو هي شطر من مجموع أو شظية من فرع شجرة. لأننا نعتقد أن تلك النظرة (إلى جسد المرأة) تشي برؤيتها ككل = جسدها، روحها، نفسها طريقة التعامل معها، كيفية التماس بها، أو التماهي فيها وإن شئت الدقة وابتغيت الأصح: تماهيها هي في الرجل بعلها وسيدها...

تقريبها أو النفور منها استملاحها، وكراهيتها، مقارنتها بالمظاهر الطبيعية سواء المتحركة مثل: الحيوانات والطيور والهوامّ والريح والنبات (إلى حد ما).

والساكنة مثل: الجبال والأرض والرمال... الخ.

وكيف أنهم جعلوا هذه المظاهر هي الأصل والمرأة هي الفرع ومعلوم أن الفرع يقاس على الأصل عند اتحاد العلة.

ومن ثم فإن الصفات الحسنة في المظاهر الطبيعية تُضْفي على المرأة القسيمة الوسيمة الوضيئة أما النعوت الكريهة فإنها تغدو من نصيب المرأة القبيحة الدميمة الـجَشُوْب (الخشنة مع قِصَرِيَنّ).

وإذ إن الناطقين بهذه اللغة كانوا يعاشرون الناقة والفرس ويعايشونهما معايشة كاملة، بل إنهم كانوا يعتمدون في حياتهم عليها اعتماداً شبه كلي فإنهم نظروا إلى المرأة من ذات المنظور الذي كانوا يرونهما به، فكلما كانت المرأة قريبة الشبه بالناقة السمينة الكِنَاز (الكثيرة اللحم الصُلبة) غدت حبيبة إلى نفوسهم وإذ إن الفرس السَّهَاء (العظيمة العجيزة) والهَرْكُوْلَة (الضخمة الأوراك) هي الأثيرة لديهم فكذا المرأة إذا كانت رَدَاحاً (ثقيلة العَجُز)...

ورَبْلة (ضخمة الرَبَلات والرَبْلة هي باطن الفخذ) فهي ملكة الجمال في مذهبهم، وإذ إن غذاءهم الرئيسي هو لبن الناقة... فكثرة دَرِّها له من

البديهي أن تصير نعمة سابغة ولا تعتبر كذلك إلاّ إذا كانت عظيمة الأخلاف (الضُرُوع) وبالمثل فإذا رُزِقَت المرأة بثديين كبيرين أضحى ذلك نعتاً هاماً من نعوت حسنها فهي ثَدْيَاء وجَبَأى (قائمة الثديين) وثدياها يَنفُجَان (يرفعان) قميصها من أمام تماماً مثلما أن عجيزتها أو حقيبتها الثقيلة تَنفُجه (ترفعه) من خلف والذي يظفر منهم بـ (ذات النَفْجَتَيْن) فكأنما حِيزَت له الدنيا بحذافيرها ويغبطه أترابه وأنداده وخلانه عليها، كيف لا وقد تملكت شارتَيّ الجمال مُقْبِلة ومُدْبِرَة، ويعلل العربي هيامه الشديد بالمرأة الـخَنْضَرف (كبيرة الثديين) بأنها تدفيء الضجيع وتشبع الرضيع.

* * *

وإذ إن أصحاب اللسان العربي درجوا على ركوب البعير والخيل والتعامل معهما كما يتعامل الإنسان الـمُتَبَدّى مع الحيوان فإنهم قد أطلقوا على فعل تماسهم بالمرأة أسماء تنطلق من ذات الأرضية فهو: الاعتلاء والامتطاء والدَرْس (دَرَس الناقة: راضها) والحتأ (حَتَأ شكيمة الفرس: شَدَّها وأحكمها) والهَرج (هَرَج الرجل بفرسه= جرى به وهَرَج الفرس: عدا يعدو) واللَّخب (لَخَب بعيره لطمه ليسير) والـجَخْجَخَة وهي سرعة إناخة البعير والشَطْأ و(أصله شَطَأ البعير بِحِمْلِه= أثقله) والـحَزْأ (حَزَأ الإبل= جمعها وساقها).

والـمَغج (مَغَج الفصيل ضَرْع أمه = لَهَزَه وفتح فاه من نواحيه ليستمكن منه).

والوَظْب (وَظَب ناقته أو فرسه لزمها وتعهدها).

والأَزّ (وأصل الأَزّ: الـحَلْب الشديد للناقة).

الخَفَق (خَفَق الفارس فرسه ضربه بالدَرَّة أو السوط) ومثله الشَلْق (وزناً ومعنى).

والـمَلْق (مَلَق الفصيل ضرع أمه = رضع)... الخ.

كذلك تأثروا بمظاهر الطبيعة الأخرى بذات القدر فنقلوا منها العديد من الأسماء لفعل ملامسة المرأة فعلى سبيل المثال:

الكَشح والتَكْشِيح (وأصله التقشير بالفأس) والـمَطْح (امتطح الوادي: ارتفع وكثر ماؤه) والفَقْم (فَقَم السيل الوادي = ملأه بالماء) والبَخح وهو صوت أو هدير السيل في الوادي) والـمَشْق (مَشَق الرجلُ الكتان: جذبه في ممشقته حتي يخلص خالصه لتبقى مِشَاقَتُه) والنَجْر (فلان نَجَر من الماء = امتلا منه فكَظَّه ومع ذلك يشتهيه)... الخ.

وسوف يأتي ذلك بتوسع في الفصول القوادم ونكتفي بهذا القدر اللازم للتدليل على ما ذهبنا إليه وهو أن نظرة أصحاب اللسان العربي تأثرت كلية بمظاهر الطبيعة كافة حولهم حتى أنها انطبعت بها وحملت بصماتها عندما وَجَّهوا باصرتهم نحو جسد المرأة أو تعاملوا معه؛ والقارىء المتمعن لتلك النظرة سيزن بدقة ما ذكرناه فيما سلف عن الذهنية الثقافية والمستوى الحضاري والبنية النفسية لديهم.

تمهيد

في هذه الدراسة اعتمدنا على المعاجم والقاموس وكتب مفردات اللغة والصحاح والجواهر ما إليها وأعرضنا عن دواوين الشعراء مع أنها تنضوي على كم هائل من المادة المبحوثة أو المدروسة...

لماذا؟

لأنه من ناحية قد يقال دفعاً لوجهة النظر التي تحملها (= الدراسة) والتي جَهِدَت جَهْدَها البالغ لتقديم أدلة الثبوت عليها أن الصور التي يعرضها الشعراء في قصائدهم ومعلقاتهم... الخ، محض خيال مجرد وهم أو على الأقل هي أماني عششت في أدمغتهم أو نماذج مثالية لم يجدها الشعراء في الواقع فأودعوها أبياتهم خاصة أنه معروف عنهم سعة التخيّل والشطح في التوهم وقد أشار القرآن إلى ذلك أو إلى شيء قريب منه في حقهـم ووصفهـم أنهم في كل وادٍ يهيمون وأن قولهم لا يطابق فعلهم...

أي أن الصور الشعرية التي يرسمونها في أشعارهم لا تعبر عن الحقيقة أو تخبر عن الواقع وهنا نتذكر ما قاله العميد د .طه حسين في كتابه المتميز (في الشعر الجاهلي):

(ذلك أني لا أنكر الحياة الجاهلية وإنما أنكر أن يمثلها هذا الشعر الذي

يسمونه الشعر الجاهلي فلست أسلك بها طريق امرىء القيس والنابغة وزهير والأعشى...)[١].

كذلك وبالمثل فإننا لا نستطيع أن نؤسس دعوانا هذه على صورة المرأة كما وردت في أشعارهم ومن جاء بعدهم مثل عمر بن أبي ربيعة والأحوص والعرجي وعبد الله بن قيس وجرير والفرزدق والأخطل وغيرهم... وقد يعترض معترض فيقول إن طه حسين رفض تمثيل الشعر الجاهلي للحياة الجاهلية لأنه منحول ولم يدّعِ أحد أن شعر من ذكرت (أبي ربيعة وأضرابه) منحول؟

والرد على هذا: أن العميد لم يجزم بانتحال الشعر الجاهلي جميعه ولكنه أجاز بعضاً منه ولو أنه قليل فعلى سبيل المثال الذي نكتفي به لأننا لسنا بصدد تقديم دراسة في هذا الموضوع ـ انتحال أو صحة الشعر الجاهلي ـ يقول طه حسين عن إحدى قصائد طرفة بن العبد:

(في هذا الشعر شخصيته بارزة قوية لا يستطيع من يلمحها أن يزعم أنها متكلفة أو منتحلة أو مستعارة... وإنما الذي يعنيني هو أن هذا الشعر صحيح لا تكلف فيه ولا انتحال)[٢].

إذن طه حسين لم يحكم على كل الشعر الجاهلي بالانتحال بل أقرّ بصحة بعضه حتى ولو كانت نسبته إلى الكل ضئيلة.

ولكنه من جانب آخر أنكر أن هذا الشعر (= الجاهلي) جميعه ـ حتى ما صح لديه منه أنه يمثل الحياة الجاهلية.

كذلك نحن مع إقرارنا بصحة الشعر العربي جميعه لم نتخذه ركيزة تتكيء عليها دراستنا ولا المذهب الذي تبنيناه فيها لميلهم (= الشعراء) إلى المبالغة وجنوحهم إلى المغالاة المفرطة حيناً والهينة حيناً آخر ولا يصح أن تُبنى البحوث الجادة على الصور المتخيلة والرسوم المتوهمة.

---

(١) في الشعر الجاهلي، ص ١٥، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٧.

ومن شاء أن يطالع طرفاً من هذه الصور التي تحفل بالمبالغة التي تصل في بعض الأحايين إلى رتبة الرسوم الكاريكاتيرية فعليه بكتاب (شاعر الغزل) للأستاذ عباس محمود العقاد ـ في الفصل المعنون بـ(ذوقة في جمال المرأة):

(وكان اختياره على ذوقه في كلامه، فقيل إن الثريا التي لهج بمحاسنها كانت من ضخامة العجيزة بحيث تريق الماء على جسدها فلا يبتل ظاهر فخذيها.. وعن عائشة بنت طلحة... عجيزتها كأنها جسد آخر)[٣].

وقد أورد العقاد أبياتاً من شعر عمر بن أبي ربيعة يصور فيها جمال معشوقاته وكيف أنهن من ثقل حقائبهن (عجيزاتهن) إذ نهضن تعثرن أو أُصِبْنَ بالبُهْر والربو وأن خلاخيلهن صوامت لا ينطقن وذلك لِسِمَن سُوْقهن.

وسوف يأتي في ثنايا الكتاب هَوَس العربي بهذين الأمرين: ثقل العجز وامتلاء الساق لأنهما آيتان على أن المَرَة (= كلمة عربية فصيحة وإن جرت على لسان العوام) تعطي بعلها (سيدها ومالك زمام أمورها حتى ولو كانت حرة) المتعة الكاملة ويا حبذ لو أضافت إليهما علامة أخرى وهي كبر الثديين وارتفاعهما. خلاصة القول إن هذا البحث لو توكأ على دواوين الشعر لافتقر إلى الجدية ولأعوزته المصداقية وليس هذا طعناً في الشعر أو الشعراء وما قدموه ويقدمونه من فن رفيع المستوى لا ينكره إلا كل فَدْمٍ غَبيّ ولكننا بصدد دعوى عريضة سوف تزلزل اعتقادات كثيرة وتنسف أوهاماً عديدة وتدمر متخيلات متراكمة امتدت على مدى قرون طويلة...

وبالتالي فهي سوف تصيب خَلْقاً لا يُحصى بالذهول وتوقعهم في قدر لا يستهان به من الربك والحيرة والاضطراب بل ستضطرهم إلى الدوران

---

(٣) عباس محمود العقاد شاعر الغزل، ص ٩٨/٩٩ العدد الثاني من سلسلة اقرأ ١٥ تموز/ يوليو ١٩٥٥م دار المعارف بمصر.

حول أنفسهم من شدة التخليط واللبس والزَلَق بنوعيه: زَلَق اللسان وزَلَق الحال وستدفعهم دفعاً لا طاقة لهم بمقاومته إلى الهَذَر والهَذَيان...

لأن صورة العربي في مِخْيالهم - وكم يختزن هذا المخيال من أوهام - مغايرة بالكلية ومناقضة على خط مستقيم للصورة الحقيقة التي تجسمها هذه الدراسة أمام عيونهم...

ننتهي من جماع ما تقدم إلى أن هذه الدراسة الشائكة لا بد أن تترسخ قوائمها على أرض أصلب من الجرانيت وأن تنأى بنفسها عن الصور المتوهمة والرسوم المتخيلة واللوحات المبالغ فيها والأوصاف التي تتمناها النفس ويشتاق إليها الحس خاصة أن للحواس فيها القِدْح المُعَلّى...

ومن ثم غدا اللجوء إلى القواميس والصحاح والمعاجم وكتب المفردات ضرورة حازبة تبلغ حد الإكراه وتصل إلى مصف الالجاء.

* * *

المعاجم والقواميس وخاصة التراثية هي مستودع لغة العرب، هي التي حفظت ألفاظها وجملها وتراكيبها والذين وضعوها وصنّفوها قاموا بخدمة تجل عن الوصف ورغم المطاعن التي وُجهت لبعضها في طرائق التنسيق والتبويب فإنها (= المطاعن) لا تنقص من قيمتها ولا تنال من قدرها ولا تخدش مكانتها.

ولعل هذه السطور تحمل رأياً مكرراً ومن الجائز إن لم يكن من المؤكد أن القارىء ألـمَّ في بحوث أخرى خاصة تلك التي تتناول مسائل أو موضوعات اللغة أو اللسان.

ولكنني أزعم أنني أضيف جديداً عندما أقرر أن القواميس والمعاجم وما إليها والتراثية منها حصراً وتحديداً تضم بين دفتيها كنوزاً من الصعب بله من المستحيل تقدير نفاستها وثمانتها من العلوم والفنون والمعارف في شتى المناحي = الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية والتربوية... الخ.

ومن يتفرّس فيها ويفلّيها يستطيع أن يخرج بالكثير الكثير عن بني

يَعْرُب بن يَشْجُب: عاداتهم، تقاليدهم، نظمهم، عقائدهم، أمثالهم، حِكَمِهم (ج: حكمة)، أساطيرهم، معبوداتهم طيورهم، حيواناتهم، حشراتهم، مساكنهم، بيارهم (ج: بير) جبالهم، سهولهم، رمالهم، صحاريهم قبائلهم، زعماؤهم، شعراؤهم، خطباؤهم، حكماؤهم، صعاليكهم، شجعانهم، قوادهم، مشاهيرهم من الرجال والنساء مخثوهم، خلعاؤهم، لصوصهم، مطاعمهم، مشاربهم، أفراحهم، أحزانهم طقوسهم، أصنامهم، كعباتهم (ج: كعبة)، معابدهم، أدعيتهم.. الخ.

أما الزعم بأن فيها (= القواميس والمعاجم) مجالاً فسيحاً لعلماء اللغة فحسب فهذا في مذهبنا ضِيق أفق وقصر نظر وفُسُولة في الرأي ومحدودية في التفكير لأن هذا المجال مفتوح ممتد لعلماء الاقتصاد والاجتماع والأنثروبولوجيا والسياسة والمنطق والفلسفة والتربية والتعليم والإعلام... الخ.

إذن حصر مهمة المعاجم والقواميس في التعريف بمعاني الكلمات وخاصة الغريبة والحُوشية منهج فَطِير يقطع بالركاكة في الفهم والرثاثة في الفكر والضحالة في الفقه (ليس المقصود بالفقه المعنى الاصطلاحي الضيق .ا.هـ). لقد عايشت المعاجم والقواميس عشرات الساعات وأقلعت سفينتي في محيطاتها وبحارها وأنهارها وتجولت في طرقها ودروبها وقضيت في رحابها وقتاً بل أوقاتاً وسيعة وهالني ما ألفيت فيها مما ذكرته وما لم أذكره ومن ثم تغيرت نظرتي إليها وفكرتي عنها تغيراً جذرياً...

لقد كنت أعتقد ـ كغيري ـ أن لها وظيفة يتيمة هي رفع الحجاب عن غوامض الكلم وتفسيرها وشرحها وتبيينها... الخ.

بيد أنني فوجئت مفاجأة مذهلة وهي أنها دوائر معارف كاملة شاملة فيها علوم شتى وآداب ثَـرّة وفنون طريفة... الخ.

وكما سيأتي في ثبت المصادر والمراجع فقد رجعت واستعنت واستندت إلى العديد من القواميس والمعاجم وكتب المفردات اللغوية إنما تأسس

اعتمادي الأكبر على (القاموس المحيط) للفيروز أبادي ومن بعده على (تاج العروس من جواهر القاموس) للزبيدي والذي يعتبر بمثابة شرح وتعليق واستدراك على (القاموس).

وكل واحد منهما ينطبق عليه الوصف الذي أوردناه (موسوعة) أو (دائرة معارف) حوت فيضاً من العلوم والآداب والفنون والمعارف... الخ.

ولو أن هذا لا يعني التوهين من أقدار باقي القواميس والمعاجم إنْ تلك التي خَلَّفَها السلف أو ما صنَّفه الخلف.

* * *

وبصدد المادة موضوع الكتاب فقد أولى الفيروزأبادي الفرع المتعلق بصفات المرأة (الوضيئة والدميمة) وبفعل لمس الرجل لها: أسمائه وصفاته وأوقاته عناية فائقة لم أجدها في غيره حتى ولا في (التاج) وهي نقطة توقفت عندها كثيراً ولكنني لم أهتدِ إلى حلها عسى غيري من علماء اللغة يكون أقدر مني على كشفِ علَّتها والتوصل إلى سببها والتعرف على دافعها والاهتداء إلى باعثها.

بيد أن (القاموس) و(التاج) اشتركا مع أضرابهما من المعاجم القديمة في الاهتمام الشديد بالإبل والخيل نظراً للدور الخطير الذي لعبه هذان الحيوانان في حياة الأعراب والأعاريب والعربان والعرب... ولكنني صاحب فكرة المقارنة بين نظرة العربي إلى البعير والفرس ونظرته إلى المَرَة، وإسقاطه لنعوتهما الحسنة أو الرديئة عليها وكيفية رؤيته لطقس الاتصال بها من ذات الزاوية التي يمارس بها ركوب الناقة والفرس فكلاهما في قرارة نفسه البدائية والتي لم تتخللها أشعة الحضارة اعتلاء وامتطاء ووطء ودَرْس... الخ.

فضلاً عن أن القواميس والمعاجم وضعت تحت باصرتنا المقاييس التي استقر عليها ذوق ذلك العربي ليُعَيِّر بها جمال بدن المرة ونحن لا نصادر على حكم القارىء أو نوحي له بشيء عندما نقرر أن كل ما أهمه هو الجسد الأنثوي وإن شئت الدقة شطره الأسفل أما باقي آفاقها: النفسية

والمعنوية والأدبية والروحية... فهو خارج حدود حُسْبانه وبعيد عن اهتمامه وقصيّ عن تفكيره....

ومن المؤكد أن هذا المنزع ورثه اليعربي الحديث وهو كامن فيه حتى الآن ونحن على مشارف القرن الواحد بعد العشرين من الميلاد بسبب قوة أو رسوخ الجِيْنَات الوراثية المعنوية والتي لا تقل عن الجِيْنَات الوراثية الجسمية... والذي يجادل في هذه الحقيقة التي لا يفلت من حكمها الصارم عربي أو أعرابي من المحيط إلى الخليج ولو حاز أرقى الإجازات العلمية من بلاد الفرنجة فهو إما مغالط مأفون أو معاند لجوج.

والقارىء الحصيف المحايد الذي قلع من نفسه العواطف الفجة ومؤثرات العصبية الطاغية سوف يتوصل إلى هذه النتيجة بمنتهى اليسر والسهولة أي أنه في غير حاجة لتحريض أو إيحاء إليه من جانبنا.

* * *

ولم نكتفِ بالمعاجم والقواميس بل يممنا شَطْر الكتب التي تحدثت عن الإبل والخيل وبمعنى أدق ما استطاعت يدنا أن تطوله منها وسيجد القارىء أسماء هذه الكتب أو عنواناتها (= عناوينها) في ثبت المصادر والمراجع وركزنا وهذا أمر بديهي ـ على مكانتها لدى ابن يعرب وعشرته إياها وصفاتها الأثيرة أو الكريهة لديه وكيف أنها انتقلت جميعها عَبْر لا شعوره إلى المرأة حتى غدا التمييز بينها وبين ناقته وفرسه صعيب ووعر وعسير.

مقدمة

إذا كانت القواميس والمعاجم وكتب المفردات هي مستودع اللغة بكلماتها وجملها وتراكيبها ـ فيلزم إذن أن نسلط حزمة من الضوء بالقدر المناسب عليها (= على اللغة) لإنارة موضوع البحث والكشف عن شتى نواحيه ومختلف أقطاره.

فـ(اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[١].

ومن ثم فهي تختلف من جماعة إلى جماعة أو من قوم إلى قوم أو من أمة إلى أمة (يقال سمعت لغاتهم أي اختلاف كلامهم)[٢].

ووظيفة اللغة هي التعبير عن أغراض الناطقين بها فهي (= «اللغة» هي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[٣].

ويقال للغة = اللسان وقد ورد في القرآن ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾[٤] أي بلغتك التي تتكلم بها ـ وعند علماء الاجتماع اللغة ليست هي أداة

(١) **القاموس المحيط** للفيروزأبادي.

(٢) **المصباح المنير**، للمقري الفيومي **والمعجم الوسيط** لمجمع اللغة العربية.

(٣) **التعريفات** للجرجاني.

(٤) **القرآن الكريم**، سورة مريم: الآية ٩٧ وسورة الدخان: الآية ٥٨.

التعبير عن الأعراض فحسب بل هي ضرورية للوجود الاجتماعي بأسره لأنها صورة السلوك الإنساني الشاملة...

والجزء الرئيسي من التراث الثقافي للبشر وإذا كانت اللغة هي الأصوات المركبة ذات المقاطع التي تتألف منها الكلمات والجمل... الخ فإنها أيضاً الرموز الثقافية القادرة على توصيل الأفكار والرغبات والمعاني والخبرات والتقاليد لا من فرد إلى آخر بل من جيل إلى الجيل التالي له فهي (= اللغة) نتاج اجتماعي تمثل التجارب المتراكمة والراهنة والعواطف والأحاسيس... الخ(٥).

ومن ثم فإننا نصل إلى نتيجة هامة وهي أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتوافر فيها خصائص الظواهر الاجتماعية(٦).

وما دام الأمر كذلك فشأنها في ذلك شأن باقي الظواهر الاجتماعية تؤثر وتتأثر أي أنها في علاقة جدلية مع غيرها على وجه الاستمرار.

فالبيئة الجغرافية تترك بصماتها على المفردات اللغوية بل على خصائصها وتطورها ـ ونعني بالبيئة الجغرافية تجلياتها كافة ـ وتأثير هذه الأخيرة في اللغة هو الذي يفسر لنا الاختلاف الظاهر بين لسان سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية والساحلية والجبلية والزراعية والصحراوية...

بل إن هذا التغاير نجده لا بين اللغات بل بين لهاجت اللغة الواحدة إذا اختلفت بيئاتها الجغرافية(٧).

ولعل هذا ما دفع البروفسور هوبس والي إلى الإتكاء في تعريفه

---

(٥) د. محمط عاطف غيث **قاموس علم الاجتماع**، الطبعة الأولى ١٩٨٨، دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية.

(٦) د. علي عبد الواحد، **معجم العلوم الاجتماعية** تصدير ومراجعة د. إبراهيم مدكور إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب، الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة، يونسيكو الطبعة الأولى ١٩٧٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٧) د. علي عبد الواحد، **وافي اللغة والمجتمع**، طبعة ١٩٧١ ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

للمجتمع على (البقعة الجغرافية) لما للبيئة الجغرافية من خطر (قدر) في التأثير على اللغة التي يتخاطب بها أفرادها لأن اللغة تأتي في مقدم مكونات الثقافة قبل الملابس والمطاعم والمساكن والمشارب... الخ[٨].

كذلك للمستوى الحضاري تأثير في اللغة لأن اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب... فعندما تكون الأمة أو الشعب في طور حضاري خفيض فإن ألفاظ لغته وتعبيراتها تكون خشنة، جافية، غليظة، كما أنها تعبر عن العورات والأمور المستهجنة والأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة وتسميها بأسمائها الصريحة[٩].

ولكن عندما يترقى الشعب في سلم الحضارة فإن لغته تتهذب وألفاظه ترق وتزول منها الخشونة والصعوبة والحوشية ويُكنى فيها عن الأمور الفاضحة ويتحدث عنها بطريق الرمز والإشارة.

وبداهة ثمة عوامل أخرى تؤثر في اللغة بنسب مختلفة بيد أننا بهذين العاملين: البيئة الجغرافية والدرجة الحضارية، لما لهما من صلة وثيقة بدراستنا.

إذ إن البيئة الجغرافية التي زاملت لغة بني يَعْرُب من يَشْجُب كانت ولا زالت بيئة قاسية متجهمة جافية عبوساً خشنة وكانوا في أدنى درجات السلم الحضاري بل بغير مغالاة ودون مبالغة هم في طليعة الشعوب التي خاصمتها الحضارة وأعطتها ظهرها وظلوا على تلك الحال حتى القرن الثامن الميلادي عندما اختلطوا بالشعوب ذات الحضارة الباهرة والثقافة الرفيعة والمدنية الزاهرة، إنما في ذلك الوقت كانت لغتهم قد استوت على عودها وترسخت قوائمها وارتفع بنيانها فلما مستها الحضارة وقت ذات لم تلامس إلاّ الحواشي والأطراف وعوالي الفروع أما سائر البدن (= بدن اللغة) فقد ظل كما هو دون تغيير وهو ما نقلته إلينا المعاجم والقواميس.

---

(٨) **معجم علم الاجتماع** تحرير البروفيسور دينكن ميتشيل، ترجمة ومراجعة د. إحسان محمد الحسن مادة **مجتمع**، الطبعة الثانية ١٩٨٦، دار الطليعة بيروت.

(٩) د. علي عبد الواحد، **وافي اللغة والمجتمع** مرجع سابق.

وتبدّي بني يعرب يشهد عليه أكابر البُحاث العرب من السلف نكتفي بذكر ثلاثة منهم على سبيل المثال:

أ ـ الجاحظ:

(قال الجاحظ: لك يكن العرب تجاراً ولا صنّاعاً ولا أطباء ولا حُسّاباً ولا أصحاب فلاحة فيكونوا مَهَنة، ولا أصحاب زرع لخوفهم من صغار الجزية ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا أصحاب احتكار لما في أيديهم وطلب ما عند غيرهم ولا طلبوا المعاش من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل ولا عرفوا الدوانيق والقراريط... وكانوا سكان فيَافٍ وتربية عراء... وحين جهدوا جَهْدَهم وجهوا قواهم إلى قول الشعر.. الاستهلال بالآثار وتعرف الأنواء والبعير والخيل والسلاح وآلة الحرب والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس..)(١٠).

وإذ أن مدى علم أي أمة هو أحد المعايير المتميزة لوزن حضارتها فإن افتقار العرب للعلم وغلبة الأمية لديهم دليلان على تدني مستواهم الحضاري:

(ومع غلبة الأمية على العرب فإن علومهم كانت ابتدائية وأكثرها تجارب وأشعار تحمل في الصدور ودخل الإسلام وليس في قريش سوى سبعة عشر رجلاً يكتبون وكان منهم جلة الصحابة وبضع نساء)(١١).

وبالمثل فإن الطعوم والمشارب والملابس والمساكن ووسائل الانتقال لا يخيب مدلولها على تحديد الدرجة الحضارية لأي جماعة أو شعب أو أمة وهذا ما يوضحه لنا:

ب ـ الطبري:

(وكان العرب يأكلون الخنافس والجعلان والعقارب والحيّات ويلبسون ما غزلوا من أوبار الإبل وكان الناس طعامهم بالمدينة التمر والشعير ـ وكان

---

(١٠) محمد كرد علي **الإسلام والحضارة العربية** الجزء الأول ص ١٣٠ ـ ١٣١، الجزء الأول، الطبعة الثانية ١٩٦٨، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

(١١) المرجع السابق ص ١٢٩.

الرجل إذا كان له يسار فقدم ضافطة الأنباط الذين كانوا يحملون الدقيق والزيت وغيرهما والدرمك (وهو دقيق الحواري ا.هـ.) من الشام ابتاع منها فخصّ بها نفسه فأما العيال فإنما طعامهم التمر والشعير، بل كانوا قبل الإسلام يأكلون ما دَبّ ودَرَج إلاّ أم حُبَيْن وهي أشبه بالحرباء، ولم يكن إلاّ لبعض قبائلهم القريبة من الحيرة والشام «شيء طريف» ولقمة كريمة ومُضغَة شهية وقلما يعرفون رفاغة العيش والناعم من الطعام، والإبل عندهم أفضل الذبائح، ولأهل البدو: اللبأ والسلاء والجراد والكَمأة والخبزة في الراب والتمر بالزبد والخلاصة والخس والوطيئة، والفالوذج أشرف ما عرفوه من طعام، ولم يطعم الناس منهم ذلك إلاّ عبد الله بن جدعان من أجواد قريش...)(١٢).

ج ـ ابن خلدون:

وهو الذي جمع بين عِلْمَيّ التاريخ والاجتماع فقد وصف حالة العرب الاجتماعية بأوصاف مشابهة لتلك التي وصفهم بها الجاحظ والطبري.

قال ابن خلدون:

(ولم تكن أمة من الأمم أسغَب عيشاً من مُضَر، لما كانوا في أرض غير ذات زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الأرياف وحبوبها لبعدها واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتطاولون إلى خصبها ولقد كانوا كثيراً ما يأكلون العقارب والخنافس ويفخرون بأكل العلهز وهو وبر الإبل يموهونه بالحجارة في الدم ويطبخونه وقريباً من هذا كانت حال قريش في مطاعمهم ومساكنهم)(١٣).

وإذا كان د. محمد كرد علي قد أغفل المصادر التي نقل عنها رأي كل من الجاحظ والطبري وابن خلدون في تبيين أحوال العرب الحضارية (من شتى نواحيها) فهو مع ذلك باحث جاد من المستبعد أن ينسب إليهم ما لم يقولوه.

---

(١٢) المرجع السابق ص ١٣٣ ـ ١٣٤، وقد ذكر د. محمد كرد علي أنه نقل هذا عن الطبري.

(١٣) المرجع السابق ص ١٣٥.

ولا يجرؤ أحد على القول إن الطبري شيخ المفسرين والمؤرخين شُعُوبي والجاحظ بعيدٌ تمام البعد عن شبهة الشعوبية (= كراهية العرب والحط من شأنهم) إذ إن له كتابات متعددة في الانتصار لهم وإعلان قدرهم على باقي الشعوب منها كتاب عنوانه (العرب والعجم) أما ابن خلدون فقد نفى عنه د .علي عبد الواحد مظنة الشعوبية نفياً قاطعاً وذلك عندما قام بالتعليق على رأيه في العرب الذي سطَّره في مقدمته، ويحسن بنا أن نورده أولاً ثم نُرْدِفُه بتعليق د. وافي عليه.

مقتطفات مما أورده ابن خلدون في حق العرب:

... إنهم (العرب) أكثر بداوة من سائر الأمم وأبعد مجالاً في الفقر... العرب أبعد نجعة وأشد بداوة لأنهم مختصون بالقيام بالإبل فقط... إنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم أهل انتهاب وعبث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب مخاطر ويفرون إلى منتجعهم بالقفر...

... وله فصل عنوانه (فصل في أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب).

ويعلل ذلك بقوله:

> الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له ـ فالحجر مثلاً إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافي القدر فينقلونه من المباني ويخربونها له ويعدونه لذلك... فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل العمران...
>
> أنهم لخُلُق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض...
>
> أنهم أكثر بداوة من سائر الأمم وأبعد مجالاً في القفر... إنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري[١٤]...

(١٤) عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المقدمة.

دحض تهمة الشعوبية عن ابن خلدون

ذكر د. علي عبد الواحد وافي أن عدداً من الباحثين العرب والفرنجة انتهى إلى أن ابن خلدون دان بالمذهب الشعوبي وأرجع ذلك إلى أن أصله غلب عليه وأن طبيعة دمه تغلبت عليه في تفكيره ومفاضلته بين الشعوب، ومن أولئك البحّاث من العرب: د. طه حسين وأ. محمد عبد الله عنان ومن الفرنجة المستشرق البارون دوسلان، ويدحض وافي ذلك المذهب بأن ابن خلدون يقصد من كلمة العرب التي جاءت في مقدمته وفي عناوين بعض فصولها هم (سكان البادية الذين يشتغلون بمهْنة الرعي ويعيشون عيشة تنقل ونجعة فظن أنه يقصد منها شعب العرب المقابل لشعب العجم)(١٥).

وفي رأينا أن د. وافي لم يوفق في تفنيده لاتهام ابن خلدون بالشعوبية لأن العرب أو قل الغالبية العظمى منهم قبل الإسلام عاشوا عيشة تنقل ونجعة وكان مسكنهم البوادي واشتغلوا بالرعي واعتمدوا في معيشتهم على الإبل... وطبعت البداوة كل سلوكهم وتصرفاتهم ونفسياتهم ولغتهم ومن ثم فإن توصيفات البدو تنطبق عليهم حزوك القُذّة بالقُذّة يؤكد د. جواد على هذا المعنى فيقول:

(والأعرابي بالمعنى العلمي المفهوم من اللفظة هو كما قلت قبل قليل ـ المبتدّي أي الذي يقطن البادية وعاش معظم حياته فيها وانقطع معظم حياته عن القرى والمدن مكتفياً بالإبل شريكة له في حياته هذه(١٦).

وهو أيضاً ما توصل إليه البحث العلمي الصارم.

(وكمثال على البدو الرحل «الصافين» الذين لم يمارسوا الزراعة فيما

---

(١٥) د. علي عبد الواحد، وافي هامش في ٤١١ من الجزء الثاني من مقدمة ابن خلدون، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، نشر: لجنة البيان العربي بمصر.

(١٦) د. جواد علي **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ص ٢٨٨ الجزء الرابع الطبعة الثانية ١٩٩٧م دار العلم للملايين ـ بيروت.

سبق، يمكن الإشارة إلى البدو مربي الإبل في وسط الجزيرة)(١٧).

بيد أن الذي يصلح نفياً لتهمة الشعوبية عن ابن خلدون هو أنه باحث موضوعي محايد، تحرّى الدقة والحياد والمنهج العلمي الصارم في تناوله لأحوال العرب الأولى قبل أن تمسهم حضارة الشعوب التي اختلطوا بها فيما بعد. ولو أن كل باحث موضوعي تُصَوَّب إليه قذائف الاتهام من أجل النتيجة التي يتوصل إليه لتوقفت الأبحاث العلمية الموضوعية الرضينة، ولا أدل على انتفاء تهمة الشعوبية عنه (= ابن خلدون) من أنه لم يجنح إلى الأسلوب الإنشائي الخطابي في توصيفاته للعرب ولم يلجأ إلى طريقة التهكم والازدراء والسخرية التي نجدها في كتابات الشعوبيين خاصة أولئك الذين ظهروا إبان خلافة بني العباس.

ويهمنا قبل أن ننهي التعقيب على تعليق د. وافي بشأن دحض لشعوبية صاحب المقدمة ـ

أن نؤكد أن لغة بني يَعْرُب قد اكتملت خصائصها في تلك الأزمنة المتاعقبة التي كانوا فيها على تلك الحالة التي وضّحها لنا كل من: الطبري والجاحظ وابن خلدون.

ولكن كيف أثرت حالة التبدّي التي عاشها العرب لقرون متوالية ـ قبل الإسلام على لغتهم التي كانوا يتداولونها فيما بينهم؟

(ليست اللغة من صنع فرد أو أفراد وإنما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع يجد أفراده، أنفسهم مضطرين إلى اتخاذ وسيلة معينة للتفاهم والتعبير عما يجول بالنفس وتبادل الأفكار تلك الوسيلة هي اللغة)(١٨).

---

(١٧) غينادي ماركوف، دكتور في العلوم التاريخية، دراسة ضمن كتاب **عالم البدو** ص ٧٢، أصدرته أكاديمية العلوم السوفياتية، دراسة اثنوغرافية سوفياتية بإشراف فيدو سييف. ب.ن. هيئة تحرير العلوم الاجتماعية والعصر الطبعة الأولى ١٩٨٦، موسكو.

(١٨) **التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه** د. رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، مكتبة الخان جي بمصر.

والنتيجة الحتمية لهذه القاعدة هي أنه إذا كان المجتمع متبدّياً فمن المستحيل أن تتخلق في باطن رحمه لغة متحضرة، ناعمة، رقيقة، لأن اللغة هي المرآة التي تعكس صورة السلوك الإنساني.

ومن كيفية استخدام الفرد والمجتمع للغة يمكن اكتشاف درجته الحضارية بسبب حتمية وجود العلاقة الجدلية بين الطرفين فاللغة ترفع الستار عن المستوى الحضاري للناطقين بها وفي الوقت ذاته فإن هؤلاء من طريقة استعمالهم إياها (= اللغة) يفصحون عن رتبتهم الحضارية، والأمران متلازمان لا فكاك لأحدهما عن الآخر:

«إننا نستطيع أن نتعرف من خلال استخدام الفرد للغة طبيعة فكره وسلوكه الوجداني وطابعه الشعوري ومعتقداته وعاداته وطريقة حياته وهذه كلها أسس لاكتشاف انتمائه الحضاري ومثلما نتعرف شخصية الفرد وكيانه الروحي والوجداني وانتمائه الحضاري من خلال ممارسة اللغة نتعرف أيضاً شخصية المجتمع وحضارته من خلال ممارسة هذا المجتمع للغته حيث تكون هذه اللغة هي العصب النابض لكل نشاط اجتماعي وهي المصدر الحيّ الوثيق لمعرفة القيم والمثل والمفاهيم الحضارية التي تميز مجتمعاً معيناً عن غيره من المجتمعات وبهذا تصبح اللغة «فهرساً» لحضارة كل مجتمع تتأثر بها وتؤثر فيها بحيث يصبح الفصل بينها متعذراً ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار اللغة جزءاً من كيان المجتمع وكيان حضارته»[19].

فإذا ثبت بما لا يدع مجالاً لذرة من شك أن بني يعرب بن يشجب عندما أنتجوا لغتهم التي استقرت بين دفتي القواميس والمعاجم كانوا على درجة موغلة في البداوة فإن هذا بدوره سيتولد عنه أمران:

الأول: خلو لغتهم من ألفاظ الحضارة والثقافة والمدنية والرقي والترف

---

(١٩) د. أحمد محمد المعتوقي، **الحصيلة اللغوية** الكتاب ٢١٢ من سلسلة عالم المعرفة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م المجلس الوطني للثقافة بالكويت وقد نقل هذه الفقرة من دراسة بعنوان حضارة اللغة لدكتور أحمد أبو زيد في فصلية **عالم الفكر** العدد ١ نيسان/ أبريل ١٩٧١ الكويت.

والرفاغية والبُلَهْنِيَة ومحصورة في المحيط الذي قضوا فيه حياتهم.

(وطبيعي أن تكون اللغة العربية فقيرة في الألفاظ التي لا تدخل معانيها في ضمن حياة أهلها، كألفاظ الترف التي ينعم بها المنغمسون في الحضارة، والألفاظ المستعملة في الحكومات وفي أنواع الدواوين والصناعات وما شاكل ذلك مما يكون عند الحضر، ولا يألفه أهل الوبر، لعدم وجوده عندهم... وحيث إن للغة دلالة على طراز حياة الأمة وعلى مقدار درجة حياتها العقلية نجد العربية غنية غنى مفرطاً في الحدود التي رسمتها بيئتهم فهم أغنياء في الـجَمَل يعرفون كل جزء منه، وقد وضعوا ألفاظاً لكل عضو من أعضائه مهما دقّ فيه وهم أغنياء فيما يتعلق بالصحراء وفي الـمَطَر وفي كل شيء يتصل بحياتهم فهي من هنا لغة تمثل عقلية المتكلم بها)[٢٠].

الآخر: تأثر تلك اللغة بقساوة البيئة وجفوتها وخشونتها فنرى تراكيبها وتعبيراتها وجملها تحمل الصفات ذاتها وفي كل الأمور حتى تلك الأمور التي يتحتم أن تتسم بالرقة واللُّطف والمودة ويأتي في مقدمها اتصال الرجل بالمرأة وقبل أن نطرح دليل الثبوت نؤكد أن هذا الأمر قد شغل حيزاً وسيعاً من حياة العربي القديم ولعله لا زال كذلك لدى العربي الحديث خاصة ذلك الذي يعيش في الجزيرة العربية:

(وللرجولة عند العرب أثر بارز لما في طبيعة بلادهم من الحر وعدم وجود أمور مسلية لديهم تصرف ذهنهم عن التفكير وتلهيهم بعض الشيء عن الغريزة الجنسية)[٢١].

والألفاظ التي عبّر بها العربي دون مواربة عن فعل التماس بالمرأة تقطع بما نذهب إليه في هذه الخصوصية فهو عندما يقوم به يحكى أنه: حَطَأَ المرأة (وأصل الـحَطْأ الضرب) وسَلَقها (والسَلْق معروف) ووَجَاها (والوَجأ

---

(٢٠) د. جواد علي المفصّل ص ٥٥٩، الجزء الثامن. مرجع سبق لنا ذكره.

(٢١) د. جواد علي المفصّل ص ٦٣٠، الجزء الرابع.

وكذلك أنظر كتابنا مجتمع يثرب الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار سينا للنشر، القاهرة ودار الانتشار العربي - بيروت.

هو الطعن) وحَفَرها (والحَفْر معروف) وزَكأها (زَكأه مائة سوط أي ضربه مائة سوط) وذَعجَها (ذَعَج الرجل غريمه دفعه دفعاً شديداً) ـ وشَرَحها (شرح الرجل الشيء = كشفه وقطّعه) ودَكّها (دكّ الشيء = دقه بشدة)... الخ.

ونكتفي بهذه الأمثلة لأن المزيد من التفصيل سوف يأتي في فاصلة: (الفعل).

والذي لا ريب فيه أن هذه الألفاظ تعرب عن غلظ في الطبع وجفاء في الـجِبّلة وخشونة في السليقة وقساوة في المسلك وجهامة في الحركة ووعورة في النفس وكلها محصلة طبعية للتبدّى وانعدام التحضر ـ وبالمثل فإن الأسماء التي أطلقها على المرأة لا تقل إفصاحاً عن تلك الشمائل العسرة فهي عند العربي: النعل ـ العتبة ـ الشاة ـ النعجة ـ الغِلّ ـ القيد ـ البيت ـ الطروقة (تشبيهاً لها بالناقة طروقة الفحل) ـ الظعينة (وهو في الأصل الجمل الذي تركبه) ـ الـمِزْخَةَ (زَخّه أوقعه في وَهْدَة) ـ الأسيرة العانية ـ المملوكة (مَلَكْتُ المرأة: تزوجتُها)(٢٢).

الـمُسَّة (موضع الـمَسّ) ... وفي هذا القدر الغناء.

ففي الوقت الذي نرى فيه الشعوب ذات الحضارة السامقة تنادي المرأة بأرق الألفاظ وتصفها بأحلى الأوصاف وتسميها بأعذب الأسماء إذا بأولاد يعرب بني يشجب يطلقون عليها تلك الأسامي الكريهة الممجوجة، المنفرة والتي تشي بكُنْه تقويمهم لها وترفع الحجاب عن مكانتها لديهم وتزيح الستار عن قدرها في نفوسهم وذلك جميعه ضربة لازب ونتيجة حتمية للبيئة الجرداء الـمُقْفِرَة التي عاشوا فيها والتي تركت بصمتها على لغتهم، هذا من جانب ومن جانب آخر:

فإن ذلك البدوي الأمي الذي خاصمته الحضارة وابتعدت عنه المدنية ونفرت منه الثقافة وأولاه الترقي ظهره... كان من لزوم ما يلزم ألاّ يعثر في

(٢٢) حتى الآن في بعض دول بني يعرُب بن يشجب يسمون عقد الزواج: المُلْكَة بضم الميم.

جعبته سوى تلك الكلمات الحوشية ليعبّر بها عن مكنون ذات نفسه البدائية في تقويمه للمرأة وفي النظر إلى فعل الاختلاط بها.

* * *

وفي الفصول القوادم سوف نأتي بمزيد من التفصيل والتأصيل معاً للعناصر التي ألممنا بها إلماماً عاجلاً في هذه المقدمة.

خليل عبد الكريم

الدقي

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

الباب الأول

المرأة والناقة

لعبت الإبل في حياة العربي دوراً متميزاً لا يدانيه في قدره وخطره حيوان آخر.

والإبل هي الجمال وهو اسم واحد يقع على الجمع وهو دال على الجنس، ويقال لها (بنات الليل) ويطلق على الذكر والأنثى منها «بعير» وتوصف بأنها عز لأهلها[١].

والجمل هوالذكر والناقة هي الأنثى.

ولقد أجمعت كتب اللغة على أن (الإبل) اسم جمع وهو مؤنث ولا واحد له من لفظه إذ هو لغير الآدميين[٢].

ويذهب الفيروزأبادي أن لفظ الإبل من الأُبِول ويعني الإقامة فيقال أبلته الإبل إبولاً أقامت وأبل العشب أبولاً طال فاستمكن فيه الأبل[٣].

---

(١) **كتاب الحيوان**، الجزء الأول للدميري.

(٢) **المصباح المنير** للمقري الفيومي ومختار **الصحاح** للرازي و**المعجم الكبير** الجزء الأول، حرف الهمزة لمجمع اللغة العربية.

(٣) **القاموس المحيط** للفيروزأبادي.

وفي المعجم الكبير = أبل المكان: مُطِر وابلاً، وتأبّل فلان وإئْتَبَل: ثبت على بعيره[٤].

ولعله قد لوحظ في إطلاق هذا الاسم على هذا الحيوان ركونه إلى السكون والإقامة في مكانه ـ أما اسم (البعير) فمأخوذ من البعرة وهو ما يلقيه من مؤخرته من فضلات ـ والبَعَر هو الفقر التام[٥]، والبعرة هي الغضبة في الله عزَّ وجلّ[٦]، ويرى البعض أنه يصح إطلاق اسم البعير على كل ما يُركب أو يُحمل عليه من الدواب وإنْ اختص بالإبل إذ إن مدلول الإبل والبعير واحد وهو الحيوان المعروف ذكره الجمل وأنثاه الناقة.

والإبل ذات فائدة لا تقدر بالنسبة للعرب والأعراب لما لها من صفات نادرة ناسبت تماماً معيشة الصحراء والبوادي ووجد فيها ساكنوها ضالتهم المنشودة إذ إنها حققت لهم صوالحهم كافة سواء في الحل أو الترحال:

(والجمل في طليعة حيوان جزيرة العرب من حيث الفائدة والشهرة وهو رمز البداوة وعنوان الصحارى والحيوان الوحيد الذي رمى بمصادفة الأعرابي وتمضية حياته معه، قاطعاً الفيافي والبراري معرضاً نفسه للجوع والعطش ولتحمل الحياة الشاقة الخشنة في البادية، مع الأعراب الغلاظ الجفاة الذين استصعب إخوانهم أهل الحضر العيش معهم وهو لولاه لما تمكن الأعراب من اختراق البوادي ومن التنقل بها ولما طابت لهم الحياة في خيامهم من وبره شربهم وكسر من جوعهم من لبن نياقه ثم هو طعامهم عند الحاجة ورأس مالهم إذا احتاجوا إلى مال تليه: الخيل والضأن والمعز والحمير وغيرها)[٧].

---

(٤) **المعجم الكبير** لمجمع اللغة العربية.

(٥) **القاموس المحيط** للفيروز أبادي وكذا **المعجم الكبير** لمجمع اللغة العربية.

(٦) **المعجم الكبير** لمجمع اللغة العربية.

(٧) د. جواد علي **المفصّل** ص ١٦، الجزء السابع.

ولشدة اهتمام ابن يعرب بن يشجب بهذا الحيوان فقد أطلق على البعير ألف اسم وعلى الناقة مائتين وخمسة وخمسين اسماً ـ ويرى البعض أنها من المترادفات ولو أن عدداً من علماء اللغة العربية ينكر وجودها (= المترادفات) ويذهب إلى أن كل لفظ له معنى محدد وكل دال له مدلول معين. وفضلاً عما احتوته كتب اللغة والمفردات والمعاجم والقواميس من مفردات تتعلق بالإبل فإن هناك العشرات من المؤلفات التي تناولتها من نواحيها كافة = صفاتها، المحمودة والمذمومة، أمراضها عيوبها، أسنانها، نتاجها (أولادها)، خلقها، أجزاء جسمها وطرق معالجتها سماتها، ألبانها، أبوالها، سيرها، لحومها، أصواتها، أنواعها، جروحها، أشربتها، مطاعمها، حملها، ولادتها، قوتها، ضعفها، أصواتها... الخ.

واللفظ الثالث الذي يطلق على هذا الحيوان هو النَعَم والأنعام وقيل:

(النَعَم = الإبل خاصة والأنعام ذوات الخُفّ والظِلْف وهي الإبل والبقر والغنم وقيل تطلق الأنعام على هذه الثلاثة فإذا انفردت الإبل فهي نعم وإن انفردت البقر والغنم لم تسمَ نَعَماً)[(٨)].

أما الرازي فذهب إلى أن أكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل والنعم واحد الأنعام وهي المال الراعية وقال الفرّاء النعم ذكر لا يؤنث يقولون: هذا نعم وارد وجمعه نُعمان كحَمَل وحُمْلان أما الأنعام فهو يذكر ويؤنث وجاء في القرآن: ﴿مما في بطونه﴾ و﴿مما في بطونها﴾[(٩)][(١٠)].

---

(٨) **المصباح المنير** للمقري الفيومي.

(٩) **مختار الصحاح** للرازي.

(١٠) **القرآن الكريم**، سورة النحل: الآية ٦٦ وسورة المؤمنون: الآية ٢١.

ويطلق العرب على:

(الإبل والبقر والشاء (النَعَم)، وزاد بعض علماء اللغة: المعز والضأن، وذكر بعض آخر: أن النعم خصت بالإبل لكونها عندهم أعظم نعمة.

وقيل إن العرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلاّ الإبل فإذا قالوا: الأنعام الإبل البقر والغنم ويراد بـ(الماشية) الإبل والغنم وقبل الإبل والبقر والغنم وقال بعض علماء وأكثر ما يستعمل في الغنم وقيل: كل مال يكون سائمة للنسل والقُنية من إبل وشاء فهي ماشية وأصل المشاء: النماء والكثرة ومشت الماشية كثرت أولادها)[١١].

وذهب مجمع اللغة العربية إلى أن النَعَم هو المال السائب وأكثر ما يقع على الإبل والجمع أنعام وأناعيم[١٢].

واللفظة مشتقة من النِعْمة إذ كان اليعربي يعدّ الإبل من أعظم النعم عليه فكما ذكرنا هو يعتمد عليها في معيشته مقيماً وظاعناً (مُرْتَحِلاً) وفي دائرة المعارف الإسلامية أن استخدام الجمل لأول مرة يرجع إلى عام ١١٠٠ق.م.[١٣].

وإذ إن الإبل كانت هي العامل الرئيس في استقرار الأعاريب في جوف الصحراء لذا فإن (الإبل أعانت العرب على التوحش والإغراق في البدو)[١٤].

ورعاة الإبل لم يكونوا على شاكلة واحدة:

(والرعاة على صنفين: رعاة الإبل وهم الممعنون في البوادي والذي

(١١) د. جواد علي **المفصّل** ص ١١١، ١١٢، الجزء السابع.

(١٢) **المعجم الوسيط** لمجمع اللغة العربية.

(١٣) المجلد السادس ص ٤٣١، إعداد وتحرير إبراهيم خورشيد وآخرين (دائرة المعارف الإسلامية).

(١٤) ابن خلدون **المقدمة**.

يبيتون مع الإبل في المرعى لا يأوون إلى بيوتهم ولا يرعون غيرها وهم (الجَشْر) أو هم الذين يرعون الإبل ويقيمون معها في المرعى ولا يرعون معها غيرها من بقية الحيوانات وهم جُلّ الأعراب بل كلهم، لأن حياة الأعرابي هي حياة رعي إبل يرعاها عند بيته أو على مبعدة منه ـ بات مع الإبل بعيداً عن بيته أو أهله أياماً أو مواسم الربيع أو أقام خيمته مع إبله فهو راعي إبل في الحالتين)[١٥].

وتربية الإبل ـ في حالتنا هذه ـ ليست ظاهرة اقتصادية فحسب بل هي ظاهرة اجتماعية ولذلك عدة أسباب منها أن البيئة الجغرافية هي التي دفعت إن لم تكن حتمت رعي الإبل والعناية المفرطة بها لأن العربي والأعرابي كان يدرك بفطرته أن حياته مرتبطة بحياة جمله أو ناقته سواء كان مسافراً أو مقيماً أي أن هناك ارتباطاً من نوع فريد بين اليعربي وهذا الصنف من الحيوان، كذا فإن ملكية الإبل كانت من جانب آخر شارة على المكانة الاجتماعية هذا من ناحية التراتب الاجتماعي أما من ناحية تقويم الرجل في ذاته ولدى أفراد عشيرته فكلما كان خبيراً خِرّيتاً (ماهراً) بشؤون الإبل أعطاه ذلك تفرداً وخصوصية وحتى ولو كان من الطبقة الدنيا إذ إن الحاجة إلى ما لديه من معارف (ولا نقول: من علوم) ماسة ودائمة ـ وبالمثل فإن رعاة الإبل كانوا يشكّلون شريحة اجتماعية لها وضعية محددة إذ إنها هي التي كانت تتولى حفظها والاهتمام بمطالبها اليومية في الرحلة والإقامة وتتضاعف أهميتهم عند تجهيز القوافل التجارية التي كانت تتكون في بعض الأوقات من مئات النوق والجمال وتحمل فوق ظهورها بضائع بمئات الألوف من الدنانير فإذا لم تجد أقصى رعاية هلكت وهلكت العروض التي

(١٥) د. جواد علي **المفصّل** ص ١٠٧ الجزء السابع.

تنقلها، فوجود أولئك الرعاة ضرورة لا غنى عنها وبذلك فقد كان لهم وجهان متميزان فمن جانب هم يعتبرون من سكان الدور الأسفل في الترتيب الاجتماعي ومن جانب آخر فهم لا يقومون بدور هامشي يمكن الاستغناء عنه أو إحلال غيرهم بهم...

وهكذا أسهمت الإبل في تصنيف التشكّيلة الاجتماعية بطريقة فاذّة قلّ أن تعثر عليها إلاّ في مثل تلك البيئة:

(... إن تحديد تربية الماشية البدوية كظاهرة اقتصادية ـ اجتماعية خاصة يعتمد ليس فقط وعلى طابع النشاط الاقتصادي، وإنما أيضاً وبدرجة أكبر على خصوصيات البيئة الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي العشائري)(١٦).

نخلص من ذلك أن الإبل فوق أنها كانت أهم الركائز في حياة العرب الذين خلّفوا لنا هذه اللغة فإنها تداخلت في معيشتهم وتماهت فيها بل إنهم في كثير من الأحيان كانوا ينظرون إلى الأمور المادية والمعنوية من خلالها.

وتهمنا في هذه الدراسة (الناقة) لأن ابن يعرب وازن بينها وبين المَرَة ـ ونظراً لشدة التزاقه بالناقة ومعايشته لها ومعاشرته إياها فقد اتخذها معياراً يقيس به المَرَة فإن كانت قريبة الشبه بها وتجتمع معها في الصفات التي يستمحلها غدت أثيرة لديه حبيبة إلى قلبه.

فـ(من نعوتها في عِظَمها وطولها: الكنعرة الناقة العظيمة، وجمعها كناعر ومثلها البهرزة والبائل والفَائِح والفَاسِج وبعضهم يقول للفَاسِج الحامل والجمع بَهَارِز والدَلْعَس والبَلعَس والدَلْعَك كله

(١٦) عالم البدو ص ٧٦، مرجع سابق.

الضخمة مع استرخاء فيها والعَيْطَمُوس التامة الخَلْق الحَسَنة، الفُنُق والهِرْجَاب الطويلة الضخمة، العجاساء والسِرْدَاح العظيمة، المُسْمَغِلّة والجَسْرة الطويلة ويقال المُسْمغلة السريعة والجَسْرة العظيمة والعَنْدل والقَنْدل العظيمة الرأس القَرْواء العظيمة القرى وهو الظهر اللَكالِك العظيم.

ومن نعوت قوتها = العَيْسَجُور الشديدة والرجيلة الشديدة القوية على السير... وإنها لذات رَجْلَة، الظهيرة القوية وناقة إِخْضَار إذا جمعت قوة ورَجْلة.

وناقة ذاتَ عَبحدة ذات قوة وشدة والسِناد الشديد الخَلْق والعَيْسور والعَيْسَجُور الشديدة الوَجْنَاء الشديدة اللحم من الوَجِيْن وهو الحجارة ومن النساء العظيمة الوجنات والعَنْتَرِيْس الكثيرة اللحم الشديدة ناقة أَصُوص وجمعها أُصُص وهي الشديدة والعَرَنْدَسَة الشديدة والجَلّذَرِيّة والمحبوكة الشديدة الخَلْق...

ونطلب من القارىء أن يتفرس في هذه الصفات وأن يمعن النظر فيها رغم حوشيتها ووعورتها لأننا سوف نرى في الفاصلة الخاصة بـ(الجِزم) ونعني جِزم المرأة أن الغالبية العظمى من تلك الصفات نقلها بنو يعرب إلى المرأة وبداهة أنها في نظرهم تغدو الأنثى المثالية تماماً مثل ما أنّ الناقة التي تُنعَت بهذه النعوت هي الناقة المفضلة التي لا قبلها ولا بعدها.

وعندما ننبش عن علة افتتان بني يعرب أحفاد يشجب بالمرأة الثَدْياء وولههم بالطُرْطُبة (صاحبة الثدي الضخم المسترخي أ.هـ).

نجد أن السبب هو تفضيله للناقة ذات الضروع العظيمة التي ترويه وتغذيه معاً من لبنها الغزير الذي هو بالنسبة إليه رِيّ من ظمأ وشبع من شُغُوب (جوع).

فيقال للناقة الغزيرة اللبن:

الخَنْجُور واللَهْمُوم والرَهْشُوش والخَبِر شبهها بالمزادة والمرّى مثله والثَاقِب وقد ثَقَبت الناقة ثُقُوباً إذا غزرت والرَفود وهي تملأ الرِفْد وهو القَدَح في حَلْبة واحدة والشَكْرَة الممتلئة الضُروع.

ومن نعوت الحَلْب:

فَطَرْت الناقة حلبتها بطرف أصابعك.

وضَبَبْتَها حلبتها بالكف كلها.

فششتها ومَشَشْتَها أسرعت حلبها.

مَصَرْتها وبَزَمْتَها حلبتها بالسبابة والإبهام.

هَجَمْت ما في ضرعها = حلبت كل ما فيه.

ومن نعوت الرضاع:

إمْتكّ الفصيل ما في ضرع أمه = استوعبه

وكذا إمَتقّه والتهمه واغتدمه ونَضَفَه.

ورغثه ومَلَجه ورَغَلَه ولَسَده(١٧).

وسوف يرى القارىء في الفاصلة الخاصة بـ(الفعل) أن عدداً وفيراً من الأسماء التي أضفاها العربي على واقعة التماس بينه وبين أنثاه نقلَها بحروفها وجَرْسها وملامحها النفسية والمعنوية الحافّة، نقلها من عمليتيّ (حلْب الناقة) و(رضاع الفصيل من أمه).

* * *

(١٧) من كتاب البعير موريس بوجيس جامعة القديس يوسف، بيروت الطبعة الأولى ١٩٠٨م.

الصفات التي كان يستجيدها العربي في ناقته أسقطها على المرأة ونورد فيما يلي أمثلة على ذلك:

أ ـ الصفات الجسمية:

- **العَصُود**: الناقة السمينة — **المَعْصَدة**: المَرَة العظيمة التامّة تُعْجِب كل أحد.
- **ناقة قَيْدُود**: طويلة الظهر — **جارِيَةَ مَقْدُودَة**: حسنة التقطيع.
- **الضَمْعَج**: البعير الضخم التام — **الضَمْعَج**: المَرَة الضخمة التامة الخَلْق.
- **للإبل أراجيح**: هزاتها في ركابها — **نسوان رُجُح الأكفال**: أعجازهن ثقيلة.
- **الدَحُوْح**: المَرَة العظيمة. — **الدَحُوح**: الناقة العظيمة
- **ناقة صَلَنْدَحة**: صلبة — **جارية صَلْدَحَة**: عريضة.
- **ناقة رَوْعاء**: رَوّعَها الكلأ بالسِمَن أي رَوّاها — **مَرَة رَوُعَاء**: رَوّعَها الطعام بالسِمَن أيَ روّاها.
- **ناقة خَطْباء**: بيّنة الخُطْبة وهيعُبْرة ترهقها خُضْرة.
- **الضَمْخة**: الناقة السمينة — **الضَخْمة**: المَرَة السمينة.
- **ناقة دِلاص**: مَلْساء ودَلصة = سقط وبرها — **مَرَة دَلْصَاء**: أزالت ما على جسدها من شعر فصارت بَشْرتها ناعمة برّاقة.
- **القَمْ**: ألمكان الذي تقيم فيه الناقة حتى تسمن. — **القَمْ**: ألمكان الذي تقيم فيه المَرَة حتى تسمن.
- **الصُمَخّر**: الناقة الشديدة — **الصُمَخّر**: المرأة الغليظة.

ـ **ناقة شَدَنيّة**: التي أشدنت: ترعرعت

أَشْدَنَت الجارية: أشبهت الظَبيّة.

ـ **القَرْطاس**: الناقة الفتية

القَرْطاس: الجارية البيضاء المديدة القامة.

ـ **ناقة عَلْطَمِيس**: شديدة غالية

مَرَة عَلْطَمِيس: تارّة حسنة الخَلْق.

ـ **ناقة عَيْطَموس**: تامة الخلق

مَرَة عَيْطَموس: جميلة، حسنة طويلة، تارّة.

ـ **السَانِعَة والمِسْنَاع**: الناقة الحسنة.

السَنِيعَة: المَرَة الجميلة، الليلة المفاصل، اللطيفة العظام.

ـ **القلعة والقَلُوع**: الناقة العظيمة

القَلِيْع: المَرَة الضخمة الرجلين والقوام.

ـ **ناقة جُنادِف وجُنَادِفة**: سمينة ظهيرة

أَمَة (جارية، عبدة، مملوكة) جُنَادِفة: سمينة ولا توصف الحرة بذلك.

ـ **الجَحْلاء**: الناقة العظيمة

امرأة جَيْحَل: عظيمة.

ـ **الرَبَحْل من الإبل**: التام الخلْق

مَرَة رِبَحْلة: ضخمة، طويلة، جيدة الخَلْق.

ـ **العَنْدَل**: البعير الضخم الرأس

مَرَة عَنْدَلَة: ضخمة الثديين.

ـ **العَطْلة من الإبل**: الحسنة الجسم والناقة الصفيّ.

العُطْبُول والعُطْبُولَة والعَيْطَبُول: المَرَة الفَتِيّة الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

ـ **الهَرَاكِل من الإبل**: الضخم الجسيم.

الهَرْكَلَة والهُرْكِلَة والهُرْكُولَة والهَرْكِيل: المَرَة الحسنة الجسم والخلْق والمِشْيَة.

ـ **ناقة شُغْمُوم**: ناقة غزيرة

مَرَة شُغْمُومة: طويلة مليحة ويقال أيضاً شُغْمُوم.

- **ناقة عَكْناء**: غليظة الأخلاف (الضروع).

مرة عَكْناء ومَعَكّنة: التي تَعَكّن (تَثَنّى) بطنها من السِمَن.

وكان حفيد يشجب يكاد يطير لُبُّه ويذهب عقله إذا تزوج امرأة فوجدها عَكْناء أو اشترى جارية فإذا بها مُعَكّنة.

- **البُرَة**: حلقة في أنف الناقة والجمع بُراة وبَرِيْن.

البُرة: خَلْخَال المرأة **وبَرُوتها**: ألبستها خَلْخَالاً فهي مُبْراة.

- **ناقة ظَمْياء**: سوداء

مَرَة ظَمْياء: ذات شفاه ذابلة في سُمرة.

- **ناقة مَرِى**: غزيرة اللبن

امرأة ماريّة: بيضاء البَشْرة برّاقة.

- **البُغام**: صوت الناقة وأيضاً البقرة والظَبْيَة.

البُغَام: صوت المرأة **وامرأة بَغُوم**: رخيمة الصوت.

- **ناقةَ زبّاء**: ذات وبر كثيف

امرأة زَبّاء: كثيرة شعر الحاجبين والذراعين واليدين.

- **ناقة سُرحوبة**: طويلة (ويقترن ذلك بالسرعة في المشي).

مَرَة سُرحُوبة: حسنة الجسم.

- **ناقة جَلْبَنَاة**: سمينة صلبة

مَرَة جَلْبناَة: سمينة صلبة.

- **بعير خِدّب**: شديد، صُلب، ضخم قوي (وسبق أن قلنا إن لفظ البعير يطلق على الجمل فيقال هذا بعير وللناقة هذه بعير ا.هـ).

جارية خِدبّة: ضخمة مجتمعة الخَلْق.

- **الـجَخْلاء**: الناقة العظيمة.

مَرَة جَحِيْل: عظيمة.

- **السِرْب**: القطيع من النياق.

السِرْب: مجموعة من النساء ولا واحد له.

ـ ناقة ضَرِيع: كبيرة الضَرْع وأَضْرَعَتِ الناقة: أشرق ضَرْعها قبل النتاج.	مَرَة ضَرْعاء وضَرِيع وضَرِيعَة: عظيمة الثديين وكانت التي تحوز هذا الوصف تفتن أبناء يعرب.
ـ ناقة فُنُق: فتيّة سمينة.	جارية فُنُق ومِفْناق: منعّمة (ولفظ الجارية يطلق على الفتاة حديثة السّن ولا يعني بالضرورة الأَمَة ا.هـ.
ـ ناقة خَوْصاء: صغيرة العينين غائرتهما	إمرأة خَوْصاء: بها غُوؤر في العينين.
ـ ناقة ضَنَاكة وضَنَاك: عظيمة	مَرَة ضَنَاك: ضخمة ونسوان ضُنُك.
ـ ناقة عَيْطاء: طويلة العنق	امرأة عَيْطاء: طويلة العنق.
ـ ناقة حَضُوْن: أحد خَلْفه (الخلّف هو الضَرْع) أكبر من الآخر.	امرأة حَضُوْن: أحد ثدييها أكبر من الآخر.
ـ ناقة زَلَجى وزِلّيجَة: سريعة (وغالباً ما يرجع ذلك لقلة اللحم ا.هـ.).	امرأة مِزْلاَج: رَسْحَاء أي مَسْحَاء أي لا أرداف لها.
ـ ناقة صَلَنْدَحَة: عريضة	جارية صَدَلْدَحَة: عريضة.
ـ ناقة لَقُوح: حَلُوب	إمرأة لِقاح: مُرْضِعَة.
ـ ناقة فَتْخاء الأخلاق: ارتفعت أخلافها قِبَل بطنها وهذا عيب في النوق وذم لها.	مَرَة فَتْخاء: ارتفعت أخلافها قِبَل بطنها والخَلِيْفان ما تحت الإبطين وكان اليعربي يستملحه لأنه يَدُلّ على السِمَن ومنتهى أمله أن تكون مَرَته سَمِيْنَة.
ـ ناقة ملْحَاء: ذات بياض يخالطه سواد مع استواء الخَلْق.	مَرَة مَلِيْحة ومُلاّحَة: جميلة حُلْوَة تأخذ بمجامع قلب العربي إثر نظره إليها.

- **بعير جَعْد**: كثير الوبر	**امرأة جَعْدَة**: ذات شعر جَعْد وهو خلاف السَبِط.
- **إنخنى البعير**: عَظُم	**البخنراة**: المرأة التامّة العصب وهو عظام اليدين والرجلين.
- **أخبنرى البعير**: عظم وصلب	**جارية خبنراة**: تامة القصب أو تارّة أو ممتلئة.
	مَرَة ذات ساق خبنداة: مستديرة وممتلئة يصمت فيها الخَلْخَال أي لا يتحرك وفي نظر ابن يَعْرُب أن تلك قرينة لا تقبل الشك على أن المَرَة تعطي متعة فائقة عند التماس بها.
- **خِدَام الإبل**: سيور فوق أرساغها تُشدّ إليها الشِرَاع الواحدة خَدَمة.	**خنَدَم المرأة وخِدامها**: خَلْخَالها (حِجْلها) ويستملح البدوي ألا يُحْدِث صوتاً عند مِشْيتها فذلك يدلّ على سِمَن ساقيها.
- **ناقة ثَقِيب وثَاقِب**: غزيرة اللبن.	**مَرَة ثقِيب**: شبهت بلهب النار شدة حُمْرتها (بياضها ينزع إلى الحُمْرة ا.هـ.) فهي بيّنة الثَقَابة.
- **ناقة جَلَنْبَأة**: سمينة	**مَرَة جَلنْبَأة**: سمينة.
- **البَدَنة هي الناقة أو البقرة** (لما تمتازان به من سِمَن في العادة ولذلك يقال: مِبْدان هو الذي يسرع إلى السِمَن حتى مع قلة أكله ا.هـ.) وإذا أطلقت في الفروع فالمراد البعير ذكراً كان أو أنثى.	**مَرَة بادِنَة وبَدِينة**: سمينة أكثر لحمها وهن نسوان بُدْن.

ـ **ناءت الناقة بِحِمْلِها أو ناءت بما حملته**: أثقلها وأمالها إلى السقوط.	**ناءت بالـمَرَة حقِيبَتها أو ناءت هي بها**: نهضت بعَجيزتها مثقلة.
ـ **ناقة خَطْبَاء**: بيّنة الخِطْبة وهي غُبْرَة ترهقها خُضرَة.	**مرة خَطْبَاء أو خَطْبَانة الشفتين**: في شفتيها غُبْرة ترهقها خُضْرة وكان أحفاد يَشْجُب يستملحون ذلك في نسائهم.
ـ **رَسَغت الناقة رَسْغًا**: غدت بيّنة الرَسَغ وهو استرخاء في أَرْسَاغِها (جمع رُسْغ وهو مِفْصَل الكف إلى الساعد والقدم إلى الساق ا.هـ).	**امرأة كثيرة الـمِرَاسِغ والأَرْسَاغ**: تتحلى بالكثير من المُسوك (جمعُ مَسْكة أو مُسْك ا.هـ). والأَرْسَاغ (جمع مَرْسَغَة ا.هـ) والمُسوك والأَرساغ هي الأساور من العاج.
ـ **ناقة حُلْوَة**: تامّة الـحَلاَوة	**مَرَة حُلْوة**: تُستَخف وتُستَحلى ونسوان **حُلْوَات** ـ **أيضاً حَلِيَت المرأة**: أكثرت حُلِيِّها وربما زِينَتَها.
ـ **جمل أجْزَل**: ذو سنام مَجْزُول	**مَرَة جَزْلَة**: عظيمة العَجز.
ـ **إبل رَوَافِه وقد رَفِهتْ رُفُوهاً وقد أَرْفَهْتُها**: مستريحة ناعمة.	**إمرأة رَافِهَة ومُتَرَفِّهة**: ناعمة وفي نعمة سابغة.
ـ **ناقة خَطُوط**: سريعة السير	**جارية مَخْطُوطَة الـمَتْنَيْن**: مصقولتهما. (**مَتْنَا الظهر**: مُكْتَنَفا الصلب عن يمين وشمال من عَصَب ولحم والمَتْن يُذكر ويُؤنث).

قال النابغة: مَخْطُوطَة الـمَتْنَيْن غير مَفَاضة ا.هـ).

ـ **الدَغْنَجَة**: كَرّ الناقة على الماء في إقبال وإدبار.	**الدَغْنَجَة**: عِظَم المَرَة وثِقَلُها في مِشْية متقاربة.

ـ **أَسْأَرَت الناقة في الحَوْض:** شَرِبت ما تبقى فيه (من ماء).

إمرأة فيها سُؤْرَة: جاوزت الشباب ولم يهرمها الكِبَر.

ـ **ناقةَ رائِمَة ونيَاق رَوَائِم:** تعطف على ولدها.

الآرام: النسوان المِلاَح وقيل مَرَبى رِئْم (مفرد آرام) في خَصْرِه بَرِيْم أي مَرَة مَلِيْحَة تشدّ وسطها بخيطين من لونين مختلفين: أحمر وأبيض.

ـ **جَرّ الناقة على فيها (فمها):** نَزَع لها الماء لكي تشرب.

امرأة فَوْهَاء: واسعة الفم وكان بنو يَعْرُب يستبشعون ذلك في المرأة ويستجيدونه في الرجل لأنه يدل على طلاقة لسانه وذلاقته.

ـ **الصَبُوْحة:** الناقة التي تُحْلَب بالغَدَاة

مَرَة صَبْحَاء: بيّنة الصَبَاحة ـ الجمال.

ـ **البَلَنْزَى:** الشديد من الإبل.

البَلْزَة: المرأة الضخمة أو الخفيفة (ضد).

(في لغة بني يَعْرُب كثيراً ما يعني اللفظ الشيء ونقيضه ا.هـ.).

ـ **الجَلْس:** الناقة الوثيقة الجسم

الجَلْس: المرأة تجلس في الفناء لا تبرح أو الشريفة.

ـ **العَنْس:** الناقة الصلبة.

ـ **جارية عَانِس:** تَعَنَّست أي طال مُكْثُها في أهلها بعد إِدْرَاكِها حتى خرجت من عِدَاد الأبكار.

ـ **العَرْفَسِيْس من الإبل:** الضخم الشديد

العَرَفْسِيس من النسوة: الضخمة الشديدة.

ـ **ناقة لَمُوس:** يشك في سمنها ونياق لُمُس

مَرَة لَمِيْس: ليّنة الملمس.

ـ **الـخَنِيف**: الناقة الغزيرة (اللبن). **خَنَفَت المرأة**: ضربت صدرها بيدها.

ـ **الرَكِيك من الإبل**: الرخو **مَرَة رَكْرَاكَة**: عظيمة العَجُز والفخذين.

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي قد يرى القارىء أنها كثرت ولقد تعمدنا ذلك حتى نؤكد ما رمينا إليه وهو أن الإبل وبالأخص منها الناقة كانت بالنسبة إلى اليَعَاربة هي الميزان الدقيق الذي يزن به المرأة.

ب ـ الصفات المعنوية والنفسية:

لم يكتف اليعاريب بإسقاط النعوت المادية للناقة على المرأة إنما عمدوا إلى نقل الصفات المعنوية والنفسية إليها.

ـ **ناقة هَوْجَاء**: تسرع في مشيتها **امرأة هَوْجَاء**: حمقاء بيّنة الطيش.

ـ **قَصَرْتُ هذه الناقة على عيالي أولهم**: جعلت دَرّها حِكْراً عليهم دون غيرهم. **جارية مَقْصُوْرَة**: مُصانة، محجوبة.

ـ **تَضَّرَجت الإبل**: رَكَضت في المغازة **تَضَّرجت المرة**: تبرَّجت.

ـ **ناقَة مِقْلاق الوَضِيْن**: سريعة الحركة، خفيفة، قليلة الثبات (الوَضِيْن حزام يشد به الرَجْل على البعير ا.هـ.). **إمرأة مِقْلاَق**: نَزِقَة.

ـ **ناقة مَرُوْح ومِمْراح**: فيها نشاط وسرعة. **مَرَة مَرِحة**: تتبختر وتختال أو هي بَطِرة أَشِرَة أو هي شديدة الفرح والنشاط.

ـ **ناقة ماشية**: ولاّدة (يقال الماشية والمواشي على التفاؤل ا.هـ.).	**مَشَت المرأة**: كَثُرت أولاَدُها مشاء.
ـ **ناقة مُـمَلَّة**: مِتْعَبَان أي كثر ركوبها.	**امرأة مَلْوَل ومَلُولَة**: سريعة السَأم.
ـ **الفِرْشَا والفِرْسَاح**: الناقة وتَفَرشَحت الناقة، تَفَحَجت لِلحَلْب.	**الفِرْشاح والفِرْساح**: المرأة السَمِجَة.
ـ **الكَذْكَح**: الناقة المُسِنَّة	**الكَخكَح**: العجوز الهرمة والجمع كُحُح.
ـ **ناقة لاقِح ولَقُوح**: لَقَحت وقَبِلَت اللِقَاح	**اللَقَاح**: المرأة المُرْضِعَة.
ـ **ناقة لَوحَى**: عطْشَى	**الـمِلوَاح**: المرأة السريعة الهُزَال.
ـ **ناقة سَلْفَعة**: جَريئَة ماضية	**امرأة سَلْفَعَة**: بذيئة سيئة الخلق.
ـ **مَسَخ الناقة**: هَزَلها وأَدبَرها إتعَابا	**امرأة مَمْسُوخَة العجز**: رَسْحَاء.
ـ **الـجُلاعِد**: الجَمَل الشديد	**الـجَلْعَد**: المرأة المُسِنَة.
ـ **عَصَاوِيد الإبل**: العِطَاش فيها	**امرأة عِضْوَاد**: شديدة صاحبة شَرّ.
ـ **دَرَس الناقة**: راضها	**دَرَس الـمَـرَة**: مَسَـها **ودَرَسـت الجارية**: عَرِكَت أي حَاضَت.
ـ **ابل بَخوُد**: طويلة العنق أو التي لا تُحمَل (أي لا يُحمل عليها شيء ا.هـ.).	**ناقة بَخُود**: ماضية، متقدمة أو مِغزَار (غزيرة الدَّر).
	ناقة بَـخُود: عاقلة لبيبة.

ـ **كَهِدَت الناقة**: أسرعت في مِشْيتِها	**الكَهْدَاء**: الأَمَة (الجارية المملوكة) لأنها تسرع في المَهْنَة.
ـ **الحَبْرِبْر**: الجمل الصغير	**الحَبْرِبْر**: المرأة القميئة.
ـ **بعير مَجْشور**: به سعال جاف	**امرأة جَشْراء**: بها خشونة في الصدر وغِلَظ في الصوت.
ـ **جمل جَرُور**: يمنع القِيَاد	**امرأة جَرُور**: مُقْعَدَة.
ـ **المِبْتَر**: المكان الذي تلد فيه الناقة	**المِبْتَر**: المكان الذي تلد فيه المرأة.
ـ **ناقة سَجْواء**: تسكن حتى تُحلَب	**مَرَة سساجية الطَرْف**: فاترته.
ـ **سَجَد البعير وأَسْجَد**: طَامَن رأسه لراكبه	**اَسْجَدَت المَرَة عينها**: غضّتها.
ـ **ناقة مَذَائِر**: تنفر من الولد ساعة تضعه	**امرأة مَذَائِر ذَائِر**: تَذْئِراي تَنْشُز على زوجها.
ـ **الذَعُور**: الناقة إذا مُسّ ضَرْعها غَارَت	**الذَعُور**: المرأة التي تنفر من الريبة والكلام القبيح.
ـ **ناقة سَجْراء وسَجُورَاء**: مدّت حنينها.	**امرأة سَجْراء**: بيّنة السُجرة أي خالطت بياض عينيها حُمْرة.
ـ **ناقة كَلْوَاء العين**: شديدة العين لا يغلبها النوم	**امرأة كَلْوَاء الليل**: تسهر ولا تنام الليل.
ـ **العَنْكَرَة**: الناقة العظيمة	**العَنْجَرة**: المرأة الجريئة.
ـ **عَيَاهِير**: الجمل الشديد	**عَيْهَرة**: امرأة نَزِقَة خفيفة من غير عفة.
ـ **ناقة مَغارّ**: قليلة اللبن وقد غَارّت	**الغِرّة**: الشابة قليلة التجربة.
ـ **فَرْفَر البعير**: نَفَض جسده وأسرع وقارب الخطو وطاش وخَفّ.	**امرأة فَرْفَارَة**: طيّاشة مِكْثَارة.

ـ **ناقة قَذُور**: تبرك ناحية من الإبل لا تخالطها	**امرأة قَذُوَر**: تنفر من الرِيَب.
ـ **أَقْمَرت الإبل**: وقعت في كَلأ كثير	**تَقَمَّر الـمَرَة** = تزوجها.
ـ **العَمْهَزَة**: الناقة العظيمة البطيئة	**العَمْهَزَة**: المرأة القصيرة.
	العَمْهَزِيَة: المرأة القصيرة جداً.
ـ **العَضَمَزة**: الناقة الضخمة منعها الشحم من أن تحمل.	**العَضَمَزَة**: العجوز الغليظة اللِحْيَيَن، الداهية، القبيحة الوجه، اللئيمة القصيرة.
ـ **البَعُوس**: الناقة الشائلة الـمُتَهَوِّكَة	**البَغَنَس**: الأَمَة الرَغناء.
ـ **البَلْعَس**: الناقة المسترخية اللحم الضخمة	**البَلْعُوس**: المرأة الحمقاء.
ـ **أعطت الناقة لبناً ماصلاً**: لبناً قليلاً.	**امرأة ماصِلَة**: فاسدة هي أمْصَل الناس: أفسدهم.
ـ **الدَلْعَس**: الناقة الجريئة بالليل، الدائبة الدَلْجَة.	**الدَلْعَس**: المرأة الجريئة على أهلها، العصيّة لهم.
ـ **العَسُوس**: الناقة القليلة الدرّ أو السيئة الـخُلُق عند الحلب.	**العَسُوس**: المرأة التي لا تبالي.
ـ **العِزفَاس**: الناقة الصبور على السير.	**العَزفَسِيس**: من الإبل الضخم الشديد.
	العَزفَسِيس من النسوان: الضخمة الشديدة.
ـ **الـمَنْدُوسَة**: الناقة التي ترضى بأدنى مرتع	**الـمِنْدَاسَة**: المرأة الخفيفة.

- **الحَبَرْقَص**: الجمل الصغير — **امرأة حَبَرْقَصَة**: قصيرة رديئة - متداخلة اللحم.
- **الماخِض من الإبل**: المُقْرِب — **الماخِض من النسوان**: المُقْرِب.
- **ناقة عُلُط**: بلا سِمَة ولا خِطَام — **العَلْطَة**: القِلادَة أو سواد تخطّه المرأة في وجهها زِيْنَة.
- **جمل ضَابِط وضَبَنطي**: قوي شديد — **امرأة ضَبطَاء**: تعمل بيديها جميعاً.
- **عَاطَت الناقة**: لم تحمل سنين. — **امرأة عائط فهي تُعوط وتَعِيْط وتَعَوَّطَت وتَعَيَّطَت عَيَطاناً وعَيْطاً**: لم تحمل سنين من غير عُقْر.
- **اللَطْلَط**: الناقة الهَرِمَة — **اللَطْلَط**: المرأة العجوز.
- **الخَيْفَق من النياق**: السريعة — **الخَيْفَق**: المرأة البعيدة الخَطْو.
- **عَلَقت الإبل العَضَاة**: رَعَت فيها — **عَلِقَت المَرَة**: حبلت.
- **العُلاَّق**: الناقة التي تعطف على غير ولدها ولا ترأم ولدها وإنما تشمه ثم تمنع لبنها عنه. — **العُلاَق**: المرأة التي تُرْضِع ولد غيرها.
- **فَرَقَت الناقة فُرُوْقاً**: أخذها المَخَاض — **امرأة فَارُوقة وفَرُوق** التي يركبها الفزع.
- **ناقة ناتِق**: سريعة الحَمْل — **امرأة ناتِق**: كثيرة الولد.
- **ناقة بَشْكَى**: خفيفة سريعة — **امرأة بَشْكَى اليدين**: خفيفة سريعة في القيام بالعمل.
- **ناقة مُخيِل ومُخوَل**: تلد ذكراً بعد أنثى أو العكس. — **امرأة مُخيِل ومُخوِّل**: تلد غلاماً إثر جارية أو العكس.

ـ **ناقة مِرْسال**: سهلة السير.	**مَرَة مُرَاسِل**: التي فارق أو مات عنها زوجها أو أحست منه الطلاق فتزيَّن وتُراسِل الخُطَّاب.
ـ **الرِفْل**: البعير الطويل الذنب.	**امرأة رَفِلَة**: التي تجر ذيلها جراً حسناً **والرَفْلاَء**: عكسها أي التي لا تحسن ذلك.
ـ **السِبَحْل**: البعير (الضخم خاصة)	**السِبَحْل**: الجارية.
ـ **الأعْطَال من الإبل**: التي لا قلائد عليها ولا أرْسَان لها أو التي لا سِمَة عليها.	**امرأة عَاطِل**: ليس عليها حُلِيّ فهي تَعَطَلَت.
ـ **العَيْهَلَة**: الناقة السريعة	**العَيْهُول والعَيْهَال**: المَرَأة الطويلة.
ـ **القُذْعمِلَة**: الضخم من الإبل	**القُذْعمِلَة**: المَرَة القصيرة الحسنة.
ـ **ناقة مُخَضْرَمَة**: قُطِع طرف أذنها	**مَرَة مُخَضْرَمة**: مَخْفُوضَة (مَخْتُونَة).
ـ **الدَرْدَم**: الناقة المسنة	**الدَرْدَم**: المرأة تجيء وتذهب بالليل.
ـ **الدِلْقَم**: الناقة المسنة المتكسرة الأسنان	**الدِلْقَم**: المرأة العجوز.
ـ **العَوْزَم والعَزُوم**: الناقة المسنة ولكن فيها بقيّة.	**العَوْزَم والعَزُوم**: المرأة العجوز أو القصيرة.
ـ **ناقة دَفُون**: ذاهبة على وجهها لا لحاجة أو عادتها أن تكون وسط الإبل إذا وردت.	**امرأة دَوْفَن**: ظهرت بعد كفاء وظهر فيها شر وعَرّ.
ـ **ناقة ذَقُوْن**: تُرْخِي ذِقْنَها في السير	**امرأة ذَقْنَاء**: طويلة الذِقْن.

ـ **الظَعُون**: البعير يُعْتمل ويُحْتمل عليه

الظَعِينَة: المَرَة ما دامت في الهَوْدَج.

ـ **عَجَنت الناقة**: ضربت بيديها في سيرها

مَرَة عَجِينَة: من أهل الرَخَاوة.

ـ **الأُفْنُون**: الجرىء المختلط من النوق

الأُفْنون: العجوز المُسْتَرْخِيَة أو المُسِنّة.

ـ **الـمُغَيِّنة**: الناقة التي يخيل إليك أنها عَشْرَاء

الـمُغَيَّة: العجوز السيئة الخُلُق.

ـ **الـمُتَلَسِّنَة من الإبل**: الخَلِيَّة

مَرَة مُلَسَّنَة القدمين: في قدميها طول ولطافة.

ـ **الناقة البَلْهَاء**: لا تنحاش من شيء مكانة ورزانة

المرأة البَلْهَاء: الغرِيْرَة المغفَّلة أو الكريمة.

ـ **ناقة مُفْرِه ومُفْرِهَة**: التي تنتج الفُره، وقد أفْرَهَت.

الفَارِهَة: الجارية المليحة والفتيّة والشديدة الأكل.

ـ **الكَهَّة**: الناقة الضخمة المسنة

الكَهْكَاهة: الجارية السَمِينَة.

ـ **استَيْدَهَت الإبل**: اجتمعت وانساقت

الوَدْهاء: المَرَة الحسنة اللون في بياض.

ـ **ناقةُ جَبار**: سمينة عظيمة

امرأة جَبَّارة: مستكبرة أو التي تتأبى على بعلها عندما يدعوها.

ـ **العَوَاشي من الإبل**: التي ترعى ليلاً

امرأة عَشْوَاء: لديها سوء بصر بالليل.

غَطَت الناقة وأَغْطَت: ذهبت في سيرها

غَطَت الـمَرَة: سَمِنَت وامتلأت.

ـ **ناقةَ وانِيَة**: فاترَة طَلِيْح

امرأة ونَاء وأَنَاة: حليمة، بطيئة القيام والقعود والمشي.

ـ **ما قرأت الناقة سلاً قط:** ما حملت ولداً	**أقرأت المرأة:** حَاضَت أو طَهُرت (ضد).
ـ **حلب من الناقة لبناً ماصلاً:** قليلاً	**امرأة ماصِلَة:** تُهلك مال زوجها بِخُرقها وسوء تدبيرها.
ـ **ناقة سَالِب وسَلُوب وسَلِيب ومُسَلِّب:** إذا مات ولدها أو ألقته لغير تمام.	**امرأة سَالِب وسَلُوب وسَلِيب ومُسَلِّب:** إذا مات ولدها أو ألقته لغير تمام.
ـ **ناقة شَطِيبَة:** يابسة (ضد)	**الشَطْبَة:** الجارية الحسنة التارّة، وقيل هي الطويلة.
ـ **إسْتَطَرب الإبل:** حَرَّكَها بالحِدَاء فإذا طربت له قيل إنها إبل مَطَارِيب، أما الإبل الطِرَابْ فهي التي تَنْزِع إلى أوطانها.	**مَرَة مِطْرَابة وطَرُوب:** كثيرة الطَرَب وهو الفرح أو خفة تعتري عند الشِدَّة.
ـ **العَجْبَاء:** الناقة التي دُقَّ على مؤخرتها أو التي أَشْرَفَت جَاعِرَتَاها (جزء من مؤخرها) وهي خِلْقَةَ قبيحة.	**العَجْبَاء:** المرأة التي يُتَعَجب من شدة قُبحِها (ضد).
ـ **إبل عَزِيب:** لا تروح على الحيّ	**امرأة عَزِب:** لا زوج لها.
ـ **العَصُوب:** الناقة والتي لا تدرّ أي ترسل الدرّ وهو اللبن حتى تُشَدّ فخذاها.	**العَصُوب:** المرأة الرَسْحَاء أو الزَلَّاء أو المَسْحَاء أو الرَصْعَاء أو المَصْواء أو المِزْلاَق أو المِزْلاَج أو المِنْداص.
ـ **عُكوب الإبل:** ازدحامها	**العَكْبَاء:** الأَمَة (العَبْدَة، المملوكة) العِلْجَة (غير العربية) الجافية الخُلُق.

- **الغَضُوب**: الناقة شديدة الغَضَب

- **بعير تَابّ**: دَبَر ظهره

- **تِرْبَيَة البعير**: مِنْحَرَه (موضع نَحْرِه)

- **الثِلْب**: الجمل الذي انكسرت أنيابه هَرَماً أو تناثر هِلْب (شعر) ذَنَبِه.

- **ناقة حَدْبَاء**: بدت حراقفها وعَظْم ظهرها والحَرَاقِف جمع حَرْقَفة وهي رأس الوِرْك.

- **بعير حَزَابِيَة**: غليظ

- **ناقة حَلْبَي وحَلُوب**: غزيرة اللبن، تُحْلَب

- **الـحَوْب**: الجمل الضخم

- **ناقة مُدَرَبَة**: مُخَرَّجة مُؤَدَبَّة أَلِفَت الركوب والسير في الدروب.

- **ناقة مَذَائِر**: ٠يئة الخُلُق.

الرَذَى: المتروك الهالك من الإبل الذي لا يستطيع بَرَاحاً.

امرأة غَضْبَى: شديدة الغَضَب وكثيرته.

امرأة تابَّة: شاخت وكبرت.

الـمَرَة يُشْرِق ثدياها على تَرِيبِها: صَدْرِها.

امرأة ثِلْب وثِلْبَة: بلغت منتهى الهَرَم فتكسرت أسنانها.

تَحَدَّبَت المرأة: لم تتزوج.

الـحَيْزَبُوْن: العَجُوز أو التي لا خير فيها.

الـحَلْبَاء: الأَمَة الباركة من كَسَلِها.

الـحَوْبَة: الزوجة أو السُرِّيَّة مِلْك اليمين.

الدَارِبَة: الجارية العاقلة والحاذقة بصناعتها أو الطبَّالة الماهرة.

امرأة مذائر: ناشِز (على زوجها).

الرَذِيَّة: الناقة التي قد هَزَلها الجوع والسِلاَل وهو داء ملازم للجسد لا يزال يَسُلّه فيذيبه.

	الرَذِيَّة: كل امرأة أرذاها الجوع تتعرض سائلة.
ـ **ناقة ضَامِرة**: هزيلة وبها لَحَاق البطن	**مَرَة ضَامِرة الحَشَا**: هضمية البطن والجمع: ضَوَامِر.
ـ **اَتلَعت الناقة**: سَمَت بجيدها	**مَرَة تَلْعَاء**: ذات جيد تَلِيْع أي عُنُق طويل.
ـ **البِكْر**: الناقة التي جملت بطناً واحداً وبِكْرها ولدها	**البِكْر**: الجارية العذراء.
ـ **الماشية**: معروفة والماشية النامية يقال مَشَت الإبل أي نمت.	**والمواشي**: جمع امرأة ماشية.
ـ **البَهَاء**: الناقة المستأنسة للحالب	**مَرَة بَهِيَّة**: بيّنة البهاء.
ـ **الوَذْلَة**: قطعة من شحم السنام أو الأَلْيَة	**الوَذْلَة من النسوان**: النشيطة الرشيقة.
ـ **ناقة ثرَّة**: كثيرة اللبن عند الحلب	**امرأة ثَرثارة**: كثيرة الكلام في تخليط.
ـ **خَوَّدت الإبل في سيرها**: اهتزت من النشاط وسيرها تَخْوِيْد	**مَرَة خُوْد**: شابة ناعمة.
ـ **شَقَأ ناب البعير**: طَلَع، يَشْقَأ شَقَاً وشُقُوْاً.	**المِشْقأ**: المِدَرَاة وهي عود تدخله المرأة في شعرها.
ـ **المِقْلاَت**: ناقة تضع واحداً ثم لا تحمل	**المِقْلات**: امرأة لا يعيش لها ولد.
ـ **اللَغُوت**: الناقة الضَجُور عند الحَلَب	**اللَغُوت**: امرأة لها زوج ولها ولد من غيره.

ـ **تَبَدَّح البعير**: عَجَز عن الحمل.	**تَبَدَّحت وبَدَحَت المَرَة**: مشيت مِشْيَة فيها تفكك ولكنها حسنة.
ـ **ناقة عَائِط**: أنزى عليها الفحل فلم تَحمِل	**امرأة عائط**: لم تَحمِل منذ سنين من غير عقر.
ـ **أعطاه من حشو الإبل حاشيتها وحواشيها.**	**مَرَة ضامرة الحَشَا ونسوان ضَوَامِر الحَشَا.**
ـ **عَطِشَت الإبل**: ظمأت بشدة	**مَرَة عَطْشى الوِشَاح**: خَصرها ضَامِر (من المجاز).
ـ **نوق عَطِرَات ونياق مَعَاطِير**: حِسَان كرام.	**مَرَة عَطِرَة ومَعْطِرَة ومِعْطَار**: تَتَضوع مسكاً وطيباً ونساء مَعَاطِير وعَطِرَات.
ـ **ناقة بها غُبْرَة**: بقية لبن **وتَغَبَّر الناقة**	إِختَلَب غُبْرَها.
	تزوج أعرابي امرأة مُسِنّة فقيل له ولِم؟ فأجاب: لعلي **أَتَغَبّرُ** عنها ولداً ما يُشَقّ غبارُه. هذا الأعرابي وهو يرد على السؤال كانت الناقة تحتل تفكيره وتملأ عليه أقطار نفسه.
ـ **ابل مُنفِجَة المَغَارِص**: جمع مَغْرِص وهو المِخزَم أي حِزَام الرَحل أي مشدودتها.	**امرأة ذات أنف غارص**: بيِّن الغَرَضان وهو انحدار في قصبة الأُنف من جانبيه معاً أو هو الأنف الطويل.
ـ **ناقة آثِمَة**: بطيئة السير	**إمرأة آثم**: فاجر.
ـ **الإخذ**: سِمَة يُوسم بها البعير إذا خِيف مرضُه.	**الأُخْذَة**: الرُقْيَة وهي التي تؤخذ بها الرجال لكي تعجز عن إتيان النساء (وتسميها العامة في مصر الرَبْط أو الرُبَاط أو العَقْد ا.هـ.

ـ **عَالَل الناقة**: حَلَبها صباحاً وظهراً ومساء.	**العَلَّة**: المَرَة التي يتزوجها الرجل بعد زوجته الأولى التي كان قد نَهِل منها ثم عَلّ من هذه (العَلّة أي الزوجة الثانية).
ـ **ناقة عَلُوق**: ترأم ولدها ولا تدرّ.	**امرأة عَلُوق**: فَرُوك من الفَرْك أي التي تبغض زوجها سريعاً.
ـ **ناقة بَكْرَة**	**امرأة بِكْر**.
ـ **خَوِيَت الناقة**: خَلا جوفها من الطعام	**خَوِيَت المرأة**: جاعت.
ـ **قَرَأت الناقة**: حَمَلت	**أَقرَأت المرَة**: حَاضَت أو طَهُرَت (على اختلاف).
لَطَّت الناقة بذنبها: جعلته بين فخذيها أثناء عدوها.	**لَطَّت المرة الكُحْل بعينها**: لَزَقَته.
ـ **كثرت في الإبل المَخَاض**: النُوق الحوامِل.	**تمخضت المَرَة الحَامِل ومَخَضت مَخَاضاً**: ضَرَبها المَخَاض فهي مَاخِض ونسوةَ مَوَاخِض.
ـ **ناقة دَرْدَاح**: أكلت أسنانها ولصقت بحَنكها كِبَرَاً	**امرأة دَرْدَح**: طولها وعرضها سواء.
ـ **المَهَار**: عود في رأسه فَلَكة يوضع في أَنف البَخْتِيّ (نوع من النياق)	**المَهْر**: صداق المرأة. وهكذا ينظر اليعربيون إلى صداق الزوجة يدفع إلى وليها لتذليلها ورياضتها.
ـ **الفِرْشَاح والفِرْسَاح**: الناقة **وتَفَرْشَحت**: تَفَحَجَت للحلب.	**الفِرْشَاح والفِرْساح**: المرأة السمجة.

ـ **ناقة فَطُوح**: ضخمة البطن	**فَطَحَت المرأة بولدها**: رَمَت به.
ـ **مَصَح لبن الناقة**: ذهب وانقطع	**مَصَح ثديّ المَرَة**: رَشَح (ضد).
ـ **القَفْخ**: الناقة السمينة	**القُفَاخ**: المَرَة الحَسَنَة الخَلْق الحادِرَة.
ـ **تَمَدَّخت الناقة**: تماكست في سيرها	**تَمَدّخت المَرَة**: تماكست في سيرها.
ـ **عَصَاوِيد الإبل**: العِطَاش منها	**امرأة عَصْوَاء**: شديدة صاحبة شر.
ـ **خيّمت الناقة في مِرْبضها**: أقامت ولزمته ولم تبرحه.	**خيّمت المَرَة جسدها**: غطته بالطيب حتى تَعْبق منه الريح الزكية.
ـ **ضَرْع حافل وضُروع حُفْل وحوافِل**: مليئة باللبن	**تَحَفَّلت المرأة**: تَزَيّنت ولبست ثياب الحَفْلَة.
ـ **الجَدّاء**: الناقة التي لا سنام لها	**الجَدّاء**: المرأة التي لا ابن لها.
ـ **بعير سحّاج**: يَسْحَج (يقشر) الأرض بخُفه	**امرأة سَحُوج**: تسجَح الإيمان.
ـ **ناقة زَلْجى وزِلِيجَة**: سريعة	**امرأة مِزْلاج**: رَشحاء مَسْحَاء لا أرداف لها. وكانت العَزْباء لا تكره شيئاً قدر كراهيتها للمرأة المِزلاج.
ـ **غَضَنَت الناقة بولدها**: ألقته لغير تمام	**غَاضَن المَرَة**: غازلها بمكاسرة العينين.
ـ **الفَالِج**: الجمل الضخم ذو السنامين يُحْمَل من السند للفَحْلَة.	ـ **امرأة مُفلّجة الثنايا**: مُتفرجتها.
ـ **العَرِيج**: الناقة التي وضعت أول بطن حملته	**العَرِيج**: المَرَة تكون في الثوب الواحد.

ـ **أحارت الناقة**: صارت ذات حُوَار وهو ولدها	**الـحَوْزُوْرَة**: المَرَة البيضاء.
ـ **ناقة كَلْواء العين**: شديدة العين لا يغلبها النوم	**امرأة كَلْواء العين**: تسهر ولا تنام الليل. **مَرَة لعينك فيها مَكْلأ**: تُدِيم النظر إليها كأنك تَكْلَؤُها لشدة إعجابك بها.
ـ **أجمع ناقته**: صرّ أخلافها	**جمعت الجارية الثياب**: لبست الدِرْع والخُمار والمِلْحفة وذلك عند بلوغها وحيضها إعلاماً بتجاوزها سن الطفولة وهو أشبه بـ(طقوس الانتقال) والدِرع والخُمار والمِلْحفة كان لدى أولئك اليعاربة أقصى ما تلبسه المرأة وذلك قبل اختلاطهم بالشعوب ذوات الحضارة العريقة الفارعة.
ـ **إبل مَرَاجِح ذات أراجِيْح**: تهتز في ركابها	**مَرَة راجِح ورَجَاح**: عَجْزَاء.
ـ **العَكرة**: القطعة من الإبل وأصل اللسان	**العَكْبَرة**: المرأة الجافية في خُلُقها.
ـ **ناقة دكّاء**: لا سنام لها	**امرأة مُدِكّة**: قوية على العمل.
ـ **الجُلاَعِد**: الجمل الشديد	**الجَلْعد**: المُسِنَّة من النساء.
ـ **ناقة سَلُوب ونياق سَلاَئِب**: أُخذ ولدها.	**امرأة مُسلب**: ثكلى لبست السِلاَب (الحِدَاد) وتَسَلَّبَت وسَلَّبَت على ميتها فهي مُسْلِب.

ـ **ناقة نَزْرة**: مات ولدها وتَرَأَمت غيره

امرأة نَزْرَة ونَزَوْر: قليلة الولد أو اللبن.

ـ **ناقة دَزْدَاء أو دَزدَم**: مُسنة ذهبت أسنانها.

امرأة دَزْدَاء: سقطت أسنانها من الكِبَر وبقيت أصولها.

ـ **أزغَدوا إبلهم**: تركوها وسومها

نساء رَغَد: عشن في سعة.

ـ **حَالَت الناقة فهي حائِل**: غير حامل.

هذه المرأة لا تضع إلاّ تَـحَاوِيل ولا تلد إلاّ تَـحَاوِيل: تلد سنة وسنة لا.

ـ **ناقة ذارِعة بائِعة**: تمدّ ذراعيها وباعها في سيرها.

امرأة ذَرَاع: سريعة اليدين في الغَزْل.

ـ **ناقة مِذْعان**: مُنقَادة سَلِسَة الرأس والقياد

امرأة مِذْعان: مطواعة، منقادة، خاضعة.

ـ **خَجِل البعير بِحمله**: ناء به خَـجِـل الجمـل فـي الـطين والوَغْث: ارتطم وتحيّر.

خَجِلَت المرأة: فعلت ما يوجب الخجَل.

ـ **ذَنّ أنف الناقة**: سال بماء خاثر ذنّ ذنوبنا

امرأة ذَنّاء: لا ينقطع طمثها.

ـ **ناقة غُول النَجَاء**: بعيدته

تَغَوّلَت المرأة: تشبهت بالغُوْل في تلونها.

ـ **بَأَت الناقة في عَدْوِها**: جَهِدَت فيه

بأت المرأة: تكبّرت أو تسامَت وتعالَت.

ـ **ناقة جَلْعَبَة**: طويلة في هَوَج

امرأة جَلْعَبَانة: صاخبة، مِهْذَارة، سيئة الخُلُق.

ـ **إبل مُـجَلْحَبَة**: مُجْتَمِعة

الـجِلْحابة: المرأة الكبيرة الهَرِمَة.

ـ **ناقة جَشِبَة**: ضخمة شديدة	**امرأة جَشُوبُ**: خَشِنَة قصيرة.
ـ **ناقة خَرْقَاء**: لا تتعاهد في مواضع قوائمها من الأرض.	**امرأة خَرْقَاء**: لا تحسن تدبير الأمور.
ـ **ناقة تأقَف فحلها**: تبين حَمْلها	**امرأة تأقَف زوجها**: تبين حَمْلها.
ـ **أنِفَت الناقة**: وقع الذباب على أنفها فطلبت أماكن لم تطلبها من قبل.	**أنِفت المرأة**: لم تشتهِ شيئاً لشدة وَحَمِها.
ـ **أفِنت الناقة فهي أفِنة**: قلّ لبنها	**أفِنت المرأة**: ضَعُف عقلها.
ـ **ناقة مِنْشِير**: نشيطة	**امرأة مِنْشِير**: نشيطة.
ـ **الهَأْهَأة**: دعاء الناقة إلى العلف	**جارية هَأْهَأة**: ضاحكة.
ـ **هَجَأَ الناقة**: كفها لترعى	**امرأة هَجّاء**: حَمْقاء.
ـ **المباءة**: المِعْطن مكان إناخة الإبل	**المباءة**: مُتبوأ الولد من رحم المرأة.
ـ **الناقة المُتَهيِّئة**: التي قلما تُخلِف أن تَحمِل إذا قُرِعَت.	**تَهيأت وتهيعت المَرَة للرجل**: تَزينَت واستعدت لملاقاته.
ـ **دَرَس ناقته**: راضها	**دَرَست المرأة**: حاضت. دَرَس مَرَته: لامسها. هنا نرى اليعربي يماثل ما بين ترويضه وتذليله لناقته وبين ملاقاته لمَرَته مع أن هذا الفعل الأخير من الطبيعي أن يتسم بالمودة واللطف... الخ.
ـ **هَدَرتْ رَقْشاء البعير**: شَقْشَقَتُه	**رقّشت المرأة**: نمّت لأنها تزين نمّها وتزخرفه.

ـ **ناقة رَوْاْع الفؤاد وَرَوْعَاء**: أصابها الروع	**امرأة رَوْعَاء**: أصابها الرَوْع.
ـ **ناقة ذات قَتَال**: ذات نفس وثيقة أو كدنة بيّنة الكدنة وهو السنام والشحم واللحم.	**تقتّلت الـمَرَة**: تخضّعت وتذلّلت حتى يعشقها زوجها والعربية تفعل ذلك لأنها تعلم يقيناً أن التذلل والتخضّع والتخشّع هو السبيل الوحيد لقلب بَعْلها وسيدها ومالك زمام كل أمورها.
ـ **ما قَرَأت الناقة سلاً... قط**: ما حَمَت ولداً.	**جارية مُقْرِأَة**: لا يقربها مشتريها (سيدها) حتى تحيض.
ـ **زَافَ البعير**: مشى مسرعاً مِشْيَة فيها تمايل.	**زَافَت المرأة**: في مِشْيَتِها كأنها تستدير.
ـ **أَزْلَقَت الناقة**: أجهضت.	**تَزَلَّقت الـمَرَة وتَزَهلَقَت وتزَقَّعت**: تزيّنت وصبغت بدنها بالأدهان ونحوها لكي يصير كالمَزْلَقَة وحتى يكون للونها ولبَشَرَتها بريق.
ـ **الـرجعة في الإبل**: ارجع بابله ابلاً واستبدلها ببيعها واشترى بثمنها غيرها تسمى: الرَجْعَة.	**رَجْعَة المرأة**: يملكها زوجها بعد الطلاق الرجعِيّ.
ـ **رَمَت الناقة الزَبَد على مَلاَغِمها**: حول فمها.	**تلغمت الـمَرَة بالطِيب**: جعلته على ملاغِمها، **ومَرَة حسنة الملاَغِم والـمَراغِم** وهي طرف الأنف وما حوله إلى الشفتين.

ـ **مَشَطَت الناقة تَمْشِيطاً**: صارت على جنبيها أمثال الأمشاط من الشَحْم.	**إمتَشَطت المرأة ومَشّطَت شعرها فهي** حسنة المِشْطَة.
ـ **فحل مُنجِب**: معروف	**مَرَة مُنجِب ومِنجَاب ونسوان مَنَاجِيب.**
ـ **كَهِدَت الناقة**: أسرعت في مِشْيتَها	**الكَهْدَاء**: الأَمَة لأنها تسرع في أداء المَهْنَة (الخِدْمَة).
ـ **المِبْثَر**: المكان الذي تلد فيه الناقة	**المِبْثَر**: المكان الذي تلد فيه المرأة.
ـ **نَعَجت الناقة في سيرها**: أسرعت	**إبل نَوَاعِج**: سِرَاع.
	مَرَة ناعِجَة ونسوان نُعج المَحَاجر: جميلات ذوات عيون وسيعة.
ـ **حَجَمْتُ الجمل**: جعلت عليه حِجَاماً لئلا يعض	**حَجَم ثَدْيّ الجارية**: نَتَأ.
ـ **نَفَرت الناقة**: ضمتْ مؤخِرَها فمضت	**امرأة نَفَرَى**: غَيْرَى.
ـ **اللَطْلَط**: الناقة الهَرِمة	**اللَطْلَط**: المرأة العجوزة.
ـ **المطرف**: الجمل ينتقل من مرعى إلى مرعى	**مَرَة طَرْف الحديث**: حسنة الحديث يستطرفه من سمعه.

* * *

هذا هو التأثير الطاغي للإبل عامة وللناقة خاصة على وجدان اليعربي اليشجبي وعلى خياله وتصوراته وكيف أنها ملكت عليه جميع حواسه فلا يرى إلاّ إياها ولا يشعر بوجود كائن قدر شعوره بها وعندما التفت إلى المرأة ـ وكما قلنا فيما سبق أنه ركّز على

جسدها وأولى الجزء الأسفل مساحة وسيعة للغاية من التركيز - عاينها خاصة من منظور (نَاقَوِيّ) إن صح هذا التعبير فإن حازت المزايا التي يستملحها في الناقة والمناقب التي يستجيدها فيها غدت عنده أثيرة ومن نفسه قريبة وإلى قلبه حبيبة أما إن باينت نعوتها وخالفت صفاتها فإنها تغدو كريهة مَشْنُوءة منبوذة وتصبح موضع هُزْئِه ومحَطّ سخريته يُطلِقُ عليها أشنع الألفاظ وأبشع الكلمات وأفظع التعبيرات.

لقد كانت الناقة لأحفاد يَشْجُب هي الميزان الأهم - هناك موازين جانبية سوف نُفَصّل القول فيها على قدر استطاعتنا فيما يستقبلك من أبواب - الذي يزن به أنثاه فإن مالت كفّتها لجهتها فقد حازت قَصَب السَبْق أما إن شالت فسحقاً لها واللعنة عليها.

وطغيان الأنعام على عقل أولئك اليعاربة وتفكيرهم أمر يشد الانتباه بقوة إذ من النادر أن تجد حيواناً (وهنا نعني الإبل عموماً والناقة حصراً وتحديداً في مسألة المرأة ا.هـ.) ترك بصماته واضحة قوية في لغة شعب من الشعوب مثلما فعلت الإبل ومعلوم أن اللغة واللسان (على اختلاف بينهما ليس هنا موضع ذكره ا.هـ.) تمر في تلافيف مخ الإنسان قبل أن يتلفظ بها - أي أن التأثير تأثير الإبل عموماً والناقة خصوصاً - بدأ بالمخ قبل أن يجري على اللسان (آلة النطق).

فاللغة أساساً قدرة ذهنية تتولد أولاً في ذهن الناطق بها ثم تنمو بعد ذلك أي أن منطقة الدماغ بما فيها من مراكز متعددة هي المحطة الأولى التي تنطلق منها ألفاظ اللغة وتركيباتها المتنوعة ثم ترسو على مرفأ آلة النطق أو اللسان الذي يشفِّرها (من الشفرة) إلى أصوات مُعَبِّرَة يسمعها ويفهمها (يفكّ شفرتها) من يخاطبهم من أبناء

مجتمعه (لأنهم إن كانوا من مجتمع آخر عجزوا عن فهمها أي فكّ شفرتها إلاّ إذا تعلموها ا.هـ.).

نخلص من ذلك إلى أن الإبل على ذهن اليَعْرُبيِّيْن (وفي خصوصية المرأة كانت السيادة للناقة ا.هـ.) بحيث يمكننا أن ننعته بأنه ذهن (إبلَويّ) إذا صحت هذه النسبة وفي مضمار الأنثى أو المرأة ذهن (نَاقَوِيّ) أيضاً إن صحت هذه النسبة ـ ولعل مما له دلالة قوية لما ذكرناه فيما سبق أن أولئك الأعاريب أطلقوا على البعير ألف لفظ وعلى الناقة ما يزيد على ربع هذا العدد (مائتين وخمسة وخمسين) ـ وهذان الرقمان يغدو من الخِفَّة والطيش بل ومن الحماقة أن نمر عليهما مرور الكرام وألا نتفرس ملياً في الإيحاءات الكامنة فيهما وفي الدوافع إليهما وفي البواعث النفسية المحيطة بهما إذ من العسير إنْ لم يكن من المستحيل أن تعثر على لغة بها ألف لفظ لمعنى واحد.

ولا يقال رداً على ذلك أو ربما تبريراً له أن الأنعام كانت بالنسبة لأبناء يعرب هي عماد حياتهم وركيزة معيشتهم فهناك شعوب تأسست معايشها على حيوان مثل الرنّة بالنسبة للأسكيمو والحصان بالنسبة إلى قاطني السُهُوب والبراري...

ومع ذلك لم تنظر إلى جميع الأشياء من خلاله. إذن ما هو التعليل الصحيح أو الأقرب إلى الصحة؟ يأتي في المقدمة إنخفاض المستوى الحضاريّ إذ لو أن أولئك العربان لديهم مُسْكة من حضارة أو إثارة من مدنية لما انصرفوا إلى بُعْرانهم ذلك الانصراف الفريد، ولعل القارىء الفَطِن التفت إلى أن كلمة (عُربان) هي مقلوب (بُعْران) ويُسمَّى ذلك في فقه اللغة «القَلْب».

كذلك مماثلة للإبل لليعاربة في كثير من الخواص النفسية مثل

الصبر والتحمل لقساوة الجو اللافح في الصحراء والجوع والعطش... والثورة العارمة عند الاستفزاز أو الاستثارة... الخ.

والاكتفاء بالطعام القليل وقت الضرورة ولأيام متوالية والاعتياد على الأكل الجشب (الخشن)... والأَنَفة من الضيم وكراهة الذل.

وكما أن الإبل ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم كذلك كان اليعربي يأكل ما لا يطيق غيره أكله مثل الجراد والضبّ واليربُوع بل والخنافس والجُعْلاَن والعِلْهَز.

ومثلما أنه ليس لشيء من الفحول مثل ما للبعير عند هيجانه إذ يسوء خلقه ويظهر زبده وروغاؤه كذلك الأعرابي إن غضب فإنه لا حدود لغضبه ويقال «غضبة مُضَرِّية» نسبة إلى قبيلة مُضْر.

وإذا اغترب البعير عن موطنه سُمع لهُ رُغَاء وحنين ويماثله في ذلك العربي في تِحنَانه لموطنه ومربع صباه وكما يبعث الحِدَاء في نفس البعير النشاط ويطرب له فإن الأعرابي يطرب للغناء ويستلذه[١٨].

من هذا نستطع أن نزعم أن اليَعْرُبي امتزج مع بعيره امتزاجاً فاذّاً بل إنه تماهى فيه حتى يمكن أن يقال إن هناك عملة واحدة لها وجهان:

وجه إنساني هو اليعربي وآخر حيواني هو البعير.

وترتيباً عليه فقد كان من البديهي لا من الطبيعي فحسب أن يغدو المقياس الذي يقيس به أحفاد يَشْجُب المرأة هو المقياس «النَاقَوِيّ» وإنْ ساندته مقاييس أخرى يمكن أن نصفها أنها جانبية أو مساعدة (معاونة) كما سوف يجيء في الأبواب القادمة.

---

(١٨) لمن يريد مزيداً من صفات الإبل/ البعير فعليه بكتاب **الحيوان** للدميري.

الباب الثاني

المرأة . الفرسة

هل هي الفرسة أو الفريسة:

اختلف المُعْجَمِيون، بعضهم أجاز قول: الفرسة باعتبار أنها مؤنث يطلق على الأنثى من الخيل، والآخر منعه فإذا أردت أن تدُلَّ إليها (= الأنثى) فقل فُرَيْسَة.

(الفرس للذكر والأنثى أو هي فرسة)[1].

ولكن مجمع اللغة العربية يذهب إلى أن (الفرس واحد الخيل.. الذكر والأنثى في ذلك سواء)[2].

والرازي حظر كلمة فرسة (ولا يقال للأنثى فرسة... فإن أردت الأنثى خاصة لم تقل إلاّ فُرَيْسة)[3].

أما المقري الفيومي فقد توسط إذ قطع أن كلمة فرس تطلق على

(١) **القاموس المحيط** للفيروزأبادي.
(٢) **المعجم الوسيط** لمجمع اللغة العربية.
(٣) **مختار الصحاح** للرازي.

الذكر والأنثى بلا تفرقة بينهما ولكن عند التصغير أجاز أن يقال فُرَيْسَة قياساً على تصغير الذكر فُرَيْس(٤).

ونحن نميل إلى إجازة إطلاق كلمة الفرسة على الأنثى ومن ثم عمدنا إلى وضعها في عنوان هذا الباب وذلك لعدة أسباب منها:

أ ـ التمييز بين الذكر والأنثى.

ب ـ ذهب إليه بعض علماء اللغة منهم ابن الأنباري وحكاه يونس سماعاً عن العرب(٥).

ج ـ ما تفعله العامة ونحن دائماً معهم لا بالدفاع عن حقوقهم المهضومة فحسب بل لأننا نؤمن بأن لهم حساً فطرياً لا يخيب يساعد دائماً على رفع الالتباس.

ونحن نعلم علم اليقين أن الزجّ بالعامة في مُشْكِل لُغوي يثير امتعاض وبل وربما سخرية المتحذلقين ولكننا لا نبالي.

خلاصة القول إننا اخترنا كلمة الفرسة تعبيراً عن أنثى الخيل مع استعمالنا لكلمة فُرَيْسَة في بعض الأحيان إذا تعلق الأمر بالفتاة حديثة السن: الجارية.

* * *

أما كلمة الخيل فقد تطلق على الفرسان أي راكبيها ففي القرآن ﴿واجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾(٦) أي بفرسانك ورَجّالتك كما تطلق على الحيوان ذاته.

---

(٤) **المصباح المنير** للمقري الفيومي.

(٥) المصدر السابق.

(٦) **القرآن الكريم**، سورة الإسراء: الآية ٦٤.

والخيل معروفة وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها والجمع خيول وقصرها البعض على العِراب وعلى البراذين وعلى الفرسان أنفسهم أما غير ذلك فلأ وسميت خيلاً لاختيالها وهو إعجابها بنفسها مرحاً ـ ومنه يقال اختالت المرأة إذا مشت متبخترة متدلّلة بجمالها وحسنها ـ ومن الخيلاء وهي التكبر والعُجْب والجمع أخيال وخيول والمَخيَلَة موضع الخيل واستعيرت للظن لأن أصل اللفظ يدل على التوهم والظن واعتقاد ما ليس حقاً فيقال للسحابة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة (مُخْيِلَة)...

وخَيّل للناقة وأَخْيل: وضع لولدها خيالاً ليفزع منه الذئب(٧).

ورجل مَخيول: طار عقله فزعاً، ويقال فلان يمضي على **المخْيَل**: على ما خيلت له نفسه من غير أن يكون له رصيد من الواقع ـ والخَيَّال صاحب الخيل أو الفارس الذي يجيد ركوبها وهو الأصح(٨).

الحصان هو الذكر من الخيل والجمع حُصُن وأحصنة ولا مؤنث له فلا يقال حصانة.

وسمي كذلك إما:

أ ـ لأنه كالحصن لراكبه لا ينال منه أحد أي لا تمتد يده إليه إذ إن الحصن هو الموضع الذي لا يوصل إلى جوفه ومنه قيل للمرأة العفيفة وذات البعل (الزوج) حَصَان ومُحْصَنَة وفي القرآن: ﴿والمحصنات من المؤمنات

(٧) العامة في مصر تقول: خيال المآتة.

(٨) المصادر السابقة ذاتها.

والمحصنات من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم﴾[٩] أي الحرائر (ج .حرة) وتحصَّنت فهي حَاصِن وحَاصِنَة وحَصْنَاء.

والإحصان هو النكاح (الزواج) الصحيح.

ب ـ أو لأنه ضن بمائه فلم ينز إلاّ على كريمة.

ولذا كان لفظ حصان لا يطلق إلاّ على هذا ـ ثم كثر ذلك حتى سُمِّي على ذكر الخيل حصاناً وإن لم يكن عتيقاً[١٠].

* * *

تلك كانت الأسماء (الثلاث) التي أطلقت على ذلك الحيوان الذي لعب دوراً متميزاً في حياة الأعاريب وإن لم يبلغ شأو الإبل.

فإذا استعرنا مصطلحات السباق فإن البعير يعتبر السابق والحصان يعتبر المُصَلِّي (التالي أو الذي يجيء بعد السابق) وهي مفارقة طريفة ولكن المقياس هذا ليس هو السرعة ولكنها الحوجَة (كلمة عربية فصيحة) أي الافتقار ثم الحميمية ولا يماري أحد في أن كفة البعير في كليهما هي الراجحة ذلك أن أحفاد بني يشجب إذا كان قد طُلِب منهم الاستغناء عن واحد من هذين الحيوانين لما ترددوا لحظة ولفضَّلوا البُعْران على الخيول، ولكن لا يُستدلّ منه على أن دور الأخيرة كان ثانوياً أو ضامراً أو هزيلاً أو نحيلاً...

ولكن ما نرمي إلى تقريره هو أن دور الحُصُن على علوه وارتفاعه لم يبلغ قامة الدور الذي أدته الأنعام لدى العَرْبَاء ـ وترتيباً على ذلك كان أثر الخيل على لسانهم (لغتهم) أقل كثيراً من أثر

---

(٩) **القرآن الكريم**، سورة المائدة: الآية ٥.

(١٠) المصادر السابقة.

البعير، ومن هنا نجد الألفاظ (أسماءً كانت أم صفاتٍ... الخ) التي استعاروها من الناقة ودنياها الرحيبة إلى فضاء المرأة ـ أغلظ وأضخم بما لا يقاس من تلك التي نقلوها من الفَرَسة ومِضْمارها (**المِضْمَار**: المجال الذي تتسابق فيه الخيول ا.هـ.).

وقبل أن نشرع في إيراد أمثلة من تلك الألفاظ يحسن بنا أن نعرّج متعجلين على بعض ما تيسر لنا من كتب السلف التي تناولت إما ببسط أو إيجاز (الخيل).

* * *

يوضح لنا أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي أهمية الخيل لدى اليَعْرُبيين (لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئاً من أموالها ولا تكرم صيانتها الخيل وإكرامها لها لما كان لهم فيها من العز والجمال والقوة على عدوهم حتى إن كان الرجل من العرب ليبيت طاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده فيسقيه المحض ويشرب الماء القُرَاح ويعيِّر بعضهم بعضاً بإذالة الخيل وهُزَالها وسوء حالها ويذكرون ذلك في أشعارهم... الخ)(١١).

ويزيدنا الدميري توضيحاً لمنزلة الخيل عندهم فهي (أشرف ما رُكب من الدواب)(١٢).

---

(١١) **كتاب الخيل** لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي تيم قريش المتوفى سنة تسع ومائتين هجرية بالبصرة رواية أبي حاتم سهل بن حاتم السجستاني عنه رواية أبي يوسف الأصبهاني ص ٢، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند.

(١٢) المختار من كتاب **حياة الحيوان الكبرى** لكمال الدين الدميري، الجزء الأول ص ٣٥٦.

ومن أجل ذلك كانوا يتفاءلون بها حتى لو رأوها في أحلامهم فهي في المنام قوة وزينة معاً (فمَن رأى منها شيئاً نال قوة وعزاً وربما دلّ ذلك إلى إتساع حاله وإدْرار رزقه وانتصاره على أعدائه)(١٣).

وفي الوقت الذي كانوا يُخْصُون سائر البهائم لأسباب متعددة وبقدر كبير من السهولة والخفة ولا يتجرجون من ذلك كانوا لا يُقْدِمُون على خِصَاء الخيل إلاّ لعلة وحيدة، تبلغ حد الضرورة القصوى التي لا معدّى عنها وذلك لنفاستها وثمانتها عندهم وتلك الضرورة خاصة بالحرب إذ من المعروف أن الغارات كانت تشكل طقساً اجتماعياً شائعاً لديهم وموردا من موارد دخولهم فقد جعلت أرزاقهم في سيوفهم، فعندما كانوا يشنون الغارات ليلاً كان صهيل الخيل عائقاً أمامهم إذ إنه ينبّه عدوهم وكذلك في الكمائن أو الأكمنة التي كانوا ينصبونها له (= لعدوهم) إزاء لم يكن بد أمامهم من القيام بعملية خِصَاء لأفراسهم لأن الحصان الخصْيّ لا يصهل (وكانوا يُخْصوْن الخيل.... لعلة صهيلها وإذا أكمنوا الكمناء)(١٤).

ولكن الإسلام نهى عن ذلك واعتبره من المُثْلة.

ولفرط مباهاتهم بالخيل جعلوا لكرائمها أنساباً مثل بني آدم وهناك العديد من الكتب التي ذكرت مشاهيرها وأنسابها ولم يقع ذلك لحيوان آخر ولا غرو فهو:

---

(١٣) المصدر نفسه والصفحة عينها.

(١٤) **كتاب الحيوان** لأبي عمر بن بحر بن عثمان الجاحظ ت. سنة ٢٥٥هـ، ص ٦٠، طبعة ١٣٢٣هـ بالمطبعة الحميدية المصرية.

(أحسن الحيوانات شكلاً بعد الإنسان وأشد الدواب عَدْوَاً وذكاءً وله خصال حميدة وأخلاق مرضية وله صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء وحسن طاعته للفارس كيف شاء صرفه وانقاد له ومن الخيل ما لا يبول وما يروث ما دام الراكب عليها... ولما كان الإنسان لطيف البدن بطيء المشي كثير العدو ومن جنسه وغير جنسه وحركاته قاصرة عن الوفاء من الطلب والهرب اقتضت الحكمة الإلهية خلق هذا النوع من الحيوان وهداه إلى تذليلها وتصريفها في إنجاح مقاصده ليقوم مقام الجناح: للطائر والقوائم: للبهائم والدواب... الخ)[١٥].

ولعل هذا القدر فيه الغناء وبداهة هو لم يستوعب ما خطّه السلف عن الفرس ولكنه قدم من الأمثلة ما يعطي فكرة سريعة عن تلك الكتابات التي هي بدورها تعكس مكانة ذلك الحيوان الجميل الفاره لدى العربي.

* * *

بعد ذلك ننتقل إلى ضرب آخر مما سطر عنه ونعني الكتابات الحديثة:

(استخدم الجواد لأول مرة في الركوب بعد سنة ٥٠٠ق.م. وربما في تاريخ متأخر يرجع إلى أول عهد المسيح، كسب البدو العرب الذين يستخدمون الجمل حيواناً يمتطون صهوته وبهذا أتيح لهم أن ينازل بعضهم بعضاً باقتدار وأمكن بذلك أن يبدأ العصر الذهبي للحياة العربية في الصحراء)[١٦].

(١٥) **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات** زكريا بن محمدية محمود القزويني (٦٠٠/٦٨٢هـ).

(١٦) **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد السادس، ص ٤٣١، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي ود. عبد الحميد يونس طبعة كتاب الشعب/ مصر.

وينفحنا جوستاف لوبون بلوحة رائعة عن الحصان العربي:

(إن الخيول العربية وهي قوية، عصبية رشيقة مفتخرة بعتقها مختالة في مراتعها مثال الكمال في صفاتها وهي برؤوسها الصغيرة النحيفة وأحداقها الوهّاجة ومناخيرها الواسعة وكواهلها الناهضة وجوانبها الممتلئة القصيرة وأكفالها الطويلة وذيولها المتموجة وقوائمها الدقيقة المتينة عنوان الجمال، وهي بدعتها وبأسها وقناعتها وسرعة عدوها تفضل أحسن الأنواع الأوروبية... وعندما تلد الحِجْر (الأنثى) الأصلية مهراً يجتمع في المَضْرِب (الخيمة العظيمة) أناس ليكتبوا شهادة عن وصفه واسم أمه ونسبها ويضعونها في كُيَيْس جلدي يربط بنحره فيدخل. بذلك في زمرة الجياد المرموقة التي أدى الطمع فيها إلى اقتتال القبائل غير مرة...

وسرعة عدو الفرس هي التي تنقذ حياة المقاتل في الصحراء غالباً.

إن الخيول العربية لا تعرف إلاّ مشيتين: الخَطَاء والعَدْو وإن انقيادها لصاحبها جدير بالذكر... وعلى ما في الخيل من الفائدة لا تتوالد كثيراً في جزيرة العرب خلافاً لما يظن وسبب ذلك أن الخيل وهي عكس الجمل الذي يمكن تربيته في كل مكان، لا تنشأ إلاً في البقاع الخصبة كسهول العراق وسورية ونجد وفي نجد أعز الخيول وأرشقها)(١٧).

إن قلة توالد الخيل في جزيرة العرب التي يرجعها جوستاف لوبون لحتمية نشأتها في البقاع الخصيبة أدت إلى ندرتها في الحجاز الذي وصفه القرآن بأنه غير ذي زرع:

فـ (لم تكن الخيل في الحجاز عند ظهور الإسلام كثيرة ففي معركة

(١٧) **حضارة العرب** لغوستاف لوبون نقله إلى العربية عادل زعيتر، ص ٤٤ - ٤٥، ١٩٦٩م، عيسى الباب الحلبي وشركاه بمصر.

بدر لم يكن مع المسلمين سوى فرسين، فرس للمقداد بن عمرو، وفرس لمرتد بن أبي مرثد ولم يكن مع قريش سوى مائة فرس، فقد كانت غالية الثمن وتكاليفها عالية فعسر على من لا مال له شراؤها والإنفاق عليها..)(١٨).

ونظراً لقلة الخيل النسبية وبالتالي وكما هو معروف الندرة تغلي الثمن وترفع القيمة كانت لها نفاستها لدى بني يَعرُب بالإضافة إلى مناقبها الأخرى مثل الجَمَال ولحوجتهم إليها خاصة في الغارات التي كانوا يشنونها بعضهم على بعض بصفة تكاد تكون مستمرة. من جِمَاع هذه العناصر ندرك عنايتهم بها وحرصهم عليها، ومن طول معاشرتهم إياها عرفوا كل صغير وكبير عنها: أنواعها، أوصافها، أسنانها (نعني مراحلها العمرية)، ألوانها، أحجامها، عيوبها، أمراضها، مشيتها، أصواتها، ما يُستملح منها وما يُكره، نتاجها، سِفَادها، عَدْوُها، رياضتها، علاجها، ميزاتها، سماتها، طعومها أشربتها، نعوت صغارها، أخلاقها، أجزاء جسمها تفصيلاً، أبوالها، أرواثها، أركابها وأرسانها وسروجها.... الخ. الخ. الخ.

* * *

وفي مجال إسقاط أسماء الحِجْر (الفَرَسة) وصفاتها على المرأة من قبل الأعاريب نلقي حزمة من الضوء تزيد الأمر انكشافاً بأن نورد على سبيل المثال بعضاً من أوصاف عيون الخيل ونعوت الأعناق (جمع عنق) ثم نُرْدِفُها بعدد من العيوب الخلقية:

أ ـ العيون:

(**ومن العيون:** نجلاء وكحلاء وشجراء ومحملقة وجاحظة وغائرة

---

(١٨) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، د. جواد علي، ص ١١٦، الجزء السابع، مرجع سابق.

وزرقاء ومغربة وحوصاء وخوصاء فأما النجلاء: فالضخمة - والكحلاء - الشديدة السواد والشجراء - ليست بشديدة السواد.

والمحملقة التي حول مقلتيها بياض لم يخالطه السواد والجاحظة التي قد نبت والغائرة الداخلة والزرق بياض يكون في العينين أو إحداهما والزرقاء التي قد ابيض أشفارها والحوصاء التي ضاق مشقها غائرة أو جاحظة **والخوصاء**: الغائرة العينين)[19].

ب - الأعناق:

(**فمن الأعناق**: قوداء وتلعاء وسطعاء وقصباء ودناء وهنعاء وغلباء ومرهعة وملقفة.

فالقوداء: التي طالت وحبت وانتصبت علابيها **والتلعاء**: التي طالت وانتصبت وغلظ أصلها وجدل أعلاها **والوقصاء القصيرة والغلباء**: القصيرة والغليظة والدناء: التي اطمأنت من أصلها **والهيعاء** التي اطمأنت من وسطها **والمرهفة الرقيقة والملقفة**: المستديرة المدمجة)[20].

ج - العيوب الخِلْقية:

المعر - الزعر - السعف - الخذاء - الزرق - الحول - الأغراب - الصدف - العرف - الفدع - المدش - الحنف الأدرار - التلقيف - الكزم - الدنن - الكشف - القعس - البزخ - الثجل - الفرق - العصل - الكتف - الصبغ - الشرج - الصكك - الحكل - القدد - القسط - الرجز - الأخطاف - الهضم - الزور - البدد - الجنف - الرسح - الفجح - الفاحش - القران في الكعبين.

---

(١٩) **كتاب الخيل** لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ص ٢١، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ، دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد الدكن - الهند.

(٢٠) **كتاب الخيل** لأبي عبيدة معمر بن المثنى ص ٢٣ مصدر سابق.

أما المعر: فذهاب شعر الناصية حتى لا يبقى منه شيء ولا ينبت.

والخذاء: استرخاء في أصول آذانها في الخدين.

الزرق: البياض يكون في العينين أو في إحداهما.

الحول: أن يظهر البياض من مؤخر العين ويعور السواد في المآقي.

المغرب (من الأغراب): الذي تبيض أشفار عينيه مع زرقهما.

الدنن: الذي اطمأنت عنقه من أصلها.

الكتف: انفراج في أعالي من عزاضيفهما مما يلي الكاهل.

الصدف: تداني العجايتين وتاعد الحافرين في التواء من الرسغين.

والفدع: التواء الرسغ وإقباله على الحافر.

القسط: قصر الفخذ وانتصاب الساقين وقصر الوظيف وذلك ضعف.

الرجز: اضطراب في رجله للثقل وللحضر إذا قام تضطرب فخذه.

الرسح: قلة لحم الجاعرتين والكاذتين والصلا.

الأخطاف: لحوق ما خلف المحزم من بطنه.

الهضم: استقامة الضلوع ودخول أعاليها.

الزور: دخول إحدى الفهدتين وخروج الأخرى.

البدد: بعد ما بين اليدين.

الجنف: دخول مغرض الزور من موضع المرفق[21].

ونكتفي بهذه طالبين من القارىء أن يتذكرها لأنه سوف يتبين أنها هي ذاتها التي أطلقوها (= الأعاريب) على المرأة إنِ تحسيناً أو تقبيحاً إذ يتضح بعد قليل أن العربي نقل صفات الحِجْر أو الفرسة أو أنثى الخيل إلى المرأة مليحها وقبيحها وما كان يُعَدُّ عيباً أو ميزة في الأولى صار هو ذاته ما يعيبه أو يستحسنه في الأخرى وإذ إن الأولى في نظره هي الأصل فكان من الحتم اللازم أن تَعْبُر نعوتها إلى الفرع. فكما كان يستملح في فرسته العيون النجلاء والكحلاء والشجراء وكما كان يندب سوء حظه إذا جاءت فرسته (أو حتى فرسه الذكر) ذات عيون جاحظة أو خوصاء أو محملقة أو غائرة وبالمثل إذا كانت المرأة عيونها كذلك فهي مستهجنة أما إن رزقت بعيون زرق فإنه يضيف إلى النفور التشاؤم لأن زرقة العيون في كليهما (الحِجْر والمرأة) مدعاة لجلب النحس وسوء الطالع وقلة البخت[22].

ولكن عندما وطىء العربان بسنابك خيولهم المبروكة أرض الأندلس فتنوا ببنات الفرنجة والبَشْكَنس ذوات العيون الزرق وجُنّوا بِهِنّ جنوناً وانصرف خلفاؤهم ورؤساؤهم وحكامهم إلى التمتع بهن وبعيونهن حتى نسوا كل شيء وكان ذلك أحد الأسباب الفعالة في طردهم منها.

بعد هذه الاستطرادة نعود إلى سياقة الحديث: كذلك يرى

---

(٢١) **كتاب الخيل** لأبي عبيدة معمر بن المثنى من ص ٤٧ إلى ص ٥٠ مصدر سابق.

(٢٢) في **القاموس المحيط** للفيروزأبادي، **البخت**: الجد أي الحظ وفي **مختار الصحاح للرازي المجدود**: المبخوت وفي **المعجم الوسيط** لمجمع اللغة العربية، **البخت** الحظ **والبخيت**: المحظوظ.

اليَعرُبي أن فرسه أو فرسته معيبة إذا كان بها رَسَح وهو قلة لحم الجاعرتين ومن هذا المنطلق كَرِهَ المرأة الرسْحاء التي بها رَسَح وهو انعدام الردفين أو بمعنى استواءهما مع الظهر ومن شدة كرهه لها أطلق عليها مجموعة من النعوت المجوجة المنفِّرة مثل المسْحاء والمضْواء والحبَّاء والعَصُوب والزلاَّء والرَّضعاء والمِنْداص... الخ إذ إن الفرس المصاب بالرَسَح لا تشبع نَهْمة الخيَّال في العدو وللعلة ذاتها فإن المرأة الرَسْحاء لا تعطي بَعْلَها وسيدها المتعة عند تماسه بها.

والعَزْبَاء تستملح في الحصان عنقه التلعاء ومن ثم فإذا صادف مَرَة تَلْعَاء الرقبة ألهبت حواسه ودفعته إلى طلب القرب منها...

وهكذا فإنهم جعلوا الحِجْر (الفرسة) مقياساً أو أحد المقاييس الهامة بجانب الناقة يعيّرون[٢٣] بها المرأة فإن حازت النعوت المليحة في الجواد أو الفرسة فقد نجحت في الامتحان بامتياز أما إن تعاورتها[٢٤] عيوبها (= **الحِجْر**: أنثى الخيل) أو حتى أحدها فلها الويل والثبور وعظائم الأمور ولأمها الهَبَل. أيّ هيام وغرام كان يُكِنّه أولئك العُربان لحُصنهم أو جيادهم أو خيولهم ولفرساتهم وحِجْراتهم... الخ. هذا ما سوف يبلغ عين اليقين لدى القارىء في الفاصلة القادمة.

أ ـ الصفات الجسدية

ـ **الوَرْد من الخيل**: بين الكميت والأشعر   **ورَّدَت المَرأة**: حَمَّرَت خديها.

(٢٣) **في المصباح المنير** للمقري الفيومي، **عيّرت الدنانير تعييراً**: امتحنتها لمعرفة أوزانها.

(٢٤) **تعاورتها** يقال تعاورت الرياح رسم الدار تداولته مرة تهب شمالاً ومرة جنوباً ومرة قبولاً ومرة دبوراً من **المعجم الوسيط** لمجمع اللغة العربية.

ـ **فرس شَطْبَة**: سبطة اللحم	**جارية شَطْبَة**: حسنة غضة طويلة.
ـ **فرس هَيْفاء**: ضامرة البطن	**امرأة هيفاء**: ضامرة البطن.
ـ **فرس عَبْل الشَوَى**: غليظ القوائم والعَبْل الغليظ	**امرأة عَبْلَة**: تامّة الخَلْق.
ـ **فرس أَظْمَى الشَوَى**: مُعَرِق الشَوَى وأن فصوصه لظمّاء: لم يكن فيها رَهَل.	**امرأة ظَمْيَاء**: بيّنة الظَمَى وهو قلة لحم اللِثَّة.
ـ **فرَسٌ مَمْسُوح**: قليل لحم الكَفَل (العَجُز)	**امرأة ممسوحة العَجُز**: رَسْحاء.
ـ **فرس مُخَدَّم**: تحجيله فوق أرساغه	**امرأة مُخَدَّمة**: ذات خَلْخال.
ـ **فرس جَأْنَب**: قصير قميىء	**امرأة جَأْنَبَة**: قصيرة قَمِيئة.
ـ **فرس ذات ناصية زَعْرَاء**: قليلة الشعر	**امرأة زَعْرَاء وزَعْرَة**: سيئة الخُلُق قليلة الخير.
ـ **فرس أَسْفَى، ذو ناصية سَفْواء**: ناصية بينة السَفَى علامة على خِفَّة الناصِية.	**امرأة سَفْوَاء**: مهزولة ضَامِرَة.
ـ **فرس أفشغ الناصية أو الغُرَّة**: انتشرت حتى غَطَت العين.	**امرأة فشغاء الثَنِيَّة**: ناتئتها.
	امرأة فَشغَاء الأسنان: مُتَفَرِقتها.
ـ **فرَس خَفِيْق**: سريع	**مَرَة خَفَاقَة الحَشَا**: خَمِيصَة.
ـ **الهَدَأة**: الفرس الضامر.	**امرأة هَدَاء**: مِنْكبها غير منتصب مائل للصدر والمِنْكَب مجتمع الرأس والكتف.

ـ **الرَوْق من الخيل**: الحَسَن الخَلْق	**جارية رُوْقَة**: ذات جمال رائق أي جميلة جداً.
ـ **فرس أَقْنَى**: في أنفه قَنَا أي إحدِيْدَاب	**امرَأة قَنْواء**: في أنفها إحدِيْدَاب. وفي كل: الاحْدِيْدَاب ما بين القَصَبة والمَارِن والمَارِن هو ما دون قَصَبة «الأنف». والجَمْع مَوَارِن. والعرب كانوا يستحسنون ذلك في كل من الحِجْر (أنثى الجواد) والمَرَة ولتحرّي الدِقّة المطلوبة في الدراسات يجمل أن نسطر: أنه لاستحسانهم ذلك في الفرسة استجادوه في المَرَة.
ـ **فرَس مُمْشُوق ومَشيق**: فيه طُوْل وقلة لَحْم وفي قوائمه مَشْقة.	**جارية مُمْشُوْقة**: حَسَنة القَوَام.
ـ **فرس نَاهِد**: حسن جميل.	**نهَدت المرأة فهي مُنْهِد وناهِد ونَاهِدَة**: ذات ثَدْي مرتفع وكاعِب.
ـ **الخيل القُبّ**: الضوامِر	**قَبّ بطن الفرس فهو أَقَبّ**: لحقت خاصرتاه بِحَالبيه.
	امرَأة قَبّاء: بيّنة القَبَب وهو دِقّة الخَصْر. ولا يفوتنا هنا أن نذكر حقيقة على درجة وفيرة من التميز وهي أن العَرَب إذ فضلوا المَرَة الضامِرة الخَصْر فليس ذلك مبعثه ذوق رفيع أو إحساس مرهف بالجمال فهم كانوا بعيدين عن

ذلك بُعْد ما بين المشرق والمغرب ولم يتعلموا تلك الأمور إلاّ بعد امتزاجهم بالشعوب المتَحَضِرة التي وطئوها مثل الفرس والفينيقيين والمصريين والهنود.... الخ. إنما مرد ذلك (الاعجاب بالمَرَة هضيمة الكشح) هو شبهها بالفرس الضَامِر لأنه بهذه المثابة يسابق الريح.

ـ فرسة مَقَّاء: طويلة الأنقاء مع دِقَّة	فرس أَمِق: فيه طول مع دِقَّة.
	امرأة مقّاء: طويلة مع قلة اللحم.
ـ امرأة جَيْداء وجَيْدانة: طويلة العنف مع دقة فيها.	حِجْر (فرسة) جَيْداء: طويلة العُنُق مع دقة فيها.
ـ فرس خَفِيق: سريعة مَرَة خَفَّاقة الحَشَا: خَمَيْصة وخِمْصَانة.	مَرَة خَفَاقة القدم: عَرِيضتها.
ـ التَرّ: المعتدل الأعضاء من الخيل.	التَرَّة: المَرَة الحسناء الرَّغْناء وغالباً ما توصف به الجواري فيقال جارية تَرَّة وجوارٍ تراتير.
ـ العَنَشْنَشة: الحِجْر (الفرسة) الطويلة الخفيفة السريعة.	العَنَشْنَشة: المرأة الطويلة الخفيفة السريعة.
ـ فرس بَتَع: طويل العنق مع شدة مغرزها.	مَرَة بَتْعَاء: شديدة المفاصل والمواصل من الجسد.
ـ السُرْعُوف: الفرسة الطويلة	السُرْعُوف: المرأة الطويلة الناعمة.

ـ **الـخَيْفَق من الـخَيْل**: السريعة. — **الـخَيْفَق من النسوان**: الطويلة الرُّفْقَيْن الرقيقة العظام، البعيدة، الـخَطْو (الداهية).

ـ **الحمامة**: القصّي من الفرس — **الحمامة**: المرأة (عموماً) أو المَرَة الجميلة.

ـ **الرَفِن**: الطويل الذنب من الخيل — **امرأة رَافِنَة**: متبخترة في بطر.

ـ **حِجْر (فَرَسة) شَوْهَاء**: طويلة رائعة. — **امرأة شَوْهاء**: عابسة أو مشئومة أو جميلة بلغت الغاية من الحسن والجمال (ضد) وسبق أن ذكرنا أنه في لغة بني يَعْرُب أحفاد يشْجُب كثيراً ما يحمل اللفظ المعنى ونقيضه في الوقت نفسه.

ـ **فرس عَرِّى**: بلا سرج — **جارية حسنة الـمَعْرى**: حسنة الـمُتَجَرَد.

ـ **فرسة (حِجْر) سُرْحُوب**: طويلة سراح اليَدَيْن بالعدو. — **امرأة سُرْحُوبة**: طويلة حسنة الخَلْق.

ـ **السَلْهَبَة**: الفرسة الجسيمة الطويلة — **المرأة السَلْهَبَة**: المرأة الجميلة.

ـ **فرسةَ مشْطُوبة الـمَتْن والكَفَل**: اَنتَبَر أي انتَفَخَ مَتْنَاهاً سِمناً وتبانيت الغروز. — **الشَطْبَة (بالفتح وبالكسر)**: الجارية الحسنة... التارّة (الغضّة) أو هي بالطويلة.

ـ **رحّ الفرس رَحَاحاً**: اتسع حافره وهو من الأوصاف الحميدة في الفرس. — **امرأة رحّاء**: يستوي باطن قدميها حتى يمس جميعه الأرض.

ـ **فرس مُـجَبِب**: الذي يبلغ تحْجِيْله إلى ركبتيه. — **امرأة جَبَّاء**: رَشحاء لم يعظم صدرها وثدياها وأردافها أو قليلة لحم الفخذين فكأنها لا فخذ لها.

ـ **فرس ليس بـمُخْتَلَق:** أجاد الأخذ من الحُضر	**امرأة خَلِيقة:** ذات خَلْق وجسم.
	امرأة مُـخْتَلَقة: حَسَنة الخِلْقة.
ـ **فَزْفَر الفرس اللجام:** حرّك رأسه ليخلع اللجام عنها	**امرأة فرّاء غرّاء:** حسنة الثَغْر.
ـ **فرّ الجواد عينه:** علامات الجود فيه بيّنة فلا يُحتاج إلى أن يُفَرَّه.	**امرأة حسنة الفِرَّة:** حسنة البَسْمَة.
ـ **الـحِجْر تنفض أفنان السبيب** أي خصله. **وسبيب الفرس:** شعر: ذنبه وعُرْفه وناصيته	**مَرَة فَيْنَانة:** ذات شعر طويل غزير.
ـ **الـمُخْتَمِرَة:** الفرسة (الحِجْر) البيضاء الرأس	**الـمُخْتمرة:** المرأة التي لبست الخُمار.
ـ **الخَير والجمع خُيُور:** الخيل والمال.	**الـخَيْرة من المرأتين أو الخَيْرى منهما:** أحسنهما
ـ **ناصية الفُرَيْسَة:** مَقْدم رأسها.	**تَنَصَّت الجارية:** سَرَّحت ناصيتها (بنفسها). **نَصَّت الماشطة الجارية:** سرَّحت لها ناصيتها وكثيراً ما يكون ذلك ليلة عُرْسها.
ـ **الأَقْفز والـمُقْفِز من الخيل:** ما كان بياض تحجيلِه من يديه إلى المِرْفَقَين دون الرِجْلين.	**تَقَفزت الـمرأة بالحِنّاء:** نَقَشت يديها ورجليها به.
ـ **فرس مَرْطُوب:** رَطْبَة أي علفه صاحبه الرُطْبَة وهي الكَلأ المبتل بالماء.	**جارية رَطْبَة:** رَخْصَة ناعمة.

ـ **السُّزعُوف**: الفرس الطويل	**السُّزعُوف**: المرأة الطويلة.
ـ **العَلُوف**: الحصان الضخم	**العَلُوف**: العجوز.
ـ **فرسة (حِجْر) نبيلة (في الحُسْن)**: بيّنة النَّبالة.	**مرة نبيلة (في الحُسْن)**: بيّنة النبالة.
ـ **خيل شُزُب**: ضَوَامِر	**امرأة شَازِب**: ضامِرة (من الهُزال) أي مهزولة.
ـ **المُجَبَّب**: الفرس الذي يبلغ بحجليه إلى ركبتيه.	**جَابَت المَرَة صاحبتها فَجَبَّتْها**: فاقتها بِحسنها.

* * *

وهذا القدر كافٍ تماماً للإبانة عن قيام الأعرابي بصرف النعوت المستحبة في الفرس (والفرسة أو الحِجْر بالأخص) إلى امرأته ويلخص لنا أبو عبيدة معمر بن المثنى ما كان يستجاد ويستملح فيه (أو فيها) فيقول:

(وما يُسْتَحب في الفرس من تمام العظام التي يشبه بها ما كان في الوحش من الظبي والنعام والكلب والثور والذئب والأرنب وحمار الوحش، فما يشبه به من الظبي حتى يقال كأنه هو: طول وظيفيّ رجليه وتأنيف عرقوبيه وعِظَم فَخَذِيْه وكثرة لحمها وعرض وِرْكَيْه وشدة مَتْنه وظهره وإشفار جَفْنَيْه وقِصَر عُضَدِيْه ونَجَل مقلته وسوادهما)[٢٥].

فإذا أمعنت النظر في هذه النعوت التي كان العربي يتمنى أن يجدها **مُجَسَّمَة في فرسه مثل:**

---

(٢٥) أبو عبيدة معمر بن المثنى **كتاب الخيل** ص ١٠٠ الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ طبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن ـ الهند.

عِظَم الفخذين وكثرة لحمها وعرض الوِرْكَيْن
وشدة المَتْن والظهر نَجَل المقلتين سواد العينين.

نجد أنها هي ذاتها التي إنْ تحققت في امرأته كاد أن يصيبه هَوَس وخَبَل لأنها (تَفَرَّست) أي صارت أو تحولت إلى فرسة (حِجْر) معشوقة الأثيرة.

ويخبرنا أبو عبيدة أن اليعربي كان يفضل دقة الحاجبين في الفرس(٢٦).

وهذا ما يتطلبه من المَرَة حتى أنها إذا كانت كثيفة الحاجبين تنتفهما ليصيرا دقيقين وربما تستنجد بأخرى متبرعة أو مأجورة لتقوم بذلك لتُعْجِب رجلها الذي يصرّ على أن تكون على صورة الفرسة التي يمتطيها. وإذا كان بعض الشعوب قد عرف تناسخ الأرواح) فإن اليعاريب قد ابتدعوا ما يمكن أن نسميه (تناسخ الأجساد) وخلاصته أن تغدو الإمرأة على هيئة الناقة في بعض أجزاء جسمها وعلى صورة الفرسة أو الحجر أو الفُرَيْسَة في سائر الأعضاء.

ولقد وعت المرأة الأعرابية هذا الدرس جيداً فجهدت جهدها لتشكيل بدنها على مثال بدن الناقة في بعض وعلى رسم بدن الفرسة في بعض الآخر:

فإذا كانت رسحاء مسحاء أو حتى عجيزتها صغيرة أو متوسطة فإنها تعمل على تعظيمها بأن تتخذ زنجبة أو زنجبة وإن كانت ضهياء أي ممسوحة الصدر لم ينبت لها ثديان أو جَبّاء (ضامرة

---

(٢٦) المصدر السابق ص ٩٧.

الثديين) فإنها تسرع إلى اتخاذ عظّامة تضعها على صدرها حتى تبدو خَنَضْرَف وطَبّاء ذات ثديين نائرين، حاجمين ناهدين كاعبين... الخ. أما إذا كانت هزيلة نحيفة ممصوصة فإن أهلها يسارعون لتسمينها بكل ما في وسعهم حتى تصير جَزْلاء بَخْبَاجَة بادِنة جرمة بَرْهَرَهَرة لكي يتسابق عليها الخطاب.

وإن لم ترزق بعيون كحلاء فإنها تعوّض ذلك بالكحل.

وإن كانت حواجبها كثيفة استعانت بالماشطة لتتولى ترقيقهما لها.

وباختصار فإن المَرَة اليَعْرُبية يؤرِّقها شبحا الناقة والفرسة (الحِجْر) فتشكّل جسدها بصورة جسديهما حتى تنال الحظوة لدى بعلها وسيدها الذي يملأ عليه أقطار نفسه ذينك الحيوانان، فلا ينظر إلى امرأته إلاّ من خلالهما وهو أمر نادر الحدوث لدى أي شعب من الشعوب بيد أن العِلّة الرئيسة في ذلك مرجعها إلى حالة التبدّي والجفاوة التي كان عليها نظراً لحرمانه من أي قسط من المدنية أو ذرة من الحضارة.

* * *

ب ـ الصفات المعنوية والنفسية:

لم يكتف اليعربي بإضفاء الصفات الجسدية للفرس على المرأة بل دفعه إعجابه بالأولى إلى إطلاق الصفات المعنوية والنفسية عليها (= المرأة).

فكما أن الحِجْر (الفرسة) العاقر وَذْماء فكذلك المرأة التي لا تلد هي أيضاً وَذْمَاء.

ويسمى ما تضعه المرأة في جيدها المِخْنَقَة والنسوان في

أجيادهن (أعناقهن) المَخَانِق تشبيهاً لهن بالفرس المُختَنِق الذي أخذت غُرته لِحْيَيه إلى أصول أذنيه.

والحِجْل هو الخَلخَال وهو ما تضعه المرأة في ساقيها وحبذا لو كان صامتاً لأنه يدل على سِمَن الساق أي امتلأ جِرَمها وهو مُنْيَة العُربان وقد استعاروا اسم تلك الحِلْيَة من حُجُول الفرس الذي يكون في قدميه وهي بياض يجاوز الأرساغ.

وكانوا يطلقون على القيد الذي يقيدون به خيولهم الحِجْل ويجمع على حُجُول وأحْجَال.

وإذ إنهم كانوا يفضلون أن تظل نسوانهم قعيدات الخيام ليكنّ رهن الإشارة عندما يطلبونهن وللخدمة فكانوا يقولون: «النساء في حِجَالهن» أي في قيودهن و«الحُجُول لربات الحِجَال» أي القيود للأسيرات المقيدات.

وعندما يجاوز الفرس حدَّه في العَدْو يقولون عن أنه طَمَا فإذا نَشَزَت امرأة على زوجها فهي قد طَمَت به.

والحِجْر (الفرسة) العَوَان هي التي نتجت بعد بطنها البِكْر أي تجاوزت سن الشباب أما العوان من النسوة فهي التي كان لها زوج وفارقها إما بالطلاق أو الوفاة.

عندما يغلب الحصان الفارس ولا يمكّنه من السيطرة عليه يقال إنه جَمَح جُمُوحاً وجِمَاحاً، وعندما تعصى المرأة زوجها وتغادر بيت الزوجية وتعود إلى بيت أهلها دون طلاق فإنها بذلك تكون قد جَمَحَت عليه.

والحِجْر (أنثى الخيل) لما تلد ذكراً فهي قد أَذْكَرَت والمرأة المِذْكار التي لا تلد إلاّ ذُكْراناً.

الفرس ذو الذنب الطويل يوصف بأنه رَفِل، فإذا أطالت المرأة ذيل ثوبها وجرّته وتبخترت به وصاحب ذلك شيء من البطر فهي رَافِلَة.

بعد أن يبذل الحصان غاية جهده في العدو يحق له أن يستجم فيقال إنه اِسْتَفْتَر والمرأة عندما تخفض نظرها وتغض من بصرها وتصوّبه إلى أسفل فهي فتّرت من بصرها وهي فَاتِرة الطَرْف وكان اليعاربة يستملحون ذلك من نسوانهم لأنه دليل على الذِلّة والخضوع والمطاوعة وكلها مطلوبة منهن.

طَمَحت الفرَس تطْمِيحاً إذا رفعت يديها ورمت ببولها وهو فعل كريه مُشتشنع ولذا نقله الأعرابي إلى المرأة التي تَجْمَح وتريد غير زوجها فهي بنظره طَامِح.

إذا بالغ الفرس في جريه وأبعد فهو قد أَغْرَب والمرأة التي ترضى بالزواج من غير عشيرتها وتنتقل إلى العيش في مضارب أهله بعيداً عن قبيلتها فهي الغَرِيْبَة.

وعندما يتميز الفرس بشدة معاقد الأرساغ يوصف بأنه شديد المَعَاقِم والمرأة التي لا تحبل ولا تلد فهي مَعْقُوم وعَقِيْم.

من الشواهد لدى اليعربيين على أن الحِجْر قد حملت أنها تستعصي على الفحل إذا قرب منها فهي تَأْنَف فحلها وكذا المرأة تأنف زوجها إذا تبيّن حَمْلها.

الجواد الأَرْثَم الذي به بياض في الجَحْفَلَة العليا وإذا كان البياض شديداً وصف بأنه بيِّن الرَثْمَة.

والأعرابي عندما يرى امرأته لطّخت أنفها بالطِيْب تَزَلفاً إليه وتحبباً سرّه ذلك وقال:

لقد رَثَمت أنفها وفي لا شعوره رَثْمة الحِجْر.

وحتى لا تبقى ذرة من شك لدى القارىء في أن الإمرأة والفرسة وجهان لعملة واحدة هي أنه كان يُطْلَق على الجزء الأسفل من ثوبها التي تجره على الأرض من خلفها: الذيل ـ تماماً مثل ذيل الحصان أو ذنبه فإن كان طويلاً قيل إنه ذَيّال.

ولا يدْعُون للرجل ذيلاً فإن كان طويل الثوب فذلك هو الإزقال سواء في القميص أو الجُبَّة.

ولا مجال للسؤال: لِمَ هذه التفرقة؟

لأن الإجابة معروفة بداهة وهي أن المرأة والفرسة في نظر اليعاربة شيء واحد لا فرق بينهما في حين أن الرجل مباين لهما.

في بعض الأحيان يختلف لون إحدى عيني الفرس عن لون الأخرى بأن تكون إحداهما زرقاء والأخرى كحلاء فيوصف بأنه فرس أَخْيَف فنقل الأعاريب ذلك إلى المرأة فيقولون خَيَّفَت أولادها أي جاءت بهم أخْيَافاً أي مختلفين.

عندما يعدو الفرس ويأتي بالأعاجيب يقال: اِفْتَنّ أو جرى أَفانين من العدو إذن هو فرس مِفنّ وبالمثل عندما تأتي الامرأة بالأعاجيب فهي مُفِنّة.

رَكَضت الخيل أي ضربت الأرض بحوافرها وعندما تحرك المرأة ذيولها وخلاخيلها وذلك عن تبختر وخيلاء أو لكي تلفت إليها الأنظار فهي قد تركُض وركَضت.

ليست الخيول سواء عند الهيجاء بعضها يصيبه الروع فيقال فرس رَوَاع والمرأة التي ينتابها الفزع توصف بأنها روْعاء.

الحِجْر (أنثى الخيل) عندما تحين ولادتها ويدنو نتاجها فهي مُدِنّ والمرأة أَذْنت ثوبها إذا أرخته.

ما هو الفرس المُقْرِب وما هي الخيل المُقْرِبة أو المُقْرِبات؟

هي التي يقْرُب مربطها ومعلفها لكرامتها على صاحبها، والرجل قَرُب المرأة قُرْباناً أي لامسها.

عندما يرتدف الفارس شخصاً خلفه على فرسه أي في مقعد الرديف يقال عنه إنه قد ركب قَطَاة الفرس فإذا صادف اليعربي مَرَة عظيمة العَجِيزة صاح: إنها ثقيلة القَطَاة لأن صورة الفرس لا تبرح مخيلته.

يصف العربي الخيول التي تعمد إلى الوثب في جريها أنها قوافز ونظراً لأن الأَمَة (العبدة) لا تستقر في مكان واحد بحكم أنها تقوم بالخدمة مما يفرض عليها التنقل فقد أطلقوا عليها: القفَّارة.

من أجل السباق في العدْو أو الكرّ والفرّ في الغارات التي كانوا يشنونها على بعضهم كانوا يعمدون إلى تضْمِير خيولهم ويسمى المكان الذي يتم فيه ذلك المِضْمار ثم استعير إلى ميدان السباق وعندما تصل إلى الحد المطلوب يقولون عنها إنها غدت قوافِل وأصل القَفْل الاحتكار وحِرْز ما يُجمع لأن الخيول قد حرزت بطنها أو من اليبس فيقال لليابس القافل وهو الأصح عندي لأن بطن الحصان عندما تضْمُر تصبح يابسة، ولهذا عندما يتعامل اليعربي مع امرأة فيجد أنها بخيلة مُمْسكة أو عَسِيرة صَلْبة الرأس يصفها بأنها قَفْلة.

وعندما تسرع الخيول الضوامر في عدْوها بصورة تعجب العرب يقولون إنها ترْدِي رَدَيَانا ولذا عندما يرون امرأة ضامِرة الوشاح

يصفونها بأنها هيفاء المَرْدى لأن رَدَيان حُصُنهم ماثل أمامهم.

إذا سبقت الجياد بعضها بعضاً يقولون إنها قد مَطِرت وإذا لازمت المرأة الاغتسال والتنظيف والسواك حتى تبزّ ضرارها وتفوز ببعلها دونهم يقال إنها امرأة مَطِرَة.

وإذا عصى الحصان سائقه ولم يسلس قياده له يقال قد نَازَعه العنان أما المرأة النَزِيْعة (والجمع نسوان نَوَازِع) فهي التي تعيش في غير بلدها إذا تزوجت في غير عشيرتها لأنها بذلك خالفت العُرف المستقر عندهم.

الفرس الذي تصدر عند حركات طائشة بيّنة الطيش يوصف بأنه نَزِق وأسقط الأعرابي الوصف عينه على المرأة غير العاقلة أو غير الرزينة فقال إنها نَزِقَة.

عَلَوا سروات الخيل أي ركبوا ظهورها، ولغلظ حِسّ اليعرُبيين نقلوا اللفظ نفسه إلى فضاء المرأة فيقولون تسرّى جارية أو اتخذها سُرِيّة.

لو ضرب الجواد أسنانه بفأس لجامه يقولون إنه قد فَرْفَر وهو فعل يدلّ على الهَوَج فإذا ألقوا امرأة طيّاشة مِكْثارة مِهذارة تذكروا فعلة الفرس وشبهوها به ووصفوها بأنها فَرْفَارَة.

إذا صلبت الحِجْر (أنثى الخيل) وغلُظت فهي قد عَجَزت ومن هنا يقولون: إعْتَجَرت المرأة اعْتِجاراً إذا لبست ثوبها وشدته على بدنها لكي تظهر جِرْمها وسِمَنها.

النسوان اللواتي لا يعجبهن شيء ويظهرن أي عيب فيمن يصادفهن يقول العربي عنهن (بنات النَقْرى) لأنهن ينقّرن عن المساوىء أي يبحثن عنها وقد أخذ هذا النعت كعادته من عالم

الأحصنة الذي يملأ عليه شعوره ولا شعوره إذ إنه عندما يرى الخيل قد احتفرت الأرض بحوافرها يقول: إنها نقّرت نقْراً أو تنْقِيْراً.

لما يرزق الأعرابي بفرسة فيها نشاط وسرعة يصفها بأنها مَرُوح ومِمْراح ثم نقل هذا الوصف ذاته إلى فضاء النسوان فالمرأة التي تختال وتتبختر إعجاباً بوضاءتها أو هي بَطِرة أو أَشِرة أو النشاط طبع فيها أو انتابها فرح طاغ فهي: امرأة مَرِحَة.

كان الأعاريب يحرصون على أفراسهم حرصهم على أولادهم وربما أكثر لشدة ثمانتها لديهم فإذا استولى عدُوهم على فرس لهم فإنهم يبذلون أقصى ما في وسعهم لاستخلاصه من بين أيديهم فإذا أفلحوا في ذلك يوصف الفرس بأنه نَقِيْذَة والوصف نفسه أطلقوه على المرأة التي كان لها زوج ففارقها بالموت أو الطلاق فهي أيضاً نَقِيْذَة؟ ولكن كيف؟

سبق أن قلنا إنهم (الأعاريب) كانوا يعدون الزوجات أسيرات لديهم فهي ما دامت على عصمة زوج فهي في القيد أو الحِجْل وهي ربة حِجَال فإذا أعتقها الموت أو الطلاق من إسار الزواج فهي قد غدت نَقِيذَة.

الفرس النشاصي هو المرتفع الأقطار ومن هنا استعار اليعربي فعل نَشِص لما تقوم به المرأة عندما ترتفع على زوجها وتنشز عله فيقول نَشِصَت عليه.

الفرس الذي يسبق يأتي في المقدمة فيوصف بأنه راعِف والأنف كذلك موضعه مقدم الوجه وأرنبته تجيء في مقدمته وطرفها (= طرف الأرنبة) يسبقها إذن في نظر اليعاريب كما أن الراعِف سابق الأفراس فكذا طرف أرنبة أنف المرة هو راعِف أنفها.

قلنا قطَاة الفرس هي مقعد الرديف فإذا كانت مرتفعة وصهوته مطمئنة فهو أقْعس والإمرأة إذا كانت منيعة ثابتة في العِزّ فهي قعْساء.

إذا بالغ الحصان في الجري وعدا مرة بعد مرة إرضاء للخَيَّال فهذا الفعل منه يسمى الحفش لذا عندما يلمس من امرأته حرصها على التودد إليه واجتهادها في التحبب إليه وعمل كل ما يقربها منه فيقول عنها إنها حَفَشَت والحق أنه بخيت لأن حِجْرته (فرسته) تقدم له الحفَش خارج الخِبَاء وأسيرته زوجته أو أمته تَتَحفش له في الداخل.

الحصان البيْع هو بعيد الخطو أما المرأة البائع فهي النافقة لجمالها وحُسنها.

ولكن ما هي العلاقة بين الأمرين؟

الفرس إن كان بعيد الخطو فهذا من علامات الجودة مما يدفع المشترين إلى الحصول عليه فهو بيّع أي بيعه مضمون وبالمثل عندما تتميز المرأة بالوضاءة والقامة فإن الخطّاب سوف يتسابقون على أسرها (الزواج منها). هذا إن كانت حرّة.

ما إن كانت جارية (أَمَة) مملوكة عبدة فإن حلاوتها تجعلها سلعة نافقة يتكالب عليها المشترون، إذن هي في كلتا الحالتين بائع.

عندما يعمد العُربان إلى تسمين أفراسهم يقال إنهم أصنعوها وعندما يفعل ذلك مع الجارية يقال صَنَعَها لا فرق بين الفرسة والمرأة.

وذكرنا قبل ذلك الجارية لا تعني الأَمَة فحسب بل تعني أيضاً الفتاة الصغيرة السن.

الطُرُوف والأطْراف من الخيل الكرائم جمع الطِريف الكريم والمَرَة المطْروفة بالرجال التي تطمح عينها إليهم حتى تنتقي منهم من يروقها ولا تفعل ذلك إلاّ النبيلة أما العرَّة أو الرذْلة فلا طاقة لها بذلك فهي تقبل أول طارق يدق باب خيمتها.

عندما يخالط الحصان غيره من الحُصُن ويسبقها فهو قد إغْتَرَقَها واللفظ نفسه يُطلق على المرأة الحسنة المليحة التي تشغل الرجال بالنظر إليها دون غيرها من النسوة فيقال إنها: اِغْتَرَقت نظرهم.

فكما سبق الفرس أقرانه فكذا المرأة فازت بأبصار الرجال وبزّت صويحباتها وفَلَجت عليهن.

وعندما تعصى المرأة زوجها وتنشز وتنشص عليه فقد عَنَكت فهذا الفعل مأخوذ من قولهم عَنَك الحصان إذا حمل وكرّ.

الخَطَل من المرأة هو فُحشها وريبتها تشبيهاً لفعلها بخَطَل الفرس وهو طوله واضطرابه.

الفرس الأشْكَل الذي فيه حُمْرة وبياض مختلطان أي فيه بياض يضْرِب إلى الحُمْرة والكُدْرَة، أي في لونه اختلاف بحيث يشكل على رائيه أن يحدده بدقة ولذا يقال أشكَل عليه الأمر إذا تحيّر فيه ولم يهتد إلى الصواب.

وانطلاقاً من قاعدة قياد أحوال المرأة على أحوال الحِجْر أو الفرسة أو الفرس (بعامة) فإنها (= المرأة) إذا ضفّرت خُصْلتين من مقدم رأسها عن يمين وشمال فتكون قد أشْكلت.

المرأة التي ليس عليها حلّى ولو حتى حِلْيَّة يتيمة فهي عاطِل وتَعَطّلت ومنشأ هذا الوصف أن اليعرُبي كان يسمي الخيل التي لا قلائد عليها.

أولاً ارسان عليها أو لا سمة عليها: الأعطال.

الأفنون هي المرأة العجوز المسترخية وهي لا شك إذ تمشي تجيء مشيتها مضطربة - وفي الأصل: **الأفنون**: الجري المختلط من الفرس.

للجواري ألعاب يقمن بها إما للتسلية فيما بينهن أو للترفيه عن أسيادهن منها أن ترفع رجلاً وتمشي على الأخرى فيقول صاحبها الأعرابي لقد رَدَت جاريتي يشبهها برَدْى أو رَدْيان الحجر (أنثى الخيل) عندما تجمّ الأرض بحوافرها فهو يسوّي بين الآثنتين (الجارية والفرسة) في التعبير عن الفعلين اللذين وإن كانا غير متماثلين تماماً إنما بينهما شبه.

إذا كان البعل على قدر وفير من الثراء عاشت أسيرته (زوجه) في نعمة وبُلهنية (نسبياً) ومن شاراتها نوم الضحى وتناول الفُطور إبّانه ومثلها توصف بأنها ضَحْيانة وكذلك فإن الفرسة الشهْباء عزيزة كريمة على صاحبها فهي ضَحْياء وهذا الوصف هو الأصل الذي أعاره الأعاريب إلى المرأة.

يوصف الفرس بأنه غذْوان إذا استبانت منه حركة ونشاط غير عاديين وإذا ظهر من المرأة فحش في القول وبذاءة في الكلام وسلاطة في اللسان فهي غذْوانة.

إذا فاقت المرأة بنات قبيلتها في الوسامة والقامة فهي سَلَبُوت لأنها تسلب عقول وأفئدة فتية القبيلة ورجالها. وإذا كان الفرس خفيفاً في النقل فهو سَلِب القوائم.

الخيّال يمتطي الجواد ثم يهيّجه ليستخرج منه أقصى طاقة على العدو ليسبق الآخرين فيقال عنه: أشْيَبَ الفرس. والرجل عندما يتغزل في المرأة يثير فيها نوازع التلاقي فهو قد شبّب بها.

في حالة ازدحام الخيل على موارد المياه أو غيرها يقال عنها إنها عكَبت عُكُوباً والعُكوب أو الإزدحام يظهر الأخلاق السيئة.

ومن هنا أطلق على الأمة (الجارية/ العبدة/ المملوكة) العِلْجة أي غير العربية[٢٧].

الجافية الـخُلُق: العَكْباء.

عندما لا يجاوز التحجيل في الفرس أشاعره وهو المِنْعل فهو أو هي مُقْفِز، هذه الصورة نقلها اليعربي إلى دنيا المرأة فهي إذا تخضَّبت إلى رسغيها (بالحِنّاء) فيقال إنها تقفّزت.

عندما يعدو الفرس عدْواً شديداً فإنه يعرق فيقول له رفيقه امسح عن فرسك أي فِرْجنة (بالفِرْجوْن) ومَسَائح المرأة ذوائبها فيقال مشّطت مسائحها أي ذوائبها.

أجمر الفرس وجـمّر: وثب في قيده وبالمثل جُميْرات المرأة هي ضفائرها ويقال استجْمرت أي جمعت جُميراتها (ضفائرها) في قفاها.

* * *

لهذا المدى بلغ تأثير الفرس على بني يعْرُب أحفاد يشْجُب إذ لم يكفهم أن يسقطوا صفاتها الجسدية على المرأة بل أعاروها صفاتها المعنوية والنفسية لأنهم كانوا يرون فيها الثروة والشرف فحيازتها آية على الغنى وشارة على السؤدد ودليل على علو المكانة وارتفاع القدر، وإذا قارنا بين البُعْران والـحُصُن نجد أن في الأولى ضماناً للاحتياجات المادية من الغذاء إلى الشراب إلى المسكن إلى أداة

(٢٧) كان العربة يطلقون على مواطني البلاد التي وطئوها بسنابك جيادهم المحظوظة (العُلوج جمع عِلْج).

الانتقال وفي الأخيرة إشباع النوازع الوجدانية والدوافع النفسية والتحسينات المعنوية... والإنسان مزيج من الجانبين فإذا هو غطّى حاجاته المادية التفت إلى النواحي غير المادية... يبحث لها عن رِيّ يروي ظمأه إليها أو حتى على أسوأ الفروض عن قطرات ماء تبل ريقه النَشِف(٢٨).

(٢٨) في مختار الصحاح للرازي: أرض نَشِفَة: بيّنة النَشَف إذا كانت تنشف الماء.

الباب الثالث:
المرأة ومظاهر الطبيعة

لم تتأثر لغة العَرَب بالبعير والخيل فحسب بل إن كل مظاهر الطبيعة الأخرى تركت بصماتها عليها يستوي في ذلك الصامت والمصوّت (ذي الصوت)، المتحرك والساكن، الطائر والزاحف.

ولم يفت ذلك الباحثين القدامى:

(إنما كانت العرب أكثر أمثالها مضروبة بالبهائم فلا يكادون يذمّون ولا يمدحون إلاّ بذلك لأنهم جعلوا مساكنهم بين السباع والأحناش والحشرات فاستعملوا التمثيل بها)[1].

وكان من البديهي أن ينتقل ذلك التأثير إلى ميدان المرأة ويشمل شطريه المادي أو الجسدي والمعنوي/ النفسي وإذ كانت البيئة التي نشأ فيها أولئك العُربان جافية قاسية ماحلة، شديدة، مُجْدِبة يكون من الحتم أن تتولد عنها في اللسان ألفاظ خشنة، صعبة، حوشية، ثقيلة النطق، متنافرة الحروف، وبالتالي تمنح معاني سمجة، منفرة مرذولة وعلى سبيل المثال:

---

(١) **حياة الحيوان** للدميري ص ١٠. مصدر سابق.

القَرْثَع: هذا لفظ لا أحد يماري في أنه بعيد عن الرقة والليونة وسهولة النطق... وهو يعني الأسد ودويبة بحرية لها صدفة، ووبر صغار يكون على الدواب. فاستعارة العُربان للمرأة الجريئة القليلة الحياء أو البلهاء هي صفات معنوية. أو لنعت أفعال شاذة تقوم بها (= المرأة) كأن تكحّل إحدى عينيها فقط أو تلبس دِرْعها (قميصها) مقلوباً.

الخزقاء: وهي ولا شك كلمة جافية، تطلق على الريح التي تدوم على جهة في هبوبها فنقلوه إلى المرأة ووصفوا به تلك التي لا تحسن تدبير أمورها.

القَهَبْلَس: لفظ ثقيل على اللسان يجد في النطق به وعورة وعسر ومشقة ومعناه: القملة الصغيرة. ومن باب الضد والعكس أطلقوه على المرأة الضخمة، ونكتفي بهذه الأمثلة ولعل القارىء ألفى فيها توضيحاً لما ذهبنا إليه.

ونبدأ بـ:

أ ـ الصفات الجسدية أو المادية:

ـ **البِثْنة**: الرملة اللينة والجمع بُثُن	**البَثْنة**: المرأة الحسنة البضاعة الناعمة.
ـ **العَيْلَم**: العين الكثيرة الماء	**العَيْلَم**: المرأة الحسناء.
ـ **العيْط**: الطوال الأعناق من السحاب	**امرأة عيطاء**: طويلة العنق.
ـ **البَسْرة**: التمرة قبل إرطابها	**البَسْرة**: الجارية الرطْبة البدن.
ـ **أحاث الأرض واستحاثها**: أثارها ليزرعها	**الـحَوْثاء**: المرأة السمينة.

- **الخَزْثاء**: نمل فيه حمرة

امرأة خزثاء: ضخمة الخاصرتين مسترخية اللحم.

- **الهفّ**: الرقيق من السحاب

امرأة هيفاء: رقيقة الخاصرة.

- **الضَهْيأ**: شجرة من العَضا كثيرة الشوك.

الضَهْيأ: المرأة التي لا تحيض أو التي لا ثدي لها. وتشبيه المرأة التي لا ثدي لها بشجرة غزيرة الشوك لا يحتاج إلى تعليل وكذا التي لا تحيض.

- **عَوْنة**: نخلة طويلة

عُون: أرض ممطورة.

امرأة متعاونة: سمينة في اعتدال وساقها ليست حَمْشة (دقيقة أو نحيلة) ولا خدَلَّة (ممتلئة مستديرته).

- **الكنكاب**: ثمر غليظ

الكنكابة: المرأة السمينة.

- **أرض عارية المحاسِر**: لا نبات فيها

امرأة حسنة المحاسِر: كل ما تكشف عنه فهو حسن.

- **أرض مئناث**: سهلة، خليقة بالنبات، ليست غليظة

امرأة أنثى: كاملة من النساء[٢].

- **الحَضُوْن من الغنم**: أحد خَلْفَيْها أكبر من الآخر.

الحَضُوْن من النساء: أحد ثدييها أكبر من الآخر.

- **أثّ النبات أثّا**: أكثر والتفّ

أثّت المرأة أثّاً: امتلأ جسمها وتمّ قوامها.

---

(٢) يقول العامة في مصر (مرأة نتاية).

- **ناء الكوكب**: إذا طلع كأنه ينهض بثقل.
  ويقال للمرأة البدينة: إذا نهضت ناءت وينوء بها عَجزُها وفى من المقلوب أي هي تنوء به.

- **حَقِب العام**: احتبس مظهره
  امرأة نُفج الحقيبة: عجزاء.

- **الدعجاء**: أول المحاق وهي ليلة ثمانية وعشرين.
  امرأة دعجاء العينين: بيّنة سوادهما مع شدة بياضهما.

- **العُسْلوج**: ما لان واخضر من القضبان
  جارية عُسْلُوجة: رخصة ناعمة.
  امرأة ذات قدّ عُسلج: ذات قدّ ناعم.

- **بلْدَح**: واد قبل مكة أو جبل بطريق جدة
  امرأة بلْدَح: بادنة.

- **نخل مَراجِيح**: مواقير بالبلح
  امرأة راجِح ورَجَاح: عجزاء.

- **السلْطَح**: الجبل الأملس
  جارية سَلْطَحة: عريضة.

- **الرَدَاح**: الدوحة العظيمة
  الرَدَاح: المرأة الثقيلة.

- **الرَدَاح**: من الكباش الضخم الألية
  الرَدَاح: المرأة العجْزاء.

- **عَذلَج السّقاء**: ملأه عن آخره
  المُعَذْلجَة: المرأة الممتلئة الناعمة الحسنة الخلْق.

- **الضمخة**: الرطْب الذي يقطر منه شيء
  الضَمْخَة: المرأة السمينة.

- **الدَلُوخ**: النخلة الكثيرة الحمل
  امرأة دَلِخَة: عجْزَاء.

- **البَيْذَخ**: النخلة المُوقَرَة
  البَيْذَخ: المرأة البادن.

- **المَسْحاء**: الأرض المستوية ذات حصى صغار.

المَسْحاء: المرأة التي لا أخمص لها (الأخمص باطن القدم الذي يتجافى عن الأرض).

المسْحاء: المرأة التي ما لثدييها حجم.

- **الأرض الرَسْحاء**: المستوية

امرأة رَسْحَاء: ليست لها عجيزة.

- **الثَأد**: البسر الليِّن **الثأد**: النبات الناعم الغض

امرأة ثِئِدة الفخذ: ممتلئته.
امرأة ثأْدآء: كثيرة اللحم وفيها **ثآدة**: بيّنة السمن.

- **دَرِمت الأرنب تَدْرُم دَرْما ودَرَماناً**: قاربت بين الخُطى.

امرأة ذات مرافق دُرَم: واراها اللحم فلم يستبن لها حجم، ودَرِم كعبها ومرفقها يَدْرُم.

- **تخوَّد الغصن**: انثنى

الخُود: الشابة الرَخْصَة الناعمة.

- **الرهِيْدة**: البرّ (= القمح أو الحنطة) يُدقّ ويصب عليه اللبن ورغم أنه طعام ساذج فقد كان العُربان يفتنون به ولما اختلطوا بالشعوب المتحضرة التي دعسوا أراضيها بحُصُنهم المبروكة وذاقوا ألوان طعومها أدركوا: كم هي الرَهِيْدة متواضعة.

الرَهِيْدة: الشابة الرخصة الناعمة.

- **دقيق حوارِيّ**: مَنْخُول

امرأة حوارِّية: بيضاء خالصة البياض.

- **نسوان حواريّات**: بِيض.

احورَّت عينا المرأة: اشتد بياضهما وسوادهما وكذلك في عينيها حَوَر.

ـ **الأَغْبَل**: الجبل الأبيض الملتصق بالأرض فيه سواد وبياض.

امرأة عبْلَة: تامة الخلْق.

ـ **دَاصَت السمكة في الماء**: زَاغَت وحادت.

امرأة ديّاصَة: ضخمة مترجرجة.

ـ **ليل خَدَارِيّ**: مُظلِم حالك السواد

جارية خَدَارِيّة الشعر: ذات شعر أسود فاحم.

ـ **شاة خذماء**: بيّنة الخَذَمة وهي بياض في الأوظِفَة.

امرأة مُخَدَّمة في ساقها الخَدَم أي الخَلخَال وعندما يكون صامتاً فإن العُربان يصابون بالهستريا لأنه دليل على امتلاء ساق المرأة ومن كانت كذلك فإنها تمنح متعة مضاعفة عند التماسّ بها.

ـ **نبات أَغْيَد**: ناعم.

امرأة غَيْدَاء وغادة ناعمة ويقال: **نساء جِيد غِيد** يوم لقائهن عيد.

ـ **عود خَرِع**: فيه لين ورَخَاوة.

امرأة خَرِيع بيّنة الخَرَاعة: ظاهرة اللّيْن والرخاوة

امرأة خَرِيع: فاجرة.

ـ **لؤلؤ خريدة**: لم تُثقَب.

جارية خَرِيْدة وخَرُود فيها خَرَد وتَخرّد: عذراء خَفِرَة.

ـ **غصن خُزعُوب**: مُتَثَنّى

امرأة خُزعُوبة: متثنيّة.

ـ **البُؤبُؤ**: إنسان العين

البُؤبُؤ: المرأة الظريفة الخفيفة.

ـ **شهاب ثاقِب**: مضيء

كوكب ثاقِب: دُرِيّ، شديد الإضاءة. وكلاهما يثقُب الظلمة أي ينفذ منها.

ـ **تَقِبَت الرائحة**: سطعت وهاجت.	**امرأة ثَقِبَة**: بيّنة الثَقَابة: أشبهت لهب النار في شدة حُمرتها. والحُمْرة في النساء لدى اليَعَاربة: البياض الشاهِق.
ـ **الرَبَابة**: السحابة ركب بعضها على بعض	**الرَبَاب**: المرأة التي ركب لحمها على بعض.
ـ **أَكِمَ التل**: تجمع وارتفع قليلاً.	**أَكِمَت المرأة مُؤاكَمَة**: عظمت مَأْكَمَتَاها ـ والمَأْكَمَة هي العَجِيْز أي صارت عجْزاء.
ـ **يوم خَصِر بيِّن القُرّ** وهو أشد البرد	**امرأة ذات فم خَصِر**: بارد المُقَبَّل.
ـ **خِصْر السهم ما تحت**: الفوق	**خَصْر المرأة**: وسطها وكِشْحها.
ـ **ظليم (ذكر الظباء) خاضِب**: أكل (نبات) الربيع فاحمرت ساقه وقوادمه.	**امرأة خَضِبَة**: كثيرة الاختضاب ـ وهي تخضَّبت وخَضَبت. امرأة ذات كف خَضِيْب (بالحِنّاء).
ـ **طَلَّت الأرض**: نزل عليها الطَلّ وهو المطر الخفيف	**مسّ الرجل طَلَّته**: قارب زوجته.
ـ **رمح خَطِل**: مضطرب.	**سهم خَطِل**: لا يقصد الهدف ولكن يذهب يميناً وشمالاً.
ـ **امرأة خَطْلاءَ الثديين**: في ثدييها اضطراب	**نسوان خُطُل الثُدِي**: في أثدائهن اضطراب.
ـ **خفق النجم**: غاب	**امرأة خفّاقة الحَشا**: خميصة.
ـ **تربّل الشجر**: اخضر بعد ما يبسه القيظ	**امرأة مُتَرَبِّلَة**: كثيرة اللحم بيّنة الرَبَالَة.

ـ **أرداف النجوم**: تواليها وأواخرها	**أرداف النسوان**: مؤخراتهن وأعجازهن.
ـ **الوطْب**: سقاء اللبن (أناؤة)	**امرأة وطْباء**: عظيمة الثدي.
ـ **الصمُوت**: الدرع الثقيلة.	**الصمُوت**: الشُهْدة التي ليست فيها ثُقبة فارغة **والشُهْدة**: قطعة من الشَهْد وهو العسل في شمعه أو في شمعها (لأن العسل يؤنث ويذكر).
	جارية صَمُوت الخلخالين: لا يسمع لها حس من غلظها وسمنها وامتلائهما. وكان ذلك - بل ولا يزال - أعز أمنية لليَعَارِبَة.
ـ **رداء الشمس**: حُسْنها	**امرأة هيفاء المُرَدَّى**: ضامِرة الحَشَا أو المُوشَّح.
ـ **فتر البرد وفتر الماء وكان الماء حاراً فَفَتَرتُه**: بردتُه.	**امرأة فاتِرة الطرف**: تكسر بصرها أي تنظر إلى أسفل وكان العَرَبة يستملحون ذلك في المرأة لأنهم يريدونها ذليلة خاضعة مطيعة خاشعة.
ـ **فاكهة حُلوة**: لذيذة طعمة	**امرأة حُلوة**: تُستخف وتُستحلى والجمع حُلْوَات.
ـ **الخانِق**: الشِعْب الضيق	**خَنَق السحاب الجبال تخنيفاً**: كاد يُغطي رؤوسها.
ـ **امرأة مختَّقة الـخَصْر**: هيفاء ضامِرة الخصْر.	**ما بقي في الحوض الأرْشَف**: بقية يسيرة من المناء تُترشف.
ـ **امرأة طيبة المراشِف**: طيبة الفم لذيذة الرِيْق.	**امرأة رشوف**: يصلح ريقها لأن يُرتشف، الرشْف هو المص بالشفتين.

- **قوس رشيقة:** سريعة النبْل

جارية رشيقة: في قدها اعتدال ودقّة.

- **بيض رَصِيص:** رصَّصته الدجاجة والنعامة بمنقارها ورجليها لتقعد عليه.

امرأة رصّاء: بينة الرَصَص (في الأسنان) وهو تقاربها.

- **المرْصُوصة:** البِئر التي طُويت بالحجارة.

امرأة رصّاء الفخذين: فخذاها شبه ملتصقين وذلك من شدة سمنهما وغلظهما وكان - ولا يزال - العرب يفضلون من كانت على هذه الهيأة أما المرأة البرّاء فهي صاحبة الفخذين المتباعدين وكانوا ينفرون منها لأنه شارة النحافة وهم سلفاً وخلفاً لا يكرهون شيئاً قدر كراهيتهم للمرأة النحيفة الرشيقة.

- **الرُضاب:** فُتات المسك، قطع الثلج والسكر والبَرَد والعسل وما تقطع من الندى على الشجر من المطر السَّح.

الرُضاب: رِيْق المرأة الحسناء - **يرضُب رِيقها** أي يَرشُف رُضابها أي يمصّه بشفتيه.

- **ظبي أفْتَخ الطرْف:** فاتره

امرأة في أصابعها فَتَخ: لِيْن.

- **الرِغْدِيْد:** الفالوذج وقد تَرغْدَد: تَرَجرَج وكان أولئك العُربان يعتبرون الفالوذج قمة الحلوى فلما داست سنابك خيولهم المظفرة بلاد الشعوب ذات الحضارات الباذخة وذاقوا حلواهم عرفوا درجة تبدّيهم.

جارية رِغْدِيْدَة: ناعمة تارّة والجمع رَغَادِيْد.

ـ **الجَبَاة**: القُرزُم وهي خشبة الحذّاء التي يحذو عليها	**امرأة جنأى**: قائمة الثديين.
ـ **رفّ البقل**: أكله	**رفّ شفتيَ امرأته**: رشفهما.
ـ **رفرف الأريكة**: ما تهدّل من الغصون وانعطف من النبات.	**امرأة ذات ثغر رَفْرَاف**: يرفّ كالأقحوان وقيل (إن ثغرها ليرفّ رَفِيف الأقاحي كبيض الأدَاحي).
ـ **أرض ذات رِيف**: ذات خصب.	**امرأة لها ثنايا ذات ترافِيف**: لها أسنان كالبللور تبرق.
ـ **فرع الدوحة**: غصونها والجمع فروع وأفرع	**جبل فارع**: مرتفع. **امرأة طويلة الفرع والفروع**: طويلة الشعر.
ـ **الفَلَك**: كل مستدير من أرض وغيرها	**الفَلَك**: الماء الذي تضربه الأرض فيتموج. **فَلَك ثدي الجارية وتَفَلّك واسْتَفْلك**: صار مستديراً مثل الفَلَكة.
ـ **روانِف الأكام**: رؤوسها	**امرأة ذات روانِف**: عجزاء **والروانف**: أعلى الأليَتَيْن.
ـ **إناء مُفعم**: ملآن	**أفعمت البيت طيباً**: ملأت جوانبه. **امرأة مُفعَمَة الساقين / خدلَّجة**: ممتلئة الساقين. وكان اليعْرُبيون وما زالوا يضربهم مس من الجنون إذا قاربوا واحدة بتلك الصفة.
ـ **مطرة قاشرة**: تقشر وجه الأرض من شدة وقعها	**جارية مُتَقَشِّرة**: عُريانة. **جارية مُتَقَشِّرة**: عُريانة. **تقشّرت المرأة**: تعرّت.

- **شعر سَبْط**: مسترسل وهو بخلاف الجعْد
- **ثوب سابغ**: يُغطي الجسم كله.
- **قَعَدت الفسيلة**: صار لها جزع
- **أثّ النبات يئِثّ أثاثة وأثاثاً وأثوثاً**: كثر والتف.
- **الأثاث**: متاع البيت.
- **أرأت الشاة**: تريد ضَرعها فعلم أنها أقربت فهي مُرْءٍ.
- **رَبَض التيس عن المَعِز**: ترك ضِرابها.
- **الغنم في مرابضها.**
- **الإمرأة ربَض الرجل**: مأواه وسكنه.
- **تحاسين الطاووس وتزاينه.**
- **حَشْوَة الشاة**: ما في بطنها وهي التي يخرجها منها من يتولى ذبحها.
- **الرَّبيلاء**: نبات زهره كزهرة السوسن.

امرأة سبْطَة: رَخْصَة ليّنة.

امرأة ذات عجيزة سابغة: ذات أليتين كبيرتين.

ثدي مُقْعَد: ناهد يملأ الكف.

أثّت المَرة: عظُمت عجيزتها وضخُمت.

امرأة أثّاثة: طويلة تامّة كثيرة اللحم والجمع نسوة أثائث.

هذه امرأة لها رُوَاء: بهاء وحسن.

رَبَض الظبي والشاة والكلب (وكل ما لا يبرك) على الأرض رُبُوضاً.

ربض الكبش عن الغنم: انصرف عن ضِرابها.

بَضة امرأة العِنّين: السنة التي تمكثها زوجة الحَصُور(الذي لا يباشر النسوان) عنده حتى تفارقه بحكم القاضي.

امرأة حَسّانة: بديعة التكوين والمظهر.

امرأة ضامرة الحَشا ونسوان ضوامر الحَشا.

امرأة ذات ثغر رَتْل ومُرَتّل: مُفلّج مستوى النبتة، حسن التنضيد مع بياض الأسنان.

- **قدم زَلُوج**: سريع الانزلاق.

امرأة مِزْلاج: رشحاء مشحاء عكس عجزاء أي لا روادف لها وكان اليعْرُبي لا يمقت شيئاً قدر مقته لها وكانوا يسوون بينها وبين الزانية في الشنآن والزرارية والامتهان ولذا عندما يمتدحون امرأة يقولون: نعم المرأة لا هي رشحاء ولا هي زانية.

- **حِضْن الجبل**: وسطه وكذا حِضْن الليل وحِضن الأرض.

امرأة دقيقة المحتضن: ضامرة الخِصْر **حِضْن المرأة**: ما دون الإبط إلى الكَشْح. عريضة بعض إذا أدبرت **هضيم الحَشَا شَخْتَة المُحْتَضَن**. **الشَخْت**: الضامِر الدقيق.

- **الحقيبة**: كل ما حمل على الرَحْل

أحقبت غلامي: أردفته.

- **اسم المُحْتَقَب**: الحقيبة.

امرأة نُفُج الحقيبة: عجزاء، ثقيلة الوِزكين والرِدْفين والمأْكَمَتَيْن.

- **النافِجة**: السحابة الكثيرة المطر الغزيرة الماء.

امرأة نُفُج الحَقِيبَة: وثيرة العَجيزة عظيمة الوِزكَين لفّاء الفَخِذَيْن ثقيلة المَأْكَمَتيْن. ومن حازت هذه النعوت لدى العَرب توجوها ملكة جمال العالم.

- **سهم دقيق الحَقْو**: مستدقة تحت الريش

حِقْو الجبل: سفحه.

جارية دقيقة الحَقْو: هضيمة الكَشْح، دقيقة الخَصْر.

- **حِلْيَة السيف**: ما يُزَيِّن مقبضه — **تحالَت الامرأة**: أظهرت حلاوتها.

- **جارية حُلْوَة المنظر**: امرأة حُلْوَة العينين. — **استحليت هذه المَرأة وإحْلَوْلَت لي**.

- **إِحْمَشْتُ القدر**: تحميتها برقاق الحطب حتى غَلَت بشدة. — **امرأة حَمْشة الساقين**: دقيقتهما **حَمَشَت ساقها حُمُوشة وحَمْشاً**: دقَّت. وكان اليعاربة يعتبرون ذلك من أظهر علامات قبح الامرأة وأوضح شارات دمامتها وكانوا يمقتون من كانت على تلك الصفة مقتاً لا حدود له.

- **ذئب أَزْسَح**: فيه خفة عَجُز — **امرأة رَسْحاء**: ليست بها عجيزة.

وهذا هو العيب الآخر الذي يحسبه العُزبان على المرأة فإن شاء لها سوء حظها أن تجمع بين العيبين بأن تغدو: حمشة الساقين رَسْحَاء فقد كتب عليها الشقاء الأبدي لأنها لن تجد من فتيان أو رجال القبيلة من يقترب منها بله من ينظر إليها حتى ولو كان وجهها في غاية الحسن ومنتهى القسامة لأن الجمال يأتي في المرتبة التالية إذ إن كل ما يهمه ويشغله المتعة التي يعطيها التلاقي حتى ولو منحتها دميمة الوجه ـ أما الحسناء الحَمْشة الساق المَسْحَاء الرَسْحاء فلا طاقة لها بامتاع اليَعْرُبي فلا حاجة له بها وهذا شأن الشعوب المتبدّية.

- **بَدَح السحاب**: أمطر — **بَدَحت المرأة بُدُوحاً**: مشت مشية فيها خلاعة.

- **رَضَع الحب**: دقّ بين حجرين — **رَضَع البُرّ**: دقَّه

- **رَضَع به**: لَزِق به. — **مرأة رَضْعَاء**: لا عَجيزة لها أي رَسْحاء.

ـ ابريق مُلثَّم: مَلثوم.

ثَم فاها (المرأة): وضع فاه على موضع اللِثَام ولاثَمَها.

ـ التفّ النبت وفي الأرض تلافيف من عُشب وجَنّة مُلتَفَة: بها لَفَف من الأشجار.

امرأة لَفّاء: بيّنة تداني الفخذين فهي قد لَفّت ـ تَلُفّ لَفَفاً. وكان العربي يطير عقله إذا وقعت في يده. امرأة لَفّاء زوجة أو جارية أو عشيقة وفي هذا يقول أحد شعرائهم:
(وما اللّف أفخاذاً بتاركة عقلاً)
ومعلوم أن الحواس والمحسوسات هي عالم الرجل البدائي.

ـ لسان الميزان: معروف

لسان الإبزيم: معروف

لسان النار: لهيبها المرتفع.

ـ تلسّن الجمر: توهج حتى خرجت منه ألسنة لهب

امرأة مُلسّنَة القدمين: لطيفتهما.

ـ شجرة ألـمَى الظلال: داكنتها

شجرة لَـمْياء الظل: داكنته.

امرأة لَـمْياء وبينة اللّمَى: ذات سُمرة واضحة في شفتيها. وكانت من الصفات الحميدة التي يستملحها العُزبان في الإمرأة.

ـ الـجّح: البطيخ الصغير

أجَـحَت المرأة: حملت فأخرجت وعظُم بطنها فهي مُجّح.

ـ كل خنزير أخْزَر: ينظر بمؤخر عينه والأخْزَر أيضاً الذي ضاقت عينه وصغُرت.

امرأة خَزْراء تمشي الـخَيْزَرَى أو الـخَوْزَرَى: مِشية فيها تفكك أي اضطراب واسترخاء كأنما تتحلل أعضاؤها وينفكّ بعضها من بعض

في تبخترها. **تمدّد** الأديم (الجلد). والسِّيزِقِيْن **مِدَاد** الأرض. والدُهن **مِدَاد** السراج. امرأة ذات **قدّ مَدِيْد** وقامة **مَدِيْدة**. وهي من أجمل الناس وأمّده قامة.

ـ **أرض مِمْراح**: سريعة النبات فهي تمرح بالنبات.

قوس مَرُوح: حسنة الإرسال للسهم.

ـ **مَرَحت المزادة**: كثُر سيلانها.

امرأة مَرِحة: تتبختر وتختال

امرأة مَرِحَة: أَشِرَة بَطِرَة

امرأة مَرِحَة: شديدة الفرح والنشاط.

ـ **ركب مِلاك الطريق**: وسطه وكذا ملكه

مَلَكت كفي بالسيف: شد القبض عليه.

مَلَكت العجين وأمْلَكته: شدّت عجينه.

ـ **مَلَك المرأة**: تزوجها

وأمْلَكَها (أبوها): زوجها. وفي بعض أو كثير من بلاد اليعاريب يسمون عقد الزواج (المُلكة) بضم الضميم.

هذه هي نظرتهم إلى أسمى علاقة تقوم بين الرجل والمرأة (الزواج أو النكاح) إنها عقد تمليك كما يمتلك أي شيء حيواناً أو دابة لا فرق الزوج هو المالك المتصرف بيده الأمر والنهي والزوجة هي المملوكة الأسيرة التي ليس لها من الأمر الشيء حتى طلب فسخ العلاقة لا تجرؤ عليه، وهذا أمر شديد البداهة في مجتمع بدائي ذكوري.

ـ **مَدّ مضمار الفرس**: أضمره	**امرأة ممدودة**: ممشوقة.
ـ **مَضماصة الماء (في الفم)**: ما امتصصته منه	**امرأة مَمْصُوصة**: مهزولة، نحيفة.
ـ **فَقَحَ النبات**: أزهى وأزهر	**امرأة فَقْحَة**: حسنة الخلْق.
ـ **مِلءُ القدح وملء العين وملء الكف.**	**امرأة عليها مَلاءَة الحسن**: بيّنة الجمال والحلاوة.
ـ **القُرزُح**: اسم بقلة أو شجيرة	**القُرْزحة**: الامرأة الفقيرة الدميمة.
ـ **أطعمهم النخض**: اللحم المكتنز	**امرأة نحيضة**: لَحِيْمَة.
ـ **سنان مَنْحُوض**: قد نَحَض أي رَقَّ	**امرأة مَنْحُوضة**: مهزولة.
ـ **رمح خَطِل**: مضطرب	**ثوب خَطِل**: طويل ينسحب على الأرض.
ـ **امرأة خطْلاء الشديين**: مسترخيتهما	**نسوان خُطُل الثدّي**: مسترخية الأثداء.
ـ **حمار أَخْطَب بين الخُطْبة**: فيه غُبْرة ترهقها خُضْرة.	**وحمامة خَطْبَاء القميص**: ذات ريش به غُبْرة ترهقها خُضْرة.
	امرأة خَطْباء الشفتين: فيهما خُضْرة. وكان الأعرابي يستملح ذلك.
ـ **خفّ بالميزان**: شال	**جارية خفيفة الروح**: ظريفة.
ـ **خَفَق النجم**: غاب وتوارى	**امرأة خَفّاقة الحَشا**: خَمِيصَة.
ـ **زجّ الظليم (ذكر الظباء) برجليه**: عَدا (جرى).	**امرأة زجّاء**: بيّنة الزَجَج وهو دِقّة الحاجب واستقواسه، وكان أحفاد يشْجُب يهيمون به مما دفع نسوانهم إلى اصطناعه.

ـ **البيْذَخ**: النخلة المُوَقَرَة	**البيْذَخ**: المرأة البَادِن.
ـ **البلْخ**: شجر السنديان	**البلْخاء**: ذات العجيزة الثقيلة الضخمة.
ـ **الدَلُوخ**: النخلة الكثيرة الحمل	**امرأة ذَلِخَة وذَلاَخ**: عجزاء.
	صَمَخت الشمس في وجهه: أصابته واشتد وقعها عليه.
	امرأة صَمْخة: غضّة.
ـ **الطابخة**: الهاجرة	**الطَبَاخِية**: الشابة المكتنزة.
ـ **الهَبْيَخ**: الوادي العظيم	**الهَبْيَخة**: الجارية الناعمة التارّة الممتلئة.
ـ **الثأد**: الثرى / الندى / القرّ	**امرأة ذات فخذ ثَئِد**: ذات فخذ ممتلئة.
ـ **الثأد**: البُسْر الليّن، النبات الغضّ الناعم	**الثَأدَة**: المرأة الكثيرة اللحم. **امرأة بيّنة الثآدة**: واضحة السِمَن.
ـ **الرئد**: فرع الشجرة **وتَرأدت الريح**: اضطربت.	**الرَئدَة**: الشابة الحسنة وهي رَؤُودة.
ـ **انعمد الثرى**: بلله الثرى حتى إذا قبضت عليه تعقّد لندواته.	**امرأة عَمْدانية**: شابة بيّنة الشباب ممتلئة.
ـ **اسْتَغضَدَ الشجرة**: عَضَدها	**اسْتَغضَد الثمرة**: جناها.
ـ **العُضد**: الدُمْلُج	**امرأة عَضَاد وعُضَاد**: غليظة العَضُد.
ـ **الرَخُودَة**: سعة العيش	**امرأة رُخُودة**: سمينة ليّنة العظام.
ـ **نبات أغيد**: الناعم المتثنى	**الغيْداء**: المتثنّية ليناً **وقد تغايدت**: تثنّت.
ـ **الغادة**: الشجرة الغضّة	**الغادة**: المرأة الناعمة الليّنة البيّنة الغَيَد.

ـ **القُصُود**: العظم المُمَخّ	**المُقَصَّدة**: المرأة العظيمة التامّة تُعجب كل أحد.
ـ **مَلَده**: مدّه وتمليد الأديم (الجلد) أي تَمْرِينه.	**امرأة أُمْلُود وأمْلُودانية ومَلْدانية وأُمْلُود ومَلْدَاء**: بيّنة الشباب والنعمة تهتز في مشيتها.
ـ **الكِبْداء**: الرملة العظيمة الوسط	**الكبداء**: المرأة الضخمة الوسط، البطيئة السير.
ـ **بِرْذون تَرّ**: سريع الركض.	**التَرّة**: الحسناء الرعناء وهو وصف تختص به الجواري **والتَرَاتير**: الجواري الحسناوات الرُعن.
ـ **كل الطير سُكّ**: مُصلّمة الآذان	**دِرع سكّاء**: ضيقة الحلْق. **امرأة سكّاء**: بيّنة السَكَك في أذنيها وهو قِصرها وصِغرها.
ـ **سُلاّف العسكر**: مقدمتهم فهم سَلَف لمن وراءهم.	**امرأة حسنة السالِف والسالِفتين وهما جانبا العُنُق.**
ـ **باب مسمُور**: محكم الغلق، مستمر	**جارية مَسْمُورة**: معصوبة الخلْق.
ـ **دار سمينة**: كثيرة الأهل	**عطاء سمين**: وفير غزير. تعالجت المرأة **بالسِمْنة** حتى غدت سمينة بيّنة السِمْنَة.
ـ **زَنَر القربة**: ملأها	**امرأة مُزَنّرة**: طويلة جسيمة.
ـ **شعر مُسَبْكر**: مسترسل	**جارية مُسَبْكرة**: معتدلة القوام.
ـ **الشَنْر**: حرف الجبل	**الشنْتورة**: المرأة العجزاء.
ـ **نزلوا بالسيف (سيف البحر)**: بالساحل	**سيف مسيَّف**: ضارب. **جارية سَيْفَانة**: شطْبة كأنها نِصل السيف.

- **العبهر**: النرجس والياسمين.

امرأة عبهَرة: رقيقة البَشْرة ناصعة البياض بيّنة السمنة، ممتلئة الجسم جامعة للحسن في الجسم والخُلق.

- **ساق الشجرة**: معروفة

امرأة سوْقاء: طويلة الساقين، بيّنة السَوَق.

- **المُعْصر**: المطر

المُعْصِر: الجارية بلغت شبابها وأدركت ودخلت في الحيض.

- **العفراء**: الأرض البياض لم توطأ

امرأة عفراء: بيضاء.

- **أسد شَثِن البراثن**: غليظها

امرأة ذات بَنَان شَثِن: غليظ.

- **شَخِص السَهْم**: جاز الغرض من أعلاه

امرأة شَخِيصَة: جَسِيمَة.

- **الفَزَارة**: أنثى النمر

امرأة فزْراء: ممتلئة لحماً وشحماً.

- **شت الشعب شتاتاً**: تفرق شتى وأشتاتاً

امرأة ذات فم شَتِيت: مُفلّج.

امرأة شَبْعى الخلخَال: سَمِينَة

- **بلد شَبِعَت غنمه**: بلد خَصِيب.

امرأة شَبْعى الدِرْع أي القميص.

- **أشدَن الظبي**: ترعرع وأشْدَنَت الظبية فهي مُشْدِن

أشْدَنَت الجارية: أشبهت الظبية.

- **القَنفَخر**: أصل البردى

القَفَاخِرة: المرأة الحسنة الخَلْق.

- **المَدَر**: قطع الطين اليابس

المَدْراء: ضخمة البطن.

- **المَزْمرة**: المطر الكثير.

المارُوْرَة، المُرَيْرَاء، المَرْمُوْرة، المَرْمَارة: الجارية الناعمة الرجراجة.

- **مَكَر أرضه**: سقاها

المَكْرَة: نبتة غَبْراء.

	امرأة مَمْكُورة: مطوية الخَلْق، مستديرة الساقين.
ـ **النَشْر:** الكلأ يبس فأصابه مطر دُبُر الصيف فاخْضَرّ	**النَشْر:** ايْراق الشجر (من أورق).
ـ **النَشْر:** خلاف الطَيّ	**النَشْر:** ريح فم المرأة وريح أعطافها بعد النوم.
ـ **الزَهْراء:** السحابة البيضاء التي تُبرِق بالعشيّ	**الزهراء:** المُشرقة الوجه.
ـ **شَهَر سيفه:** انتضاه ورفعه على الناس	**امرأة شهيرة:** عريضة واسعة. **أشْهَرَت الامرأة:** تدخلت في شهر ولادتها.
ـ **المُسَيّر:** ثوب فيه خطوط.	**سيّرت المرأة خِضَابها:** خَطَّطَته.
ـ **جرى النَسءُ في الدواب:** جرى فيها السِمَن **والنَسء هو** بدء السِمَن.	**امرأة نَسء:** مظنون بها الحَمْل. امرأة **نَسّء ونَسُوء** تأخر حيضها ويُرجى حَمْلُها والجمع نسوان نِسَاء.
ـ **الخُدْرة:** الظلمة الشديدة	**جارية مخدَّرة ومخْدُوْرَة:** مخبوءة.
ـ **المُختَمِرة:** الشاة البيضاء الرأس	**المختَمِرَة:** الامرأة التي لبست الخُمار.
ـ **تَكَفَّأت النخلة:** فهي عيدانة	**تَكَفّات المرأة في مِشيتها:** ترهْيَأت ومادَت ـ والتكفُؤّ هو التمايل إلى قُدّام.
ـ **الناضِر:** الأخضر الشديد الخضرة.	**امرأة ناضِرة ونَضِرَة ونَضِيْرَة الوجه أو اللون:** بيّنة الحسن مع النعمة.

ـ النَهَابِر: المهالك أو ما أشرف من الأرض والرمل والحضريين الآكام، الواحدة نَهْبَرة ونَهْبُورَة.	النَهبَرة: المرأة الطويلة المهزولة النَهْبَرة: المرأة المشرفة على الهلاك.
ـ الوَخرَة: وَزَغة كسام أبرص	امرأة وَخرة: سوداء دميمة أو قصيرة.
ـ الوَذَرَة: القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها	الوَذَرَة: المرأة الغليظة الشفتين.
ـ الحَنْطب: ذكر الجراد وذكر الخنافس.	الحُنْطُوب: المرأة الضخمة الرديئة القليلة الخير.
ـ الحَوْشَب: الأرنب الذكر	الحَوْشَب: العجل ولد البقرة
ـ الحَوْشبة: المرأة العظيمة البطن.	الحَوْشَبَة: المرأة العظيمة الجنبين.
ـ شَطّت الدار شُطُوطاً: بعدَت	جارية شاطّة: مَقْدُوْدَة. جارية حسنة الشِطَاط: حسنة القَوَام.
ـ الجَرْباء: الأرض المُمْحِلة المَقْحُوطة	الجَرْباء: الجارية المليحة بيّنة الملاحة. سميت جَرْباء لأن النساء ينفرن عنها لتقبيحها محاسنهن بمحاسنها الرائعة وكان لعَقِيْل بن عُلَّفَة المُرّي بنت يُقال لها الجرباء وكانت من أوضأ النسوان وأحسنهن وأجملهن.
ـ السُرْحُوب: ابن آوى	امرأة سُرْحُوبة: طويلة حسنة الجسم.
ـ الشُرْعُوب: نبت أو ثمرة	امرأة شِرْعَبَة: طويلة حسنة الجسم.
ـ شبّ اللهب: ارتفع	شبّت الحرب: حمى وَطِيسها امرأة شبَّة: شابة فتيّة.

- **أرض مُشَطَّبَة (كمُعَظَّمة)**: خَطّ فيها السيل قليلاً.

الشَاطِبة: التي تَشقّ الجريد لتُعمل منه الحصير

- **الشَاطِبة**: التي تُقَدِد الجلد الجمع شَوَاطب.

الشَطْبَة والشِطْبَة (بالكسر والفتح): الجارية الحسنة التارّة الغضّة وقيل هي الطويلة.

- **الشنْباء من الرُمّان**: الإمْلِيسيَّة التي ليس لها حَبٌ، إنما هي ماء في قِشْر على خَلْقه الحَبّ من غير عجم. **سنة شَهْباء**: مُجْدِبة بيضاء من الجذب لا تُرى فيها خُضْرة ولا ينزل فيها مَطَر.

امرأة شنباء: بيّنة الشَنَب وهو ماء ورِقّة تجرى على الثغر أو بَرَد وعذوبة في الفم.

- **الطَرْطَبَة**: الصفير بالشفتين للضأن والمعْزَى أو هو الصوت الذي يصدر من الحالب لتسكينها.

الطَرْطَبة: اضطراب الماء في جوف القربة

امرأة طُرْطُبَة وطُرْطُب: ذات ثدي ضخم مسترخ. أو هي عظيمة الثديين أو طويلتهما. وكان الأعاريب يستملحون ذلك ويعدونه من سمات الجمال وفي حديث الأشتر حدد من مواصفات المرأة التي يريدها (ضَمْضَجاً طُرْطُباً) **والضَمْضَج**: الضخمة التامّة.

- **نعجة أليانة**: عظيمة الآلْيَة.

امرأة أَلْيَاء: عجزاء - عظيمة العجيزة أو الآلْيَة وهي ما ركب العجز من شحم ولحم.

- **زَهَرت النار والشمس**: ارتفعت

زَهَر السراج: تلألأ.

امرأة زَهْراء وزَاهِرة: بيضاء كأن وجهها يضيء.

ـ **حنظل مُشَدَّخ**: مَشْرُوخ مُكَسّر	**امرأة شادِخَة**: شابة في شذخ أو شرخ الشباب.
ـ **خَثَى البقر**: رمى بذي بطنه	**امرأة خَثْواء**: أسفل بطنها مسترخ.
ـ **الأَزْفَى**: اللبن المحض الطيب	**امرأة رَفْواء**: عظيمة الأذنين في استرخاء.
ـ **الشَغْوَاء**: العُقَاب	**امرأة شَغْواء وشَغْياء**: بيّنة الشَغَا. وهو اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج. يقال شَغَت أسنانها شَغْواً.
ـ **أَضْغَت الشمس**: مالت للغروب.	**امرأة صَغْوَاء**: أحد شقيْ جسدها أو حنكها مائل.
ـ **الظَبْيَة**: الشاة والبقرة	**الظَبْيَة**: المرأة.
ـ **المَعَارِي**: المواضع التي لا تنبت	**جارية حسنة المَعْرَى**: حسنة المُتَجَرَد.
ـ **نخلة مَعْرَاة**: أُكِل جميعُ ما عليها	**امرأة عَارِية**: تجرّدت من ثيابها.
ـ **العَوَاشي من الغنم**: التي ترعى ليلاً	**امرأة عَشْواء**: لديها سوء بصر بالليل.
ـ **أَعْنَاء السماء**: نواحيها	**العَواني**: النساء لأنهن يُظْلَمْن وأصل العُنْوَة القَهْر.

وهذا الاسم الذي يطلقه اليَعَارِبة على النساء يَشِي بمكانتهن لديهم وأنهن موضع ظلم وقهر واستبداد ولعل ذلك مرده إلى أنهن كُنَّ لا يشاركن في شن الغزوات التي كانت من أهم مصادر الدخول لديهم كذلك وكن لا يتاجرن أي يشتغلن بالمتاجرة

(باستثناء قلة نادرة من الثريّات كن يساهمن في التجارة بأموالهن).

أي أنهن كن غير منتجات ومن هنا كانوا يعاملونهن معاملة تتسم بالعُنْوَة (القهر).

فضلاً عن أنهن كن عاجزات عن الدفاعِ عن أنفسهن إذا هوجمت القبيلة أو العشيرة وإذ أسرهن العدوّ شَكّلَ ذلك عاراً على رجالها.

إذن النسوة في نظر اليَعرُبيين!

لا هن منتجات ولا محاربات ومصدر عار ومن هنا انبثقت المعاملة الجائرة التي صبّوها عليهن فهن العواني مرة والأسيرات أخرى ولا وظيفة لهن إلاّ تقديم المتعة للرجال وخدمتهم وإنجاب الأولاد الذين يحفظون ذكراهم وتربيتهم.

ـ **اللَثى**: النَدَى	**اللَثى**: اللَزِج من دَسِم اللبن. **امرأة لَثِيّة ولَثْيَاء**: يعرق جسدها.
ـ **اللَهو واللُهْيَة**: الخِفْيَة من المال أو العطِيَّة (أفضلها)	**اللَهْوَة**: المرأة (يُلْهى بها).
ـ **اللِيَاء**: سمكة تُتخذ منها الترسة الجيدة	**امرأة كاللِيَاء**: شديدة البياض.
ـ **المارِيّة**: القَطَاة المَلساء	**المارِيّة**: المرأة البيضاء البرّاقة.
ـ **الشَاحِب**: السيف يتغير لونه بما يبس عليه من دم.	**امرأة شَاحِبة**: مهزولة نحيفة أو التي تغيّر لونها لعارض من مرض أو سفر.

ـ **قوس زلّاء**: يَزِلُّ السهم عنها لسرعة خروجه	**امرأة زَلّاء**: ضيقة الوركين.
ـ **السِبَحْل**: الضخم من الضَبّ	**السِبَحْل**: الجارية.
ـ **الأسْحَل**: شجر يُستاك به	**الأسْحَلانِيّة**: المرأة الرائعة الطويلة الجميلة. **المَسْحَلانيّة**: المرأة سَبِطَة الشعر فَرْعاء.
ـ **الطَلّة**: الخمر اللذيذة	**الطَلّة**: الرائحة المُستَطابة.
	الطَلّة: الزوجة. بلّلها المطر
ـ **العَبْلاء**: الصخرة وخاصة البيضاء منها	**امرأة عَبْلة**: ضخمة.
ـ **عِصال**: مِحْجَن يُتناول به أغصان الشجرة	**امرأة عَضْلاء**: لا لحم عليها.
ـ **نعجَة كَحْلاء**: بيضاء / سوداء العينين.	**امرأة كَحْلاء**: شديدة سواد العينين كأن عينيها كحيلتان أو مَكْحُولتان.
ـ **الكَهْدَل**: العنكبوت	**الكَهْدل**: الشابة السمينة.
ـ **الكَهْدَل**: العجوز (ضد) وسبق أن نبهنا إلى أن لسان (لغة) العرب تحمل المعنى وضده في الوقت ذاته ولعلها اللغة الوحيدة التي تميزت بهذه الخاصية المُعْجِبَة.	**الكَهْدل**: العاتق من الجواري.
ـ **الهَرَاكِلة**: ضخام السمك/ كلاب البحر أو جِمَاله/ الضخام الأعجاز من دوابّ البحر.	**الهَرْكَلَة/ الهُرْكِلَة/ الهُرْكُولَة/ الهِرْكِيل**: المرأة الحسنة الجِسم والخَلْق والمِشْيَة.

ـ **الْفِنثِيل**: رقبة الفيل	**الفِنثِيل**: الامرأة القصيرة.
ـ **الـجَمُوم**: البئر الكثيرة الماء	**امرأة جـمّاء العظام**: كثيرة اللحم.
ـ **الحمامة**: خيار المال	**الحمامة**: ساحة القصر.
ـ **الحمامة**: بَكَرة الدلو	**الحمامة**: حَلَقة الباب.
	الحمامة: المرأة عموماً والمرأة الجميلة بالأخص.
ـ **الكُلثوم**: الفيل	**الكُلثوم**: الزَنْدَفِيل
ـ **الكُلثوم**: ابن الـحُصَيْن.	**امرأة مُكَلْثَمَة**: مكتنزة لحم الخدين والوجه مجتمعتهما بلا جهومة.
ـ **البَحُونَة**: القربة الواسعة البطن	**البَحُونَة**: الامرأة القصيرة.
ـ **البَدَن**: الدرع القصيرة	**امرأة بَادِنَة وبَادِن وبَدِيْنة ومُبَدَّنة**: جسيمة.
ـ **الباهِين**: تمر/ نخلة لا يزال عليها طَلْع جَديد.	**امرأة بهْنانة**: طيبة النفس والريح
ـ **امرأة بَهْنانة**: ليّنة في عملها ومنطقها.	**امرأة بَهْنانة**: ضحاكّة خفيفة الروح.
ـ **أرض سمينة**: تربة لا حجارة فيها	**امرأة مُسْمِنَة**: سِمَنها خلقة.
	امرأة مُسْمَنَّة: سَمِنت بالأدوية.
ـ **العِيْن**: بقر الوحش	**امرأة عيْنَاء**: عظُم سواد عينها مع سعتها.
ـ **البَاهِين**: تمر	**البَاهِين**: نخل لا يزال عليها طَلع جديد.

ـ **البَهْكَنَة**: الشابة الغضّة.	**ويقال للعجزاء**: تَبَهْكَنَت في مشيتها.
ـ **غَطَت الأرض وأَغْطَت**: انبسطت	**غَطَت المرأة وأَغْطَت**: امتلأت وسَمِنَت.
ـ **الشَيْم**: النظر إلى البرق	**ويقال شام البرق يُشِيمه شَيْما وشام السيف**: إذا سلّه وإذا أغمده (وهو من الأضداد التي تحفل بها لغة العُربان).
	امرأة شَيْماء: بها شامة والجمع نسوان شِيْم.
ـ **ثوب لَبِق**: لاق على لبسه	**امرأة لَبِقَة ولَبِيْقَة**: حسنة الدَّل.
ـ **امرأة لَبِقَة ولَبِيْقَة**: حسنة اللبس	**امرأة لَبِقَة ولَبِيْقَة**: بيّنة الظرف.
ـ **الضَّبارِك**: الأسد	**الضِبْرَك**: المرأة العظيمة الفخذين.
	الضِنَاك: الشجر العظيم الضِنَاك: المرأة الموثّقة الخلْق الثقيلة العَجُز.
ـ **العاتِكة من النخل**: التي لا تأْتَبِر	**امرأة عاتِكة**: مُحَمَّرة من الطِيْب.
ـ **الهَبْكة**: الأرض التي تسُوح فيها القوائم	**الهَبْرَكَة**: الجارية الناعمة التامّة.
ـ **الجَزْلة**: القطعة العظيمة من التمر	**امرأة جَزْلَة: عظيمة العَجُز.**
ـ **الجَمْلانة والجُميلانة**: البلبل	**امرأة جَمْلاء**: جميلة بيّنة الحُسن في الخَلْق والخُلُق تامّة الجسم.
ـ **صخرة خَلْقاء**: مَلْساء	**امرأة خلاَّقة**: حسُن خَلْقُها.
ـ **الخافِقان**: طرفا السماء والأرض أو منتهاهما	**امرأة خفَّاقة الحَشَى**: خَميْصته.

ـ **الدُقَّة**: التوابل والأبزاز والملح مع ما خلط به من أبزازه.	**امرأة قليلة الدُقَّة**: غير مليحة.
ـ **قوس رشيقة**: سريعة السهم يقال **ما أرشقها**: ما أخفها وأسرع سهمها.	**امرأة رشيقة**: حسنة القَدّ لطيفة.
ـ **نعجة رَوْقاء**: صافية اللون	**امرأة رَوْقاء**: جميلة جداً ذات جمال رائق.
ـ **الزقّة**: طائر صغيرة	**الزَقْزَق**: ضرب من النمل. **امرأة زَقْزَاقَة**: خفيفة المشي.
ـ **العَاتِق**: الخمر الحسنة القديمة التي حسُنت لقدمها	**العَاتِق**: الزق الواسع.
ـ **العَاتِق**: الجارية أول ما أدركت، عتقت، تَعْتِق	**العَاتِق**: التي لم تتزوج. **العَاتِق**: التي بين الإدراك والتعْنِيس
ـ **الـجُبلّة**: السنة المُجْدِبَة	**امرأة جَبْلَة ومِجْبَال**: غليظة.
ـ **الـخَذْلة**: الحبّ الضئيلة من العنب.	**الخَذْلة والخَدِلة**: المرأة الغليظة الساق مستديرتها (وهذا من الأضداد).
ـ **امرأة خذلاء**: ممتلئة الأعضاء مع دِقّة عظام	**امرأة خَثْلَة**: ضخمة البطن.
ـ **دَمْـحَل الحجر**: دحرجه	**الدُمَخْلَة**: المرأة السمينة. **الدُمَخْلَة**: المرأة الحسنة الخلْق.
ـ **العَشّة**: النخلة إذا قلّ سعفها ودقّ أسفلها	**العَشّة**: الشجرة اللئيمة المنْبِت.
ـ **العَشّة**: الشجرة الدقيقة الأغصان	**العَشّة**: الامرأة الطويلة القليلة اللحم أو الدقيقة عظام اليد.

ـ **خَزبَصَ المال (أي الماشية)**: وقع في الرعي وألحّ في الأكل.	**الخَرِبصة**: المرأة الشابة التارّة.
ـ **عَنز خَيْصاء**: أحد قرنيها مُنتَصِب والآخر مُلْتَصِق برأسها.	**امرأة خَيْصَاء**: إحدى عينيها كبيرة والأخرى صغيرة.
ـ **الدَغصاء**: الأرض السهلة تحمى عليها الشمس فتكون رمضاؤها أشد من غيرها.	**الدَغْفَصَة**: المرأة الضئيلة.
ـ **البضّ**: اللبن الحامض	**امرأة بَضّة**: رخصة الجسد رقيقة الجلد ممتلئة.
ـ **امرأة باضّة**: رخصة الجسد رقيقة الجلد ممتلئة	**امرأة بَضْبَضَة**: رخصة الجسد رقيقة الجلد ممتلئة.
ـ **امرأة بَضْبَاضة**: رخصَة الجَسَد رقيقة الجلد ممتلئة.	**دَرع فَضْفاضة**: واسعة
	الفَضْفَاضة: المرأة اللحيمة الجسيمة الطويلة.
ـ **درع مُفَاضة**: وسيعة سابغة	**مرأة مُفَاضَة**: ضخمة البطن.
ـ **القَنبض**: الحيّة	**القَنْبُضَة**: الدقيقة. **القَنْبُضَة**: القصيرة.
ـ **الحيْقُط والحيْقُطان**: الدرّاج أو الذكر منه	**امرأة حَقْطَة**: قصيرة. **امرأة حَقْطَة**: خفيفة.
ـ **الخُوط**: الغصن الناعم	**امرأة خُوطانة**: كأنها الغصن طولاً ونعمة.

	امرأة خُوطَانِيّة: كأنها الغصن طولاً ونعمة.
ـ **المِشَنّط**: الشِوَاء	**الشِنَاط**: المرأة الحسنة اللحم واللون.
ـ **شاة لَغطاء**: بها سواد بعرض عنقها.	**امرأة لَغطَاء**: بيّنة اللُغطَة وهي خط بسواد أو صفرة تخطّه المرأة في خدها.
ـ **شُنْطُوَة الجبل**: أعلاه	**شِنَاط الجبل**: أعلاه.
	امرأة ذات شِنَاط: مكتنزة اللحم كثيرته.
ـ **التِلاَع**: مسائل الماء حتى ينصب في الوادي.	**المرأة المَيْلع**: الحسناء لأنها تَتْلَع رأسها تتعرض للناظرين إليها.
ـ **الرقْعاء**: الشاة ما في جنبيها بياض	**الرقْعاء**: الامرأة التي لا عجيزة لها أي الرشحاء المشحاء.
ـ **النَكْعة**: نبت كالطُرْثوب	**النكْعَة**: المرأة الحمراء.
	النكْعة: شفاه النسوان الشديدة الحُمرة.
ـ **روضة أُنُف**: لم ترع	**امرأة أَنُوف**: طيبة الرائحة.
ـ **الحَذْف**: طائر	**الحَذْف**: بط صغير **الحَذْف**: غنم سود صغار.
	ـ **امرأة حُذَفَة**: قصيرة.
ـ **الحزقِفَة**: الدابّة المهزولة ودويبة من الأحناش	**الحُرَنْقَفَة**: الامرأة القصيرة.
ـ **القَصْفَة**: قطعة من الرمل تَنقَصِف عن معظمه	**القَصْفَة**: المرأة الضخمة.

- ريح **هَفّافة**: طيبة ساكنة

الهَفِيف: سرعة السير.

- **الهَفّاف**: من الحُمُر: الطيّاش

الهَفّاف: من الظِلال: البارد أو الساكن.

- جارية **مُهَفّفة**: ضامرة البطن دقيقة الخَصْر

جارية **مُهَفْهَفة**: ضامرة البطن دقيقة الخَصْر.

- **الخُنْظَبَة**: القملة الضخمة

امرأة **خُنْضَبَة**: سمينة.

- غصن **يَمْؤُود**: ناعم يهتز ويَتَرأد من النعمة

غصن **أمْلُود**: ناعم يهتز ويترأد من النعمة.

امرأة **املودة**: غضّة الشباب تهتز من النعمة.

- قدح **مُزَلّم وزَلِيم**: أجيد قدّه وصنعته

سهم **مُزَلّم وزَلِيم**: أُجِيد قدّه وصنعته.

- عصاة **مُزَلّمة**: أجيد قدّها وصنعتها

امرأة **مُزَلّمة**: ليست بالطويلة.

- **الأُخطَب**: الحمار تعلوه خُضْرة وهو بيّن الخَطْبة والأنثى خَطْبَاء.

امرأة **ذات يد خَطْبَاء**: نَصَل سواد خضابها من الحِنّاء.

- **الخَزباء**: مَعْزى خُرِبت أذنها أي شُقّت شحمتها

أمة **خَزباء**: أذنها مشقوقة الشحمة.

- **المزْهَة**: حَفِيْرة يجتمع فيها ماء السماء

امرأة **مَرْهَاء**: لا تُكَحِّل عينيها ـ فهما تخلوان من الكُحْل.

- **الأَمْقَة**: المكان الذي لا ينبت فيه الشجر

امرأة **مَقْهاء**: مُحْمَرَّة المآقي والجفون من قلة الأهداب.

- ريح **وَزْهَاء**: يكثر هُبُوبها وهُبوبها عجرفة

امرأة **وَرِهَة**: كثيرة البطر.

ـ **الزَخنَة**: الحر الشديد	**الزَخنَة**: الامرأة القصيرة.
ـ **الزَوْنة**: الصنم	**امرأة زَائِن**: مُتجملة مُتزينة.
ـ **شَدَن الظبي**: قوي واستغنى عن أمه	**المَشْدُونة**: العاتق من الجواري.
ـ **الغَسِينة**: خُصلة الشعر	**الغَسْنَاء**: خُصلة الشعر
	الغَيْسَانة: المرأة الناعمة.
ـ **الجَهْنَة**: جَهمة الليل	**الجَهْنة**: زربة في البحر غير متصلة بالبر.
	جارية جُهَانَة: شابة
ـ **الرَقُون**: الحِنّاء يُختضب بها	**الرَقُون**: الزَعْفَران يُختضب به.
	امرأة راقِنَة: حسنة اللون، مُخْتضبة بالرقون ومُتَزَيِّنة.
ـ **الكُمَة**: القُلنسوَة المُدوَّرة	**مرأة كَمْكَامة**: قصيرة الخلْق مُجتمعة.
ـ **أوْشَم الكَرْم**: ابتدأ يُلوِّن وتمَّ نضجه	**أوشَمَت الجارية**: بدا ثديها.
ـ **الديْسَم**: ولد الثعلب من الكلبة	**الديْسَم**: الظُلمة والسواد.
ـ **الدَيْسَم**: نبات	**امرأة دَسْمَاء**: في لونها غُبْرة إلى السواد.
ـ **الهَرَاكِلَة**: مجتمع أمواج البحر	**امرأة هُرْكُونة**: مُرْتَجّة الأرداف عند المشي.
ـ **ابريق مُثَدَّم**: وضع عليه الثِدَام للمصفاة	**امرأة ثَدْمَة**: غليظة سمينة حمقاء جافية.
ـ **الأثْرَمَان**: الليل والنهار	**الثِرْمان**: شجر حامض ترعاه الإبل.

	امرأة ثَرْمَاء: مكسورة سِنّ من الثنايا والرُبَاعِيّات.
ـ **الهَيْضَلَة**: الناقة الغزيرة اللبن	**الهَيْضَلَة**: الناقة الضخمة الطويلة.
ـ **الهَيْضَلَة**: الناقة المسنة	**امرأة هَضْلاَء**: طويلة الثديين.
ـ **أتيته في هِلَّة الشهر**: استهلاله **أتيته في هِلّ الشهر**: استهلاله. **أتيته في إهْلال الشهر**: استهلاله.	**امرأة هِلّ**: مُتَفَضِّلة في ثوب واحد. يقول العام في مصر: لابسة عاللحم.
ـ **اليَغْلُول**: الغدير الأبيض المطرد	**اليَغْلُول**: السحاب الأبيض.
ـ **اليَغْلُول**: المطر بعد المطر.	**الغَلِيلة**: المرأة المُطَيَّبة طِيبًا بعد طِيب.
ـ **أرض فَلّ**: متشققة من قلة المطر	**امرأة ذات ثغر مُفَلَّل**: مؤشر فيه تَفْلِيل وتأْشِير. وكان بنو يَعْرُب بن يشْجُب يستعذبونه ومن ثم فقد كانت الأعرابية إذا لم يكن ثغرها مُفلَّلاً خِلْقَة عَمَدت إلى تَفْلِيله وتأشيره حتى يمنحها سيدها وبعلها ومالك أمرها: الرضى والحَظْوَة.
ـ **فُوْهَة الزُقَاق**: مَدْخله	**طعنة فَوْهَاء**: واسعة.
	امرأة فَوْهاء (شَوْهَاء): واسعة الفم قبيحته.
ـ **نار ساطعة الذَوَائب**: مرتفعة ألسنة لهبها.	**امرأة مَذْآبة**: لها ذوائب أو ذُؤابة وهي الشعر المنسدل من الرأس إلى الظهر.

ـ **الزاوروق**: الزئبق

درهم مُزَوَق: مزابق. ويقال للمرأة **زَبَقّي** أي تزيَّني.

ـ **سِيمة العطار**: جُونة حسنة منقوشة يضع فيها العطر.

امرأة قَسِيمَة: بيّنة القَسام والقَسامة أي كل شيء فيها أعطى قِسْمَتَه من الحسن ويقال: هي قسيمة وسيمة.

ـ **لوز مقشور ومُقَشّر**: معروف ـ فلان يتفكه بالمُقَشّر أي بالفستق المقْشُور.

جارية بضّة القِشْر والقِشْرة: بضّة البشرة.

ـ **زَهَرت النار**: نوّرت

زَهَرت الشمس: نوّرت.

ـ **أَزْهَر السراج**: تلألأ
أزْهَرَ النبات: ترعرع.

امرأة تمشي الزاهِريّة: تمشي البَخْتَرِيَّة أي تتبختر.

ـ **إزْيَنت الأرض بعشبها**: ازدانت

إزْيَنَت الكواكب للسماء زِينة: ازدانت.

امرأة زِينَة: جميلة حسنة المظهر.

ـ **رَعَمت الشاة رُعُوماً**: هَزُلَت هُزَالاً شاة **رَعْمُوم**: هزيلة.

جارية رَعُوم: هزيلة خفيفة الروح.

ـ **خشبة كزّة**: صلبة عوجاء

قوس كزّة وقسّي كزّات: صلبة.

كزّت المرأة دُمْلُجها: ملأته بعضدها كناية عن السِمَن والدُمْلُج سوار العَضُد كما أن الخَلْخَال أو الحِجْل سوار الساق. فإذا اجتمع في مَرَة سِمن العَضُدَين والساقين، لَحَت عقول بني يعْرُب[٣].

(٣) في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ـ لَحَس: لَعِق بالأصابع أو باليد.

- **عام أزبّ**: خصيب.

امرأة زبّاء: كثيرة شعر الحاجبين والذراعين والجسد وكان العرب يكرهون ذلك فيها لأنهم يستدلّون به على نقص الأنوثة ومن ثم كانت الأعرابية - إرضاء لبعلها سيدها ومالك أمورها كافة تجهد جَهْدَها في إزالة أي شعر ينبت على أي جزء في جسمها (ما عدا الحاجبين) وكانت تسمى تلك العملية (التنميص)(٤).

- **برك البعير على السَعْدانة**: على الكَرْكَرة أي الصدر.

امرأة سَعْدَانة ثديها مليحة: فيها سواد حول حلمة ثديها وكان العُزبان يحبون ذلك ربما لمشابهته لحلمة ضرع الناقة معشوقتهم الأصلية.

- **الهَيْدَكُوَر**: اللبن الخاثِر

الهَيْدَكُوَر: الشابة الضخة الحسنة الدَّل.

الهَيْدَكُوَرة: المرأة الكثيرة اللحم.

- **الهَدَكْر**: اللبن الخاثر

الهَدَكْر: المرأة إذا مشت حركت لحمها وعظامها.

- **نَفَجت الفَرْوجَة**: خرجت من بيضتها

نَفَجت الريح: جاءت بقوة.

ريح نافِجَة (الجمع: رياح نوافِج): التي تهب بقوة.

امرأة ذات ثدي نافج: ثَدْيٌ ناهد ينْفُج دِرْعها (قميصها) أي يرفعه فإذا كان معه عَجُز ثقيل ينْفُج (يرفع) الدِرْع (القميص) من دُبُر (خلف) فإنها (المرأة) تكون قد حازت شارتيّ (علامتيّ) الحسن والجمال.

---

(٤) العامة في مصر تطلق عليها (النتف) وهي كلمة عربية فصيحة.

ـ **عَكَزِ الرمح تعكّزاً**: أثبت فيه العُكازَة	**العَكْمَز والعَكْمُوزة**: المرأة الحادِرَة التارّة المكتنزة.
ـ **راعِف الجبل**: مقدمته.	**رماح رَوَاعِف**: سوابق تسبق فور رميها.
ـ **أَرْعَف قربته**: ملأها حتى رَعَفت أي سال الماء منها.	**امرأة ذات رَاعِف أنف مليح**: طرف أرنبة أنفها مُستملح والجمع نسوان ذوات روَاعِف مليحة.
ـ **دابة قِرْطَاسِيّة**: لا يخالط بياضها شِيَة	**القِرْطَاس**: الجارية المديدة القامة.
ـ **الفلْحَس**: الكلب **الفلْحس**: الدُبّ المسن	**الفَلْحَسَة**: الامرأة الرشحاء الصغيرة العَجُز.
ـ **الكنيسة**: مُتَعَبَد اليهود والنصارى	**الكنيسة**: المرأة الحسناء.
ـ **نبات أَلْعَس**: كثير كثيف	**جارية لَعْسَاء**: في لونها أدنى سواد مشربة من الحمرة.
ـ **المنْدُوسة**: الخنفساء	**المِنْدَاسة**: الامرأة الخفيفة.
ـ **القنْبَص**: الحيّة	**القنبَصَة**: المرأة الدميمة **القَنْبَصَة**: المرأة القصيرة.
ـ **الحَيْقَط**: ذكر الدرّاج	**الحَيْقَطَان**: ذكر الدرّاج.
ـ **امرأة حَقْطَة**: قصيرة	**امرأة حَقْطَة**: خفيفة.
ـ **الشَطّ**: شاطىء النهر	**جارية شطّة**: طويلة حسنة الخلّق.
ـ **جارية شاطّة**: طويلة حسنة الخلّق	**جارية مُشْنِط**: شقراء.
	جارية شِنَاط: حسنة اللحم واللون.
ـ **الجُبّاع**: سهم قصير يرمي به الصبيان	**جُبّاعة**: امرأة قصيرة **جُبّاع**: امرأة قصيرة.

ـ **القشُوع**: القِرْبَة اليابسة
القَشُوع: الحِرْبَاء.
القَشُوع: السحاب الذاهب عن وجه السماء

القَشُوعة: المرأة التي انقشع لحمها من الكِبَر.

ـ **رُدُود الدراهم**: التي لا تروج

دِرْهَم رَدّ: الذي لا يروج.

امرأة في وجهها رَدّة: حسينة إنما بوجهها بعض القبح.

ـ **الكَثْعَة**: **الأرض نجم نباتها**

امرأة مُكْثِعَة: لها شفة كاثِعة وكَثَعت الشفة كُثُوعاً وكَثعا. احمرّت وكثر دمها حتى كادت تنقلب.

ـ **الـخُفُوف**: طائر يصفق بجناحيه

امرأة خَفْخَافَة: كأن صوتها يخرج من مِنْخَرَيْها.

ـ **الزعانِف**: أجنحة السمك

الزَعْنَفَة: المرأة القصيرة.

ـ **السُرْعُوف**: الجرادة
السُرْعُوف: دابة تأكل الثياب.

السُرْعُوف: المرأة الطويلة الناعمة.

ـ **المسائِف**: الشُنُون
المسائِف: القَحْط

امرأة سَيْفَانَة: طويلة ممشوقة ضامرة.

ـ **البُخَاق**: الذئب الذَكَر

امرأة بَخِيْقَة: عَوْراء قبيحة العَوَر.

ـ **برّاق**: جبل بين سَمِيرَاء وحَاجِز

البرّاقة: امرأة لها بهجة وبريق.

ـ **الغَلْفَق من القِسّي**: الرخوة

امرأة غَلْفاق المشي: سريعته.
امرأة غَلْفاق: طويلة.

ـ **نطَق الماء الأكَمَة**: بلغ نصفها

الـمِنْطِيَق: الامرأة المُتَأَزِّرة بحَشِيّة تعظم بها عجيزتها.

والمرأة الأعرابية كانت تفعل ذلك لتروق في نظر الأعاريب لأنهم يعدّون عِظم العجيزة وثقلها آية الجمال وعنوان الحسن ومردّ ذلك أنهم مثل باقي الشعوب البدائية حسّيون، وقد استمر ذلك معهم حتى عصر الخلافة الأموية، وفي دراسة عن عمر بن أبي ربيعة ـ زعيم الغَزِلِيْن يقول د .طه حسين عنه:

(وإنما كان يحب بحِسّه وبحسّه ليس غير كما قلت آنفاً فلم يكن حِسّه يطيع قلبه فيرى الجمال في عشيقته ويميل إليها وإنما كان قلبه طوع حِسّه)(٥).

هكذا يحدثنا عميد الأدب العربي في وضوح لا غموض فيه وفي حسم لا تردد فيه أن زعيم الغزلين العرب كان يعشق بحواسه وكان قلبه ينقاد لها ومن ثم كثر في شعره ذكر:

العجيزات الثقال ـ والأفخاذ العظيمة والأوراك الكبيرة، المأكمتان المتربّلتان، البطن المعكّنة (ذات العِكَن) الساق الخَدلّجة، العضُد الغليظ والسرّة المقبّبة (مثل القُبّة)، الفم المفلّج، الثغر البارد مُقَبّله، والمتنيْن المخطوطين، والثدي الكاعب المُقْعد، والجيد الطويل، والعنق الأتْلَع وكانت مليكة الجمال عنده تلك التي:

أبت الروادف والثديّ لقُمْصها مسّ البطون وأن تمسّ ظهورا

وهي (ذات النَفْجَتَيْن) كما قلنا أي التي ينفج (يرفع) ثدياها قميصها من قُدام وتنفجه حقيبتها من وراء... كلها أوصاف حسيّة مادية ممعنة في الحسّ والمادية وليس من بينها وصف معنوي...

---

(٥) د. طه حسين **حديث الأربعاء** فصل عنوانه: (خاتمة القول في الغَزِلِيْن ـ الحب في شعر ابن أبي ربيعة) ص ٣١٦ طبعة ١٩٩٧م ـ الأعمال الفكرية ـ مهرجان القراءة للجميع ـ مكتبة الأسرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بيد أن ميزان الحواس هذا تغير لديهم عندما خالطوا الشعوب الراقية ذوات الحضارات السامقة بعد أن احتلوا أراضيها واستعمروها ونهبوا ثرواتها واستحلوا عرق فلاحيها وكانوا يسمونهم العُلُوج استكباراً واستعلاءً. ولا يعدّ تمثلنا بحسّية ابن أبي ربيعة خروجاً على القاعدة التي التزمنا بها وهي البعد عن شعر الشعراء الجاهليين منهم أو من أتى بعدهم في وصف المرأة لأننا عندما ضربنا المثل به إنما ضربناه من منطلق أنه من اليعاربة الذين عرفوا عشرات النسوان وتتبعوهن واتصلوا بهن صلات متنوعة وتغنوا بأوصافهن بقدر كبير من التفصيل وسجّلوا هذا كله ولا يهم إنهم سجلوه شعراً أو نثراً.

ومن هذه السِجِلات (المشْعُورة) تحدد موقفه من المرأة وكيف أنه كان موقفاً حسياً لا أثر فيه لغير المحسوسات ومن هنا قدمناه كنموذج لليعربي ونظرته للمرأة وتركيزه على بدنها وحصراً وتحديداً على الشطر الأسفل منه وكيف أنه لحسّيته الغليظة وماديته الممعنة لم يكن يفتنه ويُهْوِسُه ويأخذ بلبه ويطيّر عقله قدر ما تجيء أعضاء ذلك الجزء: غليظة، ثقيلة، عظيمة، كبيرة، لحيمة، مُكُورَة، متربّلة، سمينة، مُقْعَدة، مكعّبة نافجة، تملأ الكف...

ب: الصفات المعنوية والنفسية:

المظهر هو الصورة التي يبدو عليها الشيء، وقد تجلت الطبيعة في مظاهر متنوعة أي صور متباينة، وكانت بل ولا زالت ـ الطبيعة في مواطن الأعاريب الذين نطقوا باللغة العربية متجهمة قاسية جافية وقد انتقلت هذه الصفات إليهم وختمتهم بخاتمها فجاءت أخلاقهم وشمائلهم وعواطفهم وغرائزهم وأفعالهم وممارساتهم... الخ.

مثلها. كذلك تركت (= الطبيعة) بصماتها على اللسان الذي كانوا يتخاطبون به في ألفاظه ومفرداته وتراكيبه. فإذا أضيف إلى ذلك كله البداوة وانعدام الحضارة وغياب المدنية كانت محصلته البديهية ظهور الخشونة والحوشية والغلظ في اللغة ومفرداتها.

وألمعنا فيما سبق أن علماء اللغة يؤكدون ضرورة تأثر الإنسان بالبيئة المحيطة به تأثراً ملحوظاً وعلى الأخص البيئة الجغرافية أي مظاهر الطبيعة على معيشته ولغته.

وكان من البديهي أن يحظى فضاء المرأة أو مجالها أو ميدانها بشطر كبير من ذلك ـ وقد رأينا ذلك واضحاً جلياً في نعت اليعربي لبدن المرأة ونقله الكثير والكم الوفير من تجليات الطبيعة إلى أعضائها.

إنما الذي يقطع بأنه (اليعربي) مُفْعَم بأثرها عليه وأنها ملأت عليه أقطار نفسه وهيمنت على شعوره ولا شعوره هو استعارة تلك المظاهر والصور إلى الشق المعنوي والنفسي لناحية المرأة غير المادية سواء تعلق ذلك بالأوصاف أو الأفعال.

فعندما تتكسر المرأة وتتمايل لسيدِها وولي أمرها استجلاباً لرضاه وقنصاً لوده يقول عنها إنها تَفَيَّأت له، مثلما يتفيأ الإنسان إلى الشجرة أي يستظل بها فالبعل هو الشجرة الوارفة التي تفيء إلى رحابها المرأة التي هيمن عليها بعقد (المُلكة) أو الزواج.

والفتاة الخفيفة الظريفة هي فتاة زَوْلَة من زوال الشمس.

ولما يبدأ رأس المرأة في المشيب وأول ظهوره في الفَودَيْن يقول عنها: (= الرأس) قد ذَرِئَت ذَرْأً وصاحبتها امرأة ذَرْءَاء استعاروا

ذلك الوصف من الشياه فالشاة الذَرْءاء هي بيضاء الرأس والوجه.

وكانت لديهم طيور صغيرة اسمها المَكْاك أو المَكاكي، إذا فارقت موطنها (الخصِيْب) صوَّتت فيقولون إن المكاكي قد أنَّت فإذا صادفوا امرأة تجيد التأوه وصفوها بأنها آنّة أو صاحبة أنين وتأْنان وأَنّ وكان ذلك يَلْقَى هوى مكيناً في نفوسهم الجافية لأنه يشعرهم بقوة فِحَالتهم.

والريح المتداركة الهبوب هي ريح هوجاء والمرأة الحمقاء بيّنة الطيش هي امرأة هَوْجَاء.

وما يبقيه الصقر في الإناء بعد شربه هو سُؤْرته والمرأة التي تجاوزت الشباب إنما لم يهرمها الكِبَر توصف بأن فيها سُؤْرة أي بقية يستطيع الرجل أن يَرْشُفَها.

وما يأتي به السيل من عود أو خلافه يسمى (السبّي) والجارية المأسورة هي السبِيَّة وقد تمتع العربان بنسوة وفتيات وعذراوات البلاد المفتوحة وأخذوهن كـ(سبايا) واستمتعوا بهن بحق (الفتح الاستيطاني) وكان ذلك من أهم أسبابه لا نشر الإسلام كما كانوا يَتَشدّقون.

لما يكثر الجراد بأرض تكون قد سَرَأت فهي مَسْروأة ويقال للامرأة كثيرة الولد قد سَرَأت.

أصابهم الخَبّ أي الْتوت عليهم الرياح (في البر) واضطربت عليهم الأمواج في البحر أي صاروا في أمر مَرِيْج - وعندما يفسد أحدهم على الآخر زوجه أو أَمَتَه يقولون إنه خبّبها عليه.

والامرأة الخَبَّة التي دأبها الغش والخداع.

وأول ما تأخذ النار اللحم ويسيل ماؤه يقال إنه قد قَهِر فهو

مقهور والمرأة الشريرة التي تؤجج العداوة وتُورث الفساد بين الناس هي قَهْرَة.

إذا تهيأت السماء للمطر قالوا إنها تمخَّضت فنقلوه إلى المرأة الحامل إذا ضربها الطلق وتهيأت للولاد قيل إنها تَمخَّضَت ومَخَضَت مَخَاضاً فهي ماخِض والجمع نسوان مَوَاخِض.

ومَيَاس النعجة هو ذنبها فاستعاروه للمرأة التي تختال بثوبها (سبق أن ذكرنا أنهم كانوا يقولون ذيلاً على ثياب المرأة ولا يجيزون ذلك لثوب الرجل لأن من الجائز تشبيه المرأة بالدّابة أما الرجل وهو السيد والبعل والمالك فكيف يشبه بالدّابة ا.هـ).

فالمرأة التي تختال بثيابها هي مَيْسَى وميّاسة.

وهي تَميْد وتَمِيْس وقد مادَت وماسَت.

ـ **الحِدّة**: الكُثبة المنخفضة من الأرض بين الجبال والحِدَّة: الصُّبّة وهي الشفْرة. ومن معانيها **حِدَادَة الرجل**: امرأته.

هكذا ينظر حفيد يشْجُب إلى المرأة فهي:

١ ـ أرض خفيضة يطأها عندما يريد.

٢ ـ مائدة عليها الطعام يتناول منها غذاءه وقتما يشاء.

وهاتان هما وظيفتاها في نظره:

إعداد الطعام وتقديم المتعة.

كيف لها وهو سيدها وبعلها ومالكها؟

إذا كانت الامرأة سيئة الخلُق فهي صَيْدانة والصيدانة هي الغول وهي الأرض الغليظة.

فإذا اتسمت تصرفاتها بالحماقة فهي سَلْغَدَة مثلما أن الذئب هو السَلْغَد.

عندما تكف الامرأة بحكم سنها عن الحيْض والولادة والزوج فإن الغُربان يمقتونها لأنها عجزت عن أداء مهمتها الأولى (قلنا قبل سطور إن المتعة هي الأولى ثم الخدمة وفي مقدمها إعداد الغذاء وهي المُصلّية أي التالية ا.هـ.)

يصفونها بأنها: قَاعِد تشبيهاً لها بـ:

أ ـ الضفادع.

ب ـ فراخ القَطَا قبل أن تنهض.

قد تتمرد امرأة على وضعها فيقال حينئذٍ إنها كَفُوْر للمودة والعِشْرة وتوصف بأنها كَنُوْد مثلها كالأرض التي لا تنبت شيئاً فهي أيضاً... كَنُوْد.

كره اليعاريب المرأة القصيرة فأطلقوا عليها نعوتاً كريهة وصفات شنيعة وسنوضح ذلك في حينه ولكن لماذا؟ لأن القصيرة إما أن تكون نحيفة فليس فيها الأعضاء المتربّلة التي يطلبها في المرأة أو سمينة ولكن قصرها يجعل أعضاءها متداخلة غير متميزة فلا يَعْرِف لها وسطاً من عَجُز ولا ذراعاً من عضد ولا فخذاً من ساق... الخ.

ومن تلك النعوت الـجَعْبَرة وهي القصيرة فحسب فإذا جمعت قصراً ودمامة فهي جَعْبَرِيّة.

والـجَعْبَر هو القَعْب (القَدَح) الغليظ القصير.

يسمي اليعربي ماشيته سَرْحه وسرّح ماله في المرعى سرحاً أي أطلق ماشيته لترعى ـ ويُسمي امرأته هي سَرْحته. ولا عجب في ذلك فهو يسوّي بين الاثنين فكلاهما ماله وأملاكه يتصرف فيهما

كيف شاء وكلاهما مسخران له ولخدمته وإن اختلف نوع الخدمة.

وعندما يتداول التاجر سلعة ويلمسها متفحصاً فهو قد تَذَاوَقها.

وإذ المرأة في نظر ابن يعْرُب سلعة فهو عندما يقربها أي يمسها يتباهى بأن كفه قد ذاقتها ولاحظ استعمال كلمة كف في العبارة لأنه يفضل أن أي عضو فيه يجب أن يملأ كفه وإلاّ فهو (= العضو) غير جدير بالالتفات إليه، واللمس أكثر الحواس استعمالاً لديه في نطاق قربه من المرأة.

المرأة السليطة الصّخّابة مكروهة مشنوعة لا يطيقها أحدولا يصبر على عشرتها مخلوق ومن ثم وصفها العرب بأنها ذَرِبَة مثلما ينعتون السمّ الناقع بأنه ذَرِب وكذا عندما ما لا ينفع أي دواء مع الجرح يقولون عنه إنه ذَرَب.

وتارة أخرى يقولون عنها (= السليطة البذيئة) إنها عَنْقَفِيْر وهو أحد أسماء العقرب وهي إحدى الحشرات التي تألف العيش في الصحراء والجبال حيث سكنى العربان الذين من الحتم اللازم أنهم عانوا منها الأمرين ومن ثم فإن صورتها ماثلة في أذهانهم فشبهوا بها الامرأة الفاحشة السليطة.

وهم يسمون اللبن الغليظ العَكَرْكَر ومنه كانت المرأة الجافية الخلُق عَكْبَرة.

أما إذا كانت الجافية عِلْجة (أَمَة من الشعوب التي قهروها وسبق أن أكدنا أنهم كانوا يسمونها (= تلك الشعوب) العُلُوج استكباراً واستعلاء وهي مقلوب العُجُول الرجل عِلْج والمرأة عِلْجَة، أليس من مفارقات التاريخ الصارخة أن يطلق الأعرابي الجلف ذلك اللقب على مواطني الدول التي علمت العالم الحضارة: المصريين، الفرس، العراقيين، البابليين والأشوريين، الفينيقيين ا.هـ).

نعود إلي سياقة القول: إذا كانت الجافية عِلْجة فهي كَعْبَرَة (مقلوب عَكبَرَة) وفي الأصل أن الكَعْبُور هو العظم الشديد المتعقّد.

وعندما يُغص الأعرابي بالسُويْق (وهو طعام يتخذ من مَدْقُوق الحِنْطَة والشعير وكان من أشهى الأكلات لديهم فلما امتزجوا بالشعوب الموطوءة وتلذذوا بأطعمتهم الشهية نسوه (= السويق) ونبذوه وراءهم ظهرياً ا.هـ.) ينبيء أنه قد أشْعَلَه واستعاره إلى عالم المرأة فيقول: اِسْتَشقَلَت إذا اِستَكْلَبَت ويصف السخّابات بأنهن نسوان سَعَالي.

لعبت الغول في حياة العُربان دوراً مميزاً إذ غدت في نظرهم مثال الشر والخبث وكل فعل قبيح وكانوا ينسبون إليها القدرة على التشكّل في أية أيَاة (الأيْأَة هي الهَيْأَة وزنا ومعنى ا.هـ.) لتُمضي غرضها وتحقق هدفها السيىء ومن الأسماء التي أطلقوها عليها: الهَيْعَرَة.

وأطلقوه أيضاً على المرأة الفاجرة أو النَزِقَة الطائشة أو بيّنة الخِفّة أما الامرأة الداهية وغالباً ما تكون عجوزاً مسنّة فهي الهَيْعَرُون.

ونظراً لأن الغول أو الهَيْعَرَة في مِلّة العرب واعتقادهم من الجائز أن تظهر لهم في أي مكان وأي وقت فكذا فالإمرأة عندما لا تستقر في مكان فهي قد هَيْعَرت وتَهَيْعَرت.

لا يغيظ العربي شيء قدر ما يغيظه أن تُعْرِض المرأة عنه بجانبها وتتجافى عنه وتعطيه ظهرها وعلة تغيظه أنها في البدّى سوف تحرمه من لذة التماس بها وهي المتعة الوحيدة التي يعرفها في بيئته العَزْعاء المُجْدِبَة المنخفضة حضارياً ـ هذا من جانب ـ ومن جانب آخر فإنه يخشى أن يُشاع عنه ذلك لأنه يطعنه في رجولته أو صفاته المعنوية كالجود والشجاعة.... الخ.

من هنا يصف الامرأة التي تفعل ذلك بأنها نَافِرَة تماماً مثلما يصيب الجلد وَرَم فيتجافى عن اللحم فيقال عنه إنه نَفَر.

وأيضاً يخشى حفيد يشْجُب أن تبغضه زوجه أي تفْرِكه فهي فَارِك وفَرُوْك مُبْغِضَة مُفَارِقَة لزوجها والفَرْك في الأساس هو استرخاء أصل الأذن فهي إذن فَرْكَاء وفَرِكَة وانْفَرَكَ المِنْكَب زالت وإبلَتُه من العَضُد فهو هنا يشبهها بهذه الأعضاء غير الطبيعية أو التي انخلعت عن مواضعها...

إذن المرأة الفَارِك والفَرُوك شاذّة وغير طبيعية إذ الأصل أن تكون لاصقة ببعلها ملتحمة به بل قابعة تحت رجليه...

ويصاب الأعرابي بالهلع الشديد ويركبه الرعب إذا عرف عنه في نَدِّي قومه (كَمُعظَم) أي بغيض للنساء لأنها شارة وعلامة وآية على عجزه عن إرضائهن.

يمقت ابن يعرب الامرأة القبيحة مقتاً ليس له حدود بل إنه لا يطيق مجرد النظر إليها أو سماع صوتها.. الخ ويصفها بأنها رَبِسَة وهو وصف فظيع.

لِـمَ؟

لأنه مشتق من الرِيْبَاس وهو نبت يشيع استعماله عند انتشار الطاعون والجدري والحصبة كعلاج ودواء. ماذا يعني ذلك؟

يعني أن مجرد رؤية الامرأة الدميمة تذكره بالرِيْبَاس بالنبت الذي يتداولونه وقت الطواعين والأمراض المعدية فأي سخط يحمله العربان للمرأة القبيحة والسبب معروف لا يحتاج كشفه إلى فِطَانة.

مع أن تلك المرأة قد تملك صفات معنوية (خُلُقيّة) لا تجدها عند

الوضيئة الحسينة القسيمة كأن تكون ودوداً عطوفة ذات قلب كبير أو لَبِيْقَة تُجِيْد فنّ الحديث أو خفيفة الروح أو ذكية لمّاحة أو ماهرة صَنَاع....

بيد أن كل ذلك لا يهم الأعاريب في شيء لأن الذي يتموضع في بؤرة اهتمامهم ويستحوذ عليهم هو مدى ما تقدمه لهم المرأة من متعة...

وللأسف فإن الدميمة غير مؤهلة لذلك لأن قُبْحها يقف حائلاً وحجر عَثْرة... ومن ثم فهي لا تستحق سوى البُغْض والشنآن.

الحيّة من الزواحف التي كانت ـ ولا زالت ـ تكثر في بيئة العُربان وأطلقوا عليها العشرات من الأسامي وعرفوا أنواعها وسمومها ونسجوا حولها أساطير منها أنها الصورة الغالبة على تَشَكُّل الجِنّ فإذا لدغت أحدهم يقول: لَقَعَتْني حيّة ونقلوا هذا الفعل وحولوه إلى وصف نعتوا به المرأة فاحشة الكلام فهي امرأة مِلْقَاع.

مظاهر الطبيعة كافة اتخذها العربي أمثلة ليصور بها أحوال المرأة غير المادية ومنها الريح فإذا كانت سريعة الهُبُوب، كثيرة الغبار فهو هَيْرَع والمرأة النزقة هَيْرَع وهَوْرَع.

فإذا كان الريح طيبة ساكنة فهي هفّافة والمرأة إن كانت ضامرة البطن دقيقة الخصر فهي مُهَفَّفَة.

ونبادر إلى رفع لبس قد يقع فيه القارىء الفطن الذكي وهو أن الأعرابي لا يفضل المرأة ذات البطن الضامر والخصر الدقيق من باب ذوق رفيع أو شعور مرهف بالجمال... كلا... هو يفعل ذلك من منطلق مادي بحت ومن منظور حسّي صرف لأن دقة الخصر

وضمور البطن يساعدان على إظهار عظمة العجيزة وضخامة الفخذين وثقل الوركين هذا من أسفل وهو الشطر الأهم لديه...

أما من أعلى فلإبراز كبر الثديين وارتفاعهما لأن الخَصْر إذا كان عريضاً غطّى على أعضاء الجزء القريب من الأرض أما إن كان البطن وسيعاً لحيماً فإنه يهدم الفاصل بينه وبين الجزء العلوي (الثديين) إذن هي مسألة حِسّية فحسب وليست شعورية ذوقية أو جمالية وحتى إذا ترخصنا وقلنا إن فيها قدراً من الجمالية فإنه ولا مشاحة: الجمالية الحسّية الكفِّية. إن جاز التعبير - التي ترتد إلى الحواس وتؤوب في نهاية المطاف إلى الكَفّ الميزان الأثير لدى اليعْرُبيين الذي يعيّرون به جسد المرأة والجزء الخفيض منه على وجه الخصوص الذي يحظى منهم بكامل الاهتمام وموفور العناية.

في سماء الأعاريب كان الرعد أحد الظواهر اللافتة للنظر والشادّة للانتباه وفيما بعد نسبوا له (= للرعد) أساطير طريفة تكشف عن مستوى إدراكهم ودرجتهم في السلم الحضاري ومساحة أفقهم سعة أو ضيقاً.... وكانوا يسمون الرعد الشديد الهَزِق فظهّروه إلى المرأة الضحّاكة الكثيرة الضحك والتي لا تستقر في موضع فمثّلوها به ونعتوها بأنها مِهْزَاق.

كان من المفروض أن تلقى المرأة الكبيرة في السن (المُسنّة) التوقير والاحترام فهي إما جدَّة أو أم قد أدت ما عليها مما يستدعي اعزازها ولكن هذه القاعدة الأخلاقية لم يطبقها أحفاد يشْجُب فقد سخروا منها واستهزأوا بها وهذا يبين من الأوصاف التي أطلقوها عليها والتشبيهات التي أضافوها إليها فهي:

هِلْقَم كما أن الأسد هِلْقَام، ومعلوم أنه أبْخَر (رائحة فمه نتنة) وهي **أُفْنُون**: العجوز المسترخية، والأُفْنُون هي الحيّة.

وهي **شَهْرَبَة وشَهْبَرَة والشَهْرَبَة**: الحُوَيْضَ يكون أسفل النخلة.

وهي **العَوْزَب** لبعد عهدها عن النكاح أي الزواج وقد عَزِبَت الأرض لم يكن بها أحد، مُخصبة كانت أم مُجدبة.

وهي **عَلْهَبَة** مثل المُسنة من الظباء فهي بالمثل عَلْهَبَة.

وهي **حَيْزَبُون** لا خير فيها كالحمار الحَزَابِيَة الذي له جَلَد على العمل والعامة في مصر تقول (حمار شغل) وهي شَهْلَة والشَهْلاء هي الحاجة أي أنها في حاجة دائمة كما تقول هذا رجل عَدْل أي عادل في كل أموره.

وهي كَهْدَل والكَهْدَل هو العَنْكَبُوت.

وهي **النَهْشَلة**: العجوز التي أضافت إلى كِبرها في السن اضطراباً.

والنَهْشَل هو الذئب والصقر وبالأخص عندما يطعنان في السن.

وهي **الهَزْمَلَة** تلك التي تجمع إلى كِبرها هَوَجاً في التصرفات واسترخاء في الجسم

والهَزْمَلَة في الأصل هي الناقة المُسِنّة.

وهي **الخُرَاطِم**: التي دخلت في السن أو في أول مراحل العَجَز - والخُرْطوم هي الخمر السريعة الإسكار.

وهي **تابّة**: كبرت وشاخت وحمار **تابّ**: **دَبِر ظهره**.

وهي **ثَلْب أو ثَلِيب**: تلك التي بلغت منتهى الهَرَم والثَلِيب هو الكلأ الأسود القديم بلغ عمره عامين.

وهي **العَفْشَل**: العجوز المسترخية اللحم، **والعَفْشَل**: الضَبُع.

وهي **قَاعِد**: طعنت في السن فقعدت عن الحيض والأزواج تشبيهاً لها بالنخلة القاعِدة التي لم تحمل وكذا قعدت **الرَخْمَة**: جثمت.

وهي **العُثّ** تشبيهاً لها بالعُثَّة وهي سوسة تلحس الصوف يقال **عَثَّ الصوف**: أصابته العُثّة. كما أن **العَثَّاء** هي الحيّة يقال: **عثّته الحيّة** أي عَضَّته.

فهي (= العجوز) إما سُوسة أو حيّة.

وهي **العَلْكَد** وهي التي تجمع بين كِبَر السن والدهاء والعَلْكَد هو اللبن الغليظ الخاثر.

وهي **العَنفَرَش**: العجوز المتشنجة أما العَنْفَش فهي دُوَيْبة من أحناش الأرض.

وهي **العَكْرِشة** تشبيهاً لها بالأرنبة الضخمة.

وهي **القُشُوْعة** التي انقشع لحمها من الكِبَر وأخذوا هذه اللفظة من اسم يطلقونه على **القربة اليابسة**: القُشُوع.

الخبز اليابس وأردأ التمر أو الضعيف لا نوى له والضَرْع البالي كلها يسميها العُربان **الحَشْف** (بعضها بسكون الشين والآخر بتحريكها) هذا الاسم الذي يدل على القدم واليبوسة والضعف والرداءة... الخ. أضفوه على العجوز الكبيرة فقالوا إنها **حَشَفة**.

وهي **الهَرْشَفَة** وهو اسم لقطعة الخِرْقَة يُنَشّف بها المطر القليل.

وهي **الشَلْمَق** كما أن بيض الضبّ إذا رمته فهو **شِلْقَة** ولحم الضَبّ من الأكلات الشائعة لدى اليَعَاربة قبل أن يغزوا بها بلاد السواد وغيرها ويتذوقوا أطايب طُعُومها.

إذا كانت المرأة المسنة ذات صوت صاخب وتكثر الصخب فهي **صخّابة** وهي صَهَيْلَق والصَهَيْلَق هو الصوت الشديد فكأنما لا يرون فيها إلاّ صوتها الزاعق.

وهي **الإجْفِيْل والجَفْل**، اللفظ عينه يعني القوس البعيدة السهم تماماً مثلما أن العجوز بعدت عن عام مولدها.

وهي **الحَزَنْبل** والاسم ذاته سموا به نبتاً من العقاقير ومعلوم من قديم انها مُرّة الطعم تكاد لا تستساغ.

أما إذا كانت عجوزاً متهدمة فهي **خِزْبيْل**.

وكذلك هي خِزْمَل من **تَخَزْمَل الثوب**: تَمَزَق - إذن العجوز في نظر اليَعْرُبيين لا تعدو أن تكون خِرْقَة خَلِقَة مُهترئة.

* * *

هذا غيْض من فيْض أو قطرة ماء من محيط الأسامي والنعوت والصفات والتشبيهات التي دأب أولئك الأعراب على إسقاطها على المرأة العجوز وكلها تشي بالإزراء وازدرائها والحطّ من قدرها والتقليل من شأنها مع أن المظنون أن يحدث العكس.

ولكن ما الدافع الكامن وراء هذا التصرف الذي لا يتفق مع مكارم الأخلاق ولا يتسق مع موجبات المروءة وينفر منه الذوق السليم؟

لسنا في حاجة إلى فِطَانة بالغة لنكشف عنه:

إن المرأة العجوز لم تعد ذات منفعة وخاصة المنافع التي يتمحور حولها اهتمامهم (= الأعراب) وفي طليعتها التلاقي والخدمة والنسل - بل هي على النقيض تحتاج لمن يرعاها ويمرّضها مع

استمرار كونها بؤرة استهلاك: في الغذاء والكساء والمسكن والمركوب ومنطلق هذا الدافع هو المعيار الماديّ الذي كانوا يقيسون به الأحوال بسائر ضروبها شأنهم في ذلك شأن جميع الشعوب المتبدّية، بيد أنهم عندما اندمجوا في مواطني الدول المتحضرة التي دعسوها بسنابك خيولهم الميمونة تهذّبت نظراتهم للعديد من الأمور منها النظرة إلى المرأة العجوز.

* * *

وعندما تزيل المرأة من وجهها الشعر يقول إنها حفّته حِفافاً وحفاً يشبهها بالأرض إذا يبس بقلها فإنها تكون قد حَفَّت.

والهُنْبُغ هو التراب الذي يطير بأدنى شيء كذلك المرأة الضعيفة البطش والحمقاء هي الهُنْبُغ.

أما التي تظهر سرها لكل أحد والفاجرة فهي **الهَنِيْغ**، وكذلك الضحّاكة **وهانَغ الرجل المرأة**: غَازَلها.

إذا تحسّنت المرأة وتزيَّنت قيل إنها **برَّقت** وبَرَقت وإن أبرزت عن وجهها فهي قد أبرقت عنه، أما **البرَّاقة** فهي المرأة لها بهجة وبريق.

وهذا مأخوذ من أحد المظاهر العالية:

بَرَق النجم طَلَع وبَرَقت السماء: لمعت أو جاءت ببرق أو بدا منها البرق.

وإذا طارد الأعرابي الغزالة ولصقت بالأرض وعجزت عن النهوض من الخوف فهي **خرِقَة** واستعار هذا الوصف للمرأة البينة الخُرْق والتي لا تحسن العمل ولا تدبير الأمور فهي **خرقَاء**.

إذا حان خروج البيض من القَطَاة فقد **طَرقَت** وكذا إن حانت ولادة المرأة فقد **طَرقَت**.

والمرأة الخرقان السيئة المنطق **غَلْفَق** - والغلْفَقَ من القسي: الرِخْوَة.

وعلى الضد إذا كانت الامرأة لبيبة فهي **الـحَنَكَة** وهي الرابية المشرفة من القُفّ وهو ما ارتفع من الأرض وصلبت حجارته، أي أنها في مكان رفيع.

والروضة التي يغفل صاحبها عن رعيها هي **التَرِيكَة** وكذلك الامرأة التي يعرض عنها الرجال ولا ينكحونها (يتزوجونها) فإنها **التَرِيكَة**.

الجُعْل من أحقر الحشرات فهو **دَغْك** لأنه يُدْعَك أي يُداس بالقدم والـمَدْعُوك من الأراضي التي كثر بها الناس ورعاة الإبل حتى أفسدوها أما المرأة الحمقاء الجريئة فهي **الداعِكَة** لأنها بجرأتها التي تبلغ حد الحماقة تَدْعَك الحشمة المفترضة في بنات جنسها.

إذا شَرُقَت المرأة فقد **عَتَكت** مثل النبيذ الصافي فهو العَاتِك أو مثل النخلة التي لا تَأْتَبِر فهي العَاتِكَة من النخيل.

والمرأة إذا جمعت بين الضخامة والصَخَب فهي **الـحِنجَل** وهو أحد أسامي السبع فهو **الـحَنجَل**.

قطعة القرع أو القثّاء هي **الخُذْعُوْلة** وأحد أوصاف الامرأة الحمقاء أنها **الخِذْعَل**.

يطلق اليعربي على ما يتساقط من الثمر: **الأنافِيْض** فإذا رأى المرأة نَفَضَت عن بطنها ولدها قال إنها **نَفُوض**.

ـ **الـجَخمَرَش**: الأرنب المُرْضِع **الـجَخمَرَش من الأفاعي**: الخشناء.

ولما كانت المرأة السمجة مكروهاة ممجوجة فهي بالمثل **الـجَخمَرَش**.

والنار أحد المظاهر الطبيعية الهامة لدى بني آدم أجمع وكذا هي بالنسبة لبني يَعْرُب وقد وصفوا جميع أنواعها وأحوالها وأطلقوا عليها أسماء متعددة منها **الـمَأمُوْسَة** ـ ويطلق أحياناً على موضعها. ومن أهم صفات النار الخِفّة والطَيْش والانتشار والتعدي والتجاوز... فإنهم إذا صادفوا جارية خَرْقَاء حَمْقاء تذَكّروا النار وقالوا عنها إنها **مَأمُوْسَة**.

والليل يتميز بالحُلْكة والظلام الفاحم الشديد وكلها قرين الستر والكُنُون والتخفي...

فهو **العَمِيْس والعُمُوس**: إذا تراكمت ظلمته وتضاعفت، والامرأة التي تتستر في شبيبتها ولا تتهتك فهي **مُعَامِسَة**.

أطلق اليعاربة على الأسد العشرات بل المئات من الأسامي منها الفِرْنَاس والجمع فَرَانِسَة. وهم ولا شك كانوا يعجبون به وتعدد الأسماء دليل على ذلك فإذا أعجبتهم امرأة لحسن تدبيرها لأمور بيتها قالوا إنها ذات **فَرْنَسَة**.

الخُنْفُساء دويبة تُعرف في الصحراء أسماها العَرَب **الـمَنْدُوسة** ربما لأنها تُدَاس بالأقدام أما المرأة الخفيفة التي تشبه الخنفساء حجماً وحركة فهي **الـمِنْداسة**.

يربّي العُربان الشياه لمنافعها المتعددة وفي طليعتها اللبن فهو شراب (لندرة الماء لديهم) وغذاء فإذا لم تدرّ الشاه لبناً فهي **يَبَس**،

ومنه أطلقوا على الامرأة التي لا خير فيها **يَبس**.

إذا جاءت السماء بمطر شديد ساعة فهي قد **حَفَشت** فإن اجتهدت المرأة في وُدّ زوجها فهي أيضاً قد **حَفَشت** مثلها مثل السماء الماطرة وكان اليعربيّون يعجبهم ويدير رؤوسهم أن تحفَشَ نسوانهم لهم لأنه من ناحية يقطع بفحولتهم وهذه كانت من أعظم مفاخرهم التي كانوا يتباهون بها في نواديهم ومن ناحية أخرى يدل على أن النسوة قد ذَلَلَن وخَضَعن وهذا يرضي كبرياءهم ويشبع خُنزُوانتهم ويروي عَنجِهيَّتهم.

ينتشر الجراد في بلاد اليعاربة ويأكلونه ويتلذذون به وذلك قبل أن يغرقوا في النعيم والبُلهنية بسبب الكنوز والأموال التي كسحوها من البلاد الموطوءة، وقد وصفوا الجراد وصفاً دقيقاً فهم يقولون: **اهتَمَشَت** الجرادة أي دبَّت دبيباً، فإذا كانت الامرأة كثيرة الجَلَبة فهي **هَمْشَى**.

يحب الأعرابي أن يرى امرأته مُتَزيِّنة مُتَحسِّنة لأنه قد يطلبها في أي وقت وفي أي مكان وفي أي ظرف ومن ثم فحتم لازم أن تظل جاهزة دائماً فإذا كانت غير ذلك كأن تكون شَعْثاء الشعر فهي **مُنتَفِشَة** مثلها مثل الهِرّة (القِطّة) التي **ازْبَأَرّت وتنفَّشت**.

- **الخوارِط**: الحُمر السريعة **الخوارِط**: التي لا يستقر العلف في جوفها.

ومن هنا قيل للمرأة الفاجرة: **الخِرَاط** إذ تجمع بين السرعة في التنقل من عشيق لآخر وعدم الاستقرار.

على ضد الزوجة فيقال لها **الرُبُض** لأنها تَربض زوجها أي تقيم

عنده وتستكن لديه وتلْبِد به والرَبَض هو أصلاً أساس البناء ومأوى الغنم...

هذه هي نظرة العرب إلى النسوان: فإذا فجرن فهن **حُمُر**.

وإذا عَفَفنَ وأُحصِنَّ ونَكَحن (تزوجن) فهن **غَنَم**.

فالمرأة عندهم إذا نزلت أو طلعت (كما يقول المثل الشعبي) فهي ليست أكثر من حيوان... دابة.

إذا لمع البرق خفيفاً قيل إنه **أوْمَض** أو وَمَضَ ومْضاً ووَمِيْضاً ونقلوه إلى دنيا النسوة فإذا سارقت إحداهن النظر أو أشارت إشارة خَفِيّة إلى من يحلو في عينيها من الرجال فهي **أوْمَضت**.

فإذا تجاوزت المرأة هذا الحد وانتقلت خارج دائرة الحياء فهي جَلُوط من الجلّطَة وهي الجرعة الخاثرة من الرائب. ففي الفعل الأول جاء التشبيه من ظاهرة طبيعية عالية سامِيّة أما في الفعل الآخر فقد **اسْتُقِيَ**: (التشبيه أو التمثيل) من شراب تغيّر وغَثّ وغَلُظ واختلط... الخ.

فإذا كانت المرأة بيْن بيْن فهي **خِلْطَة** أي تختلط بالرجال ولكن دون ريبة وأصل الخِلْط السهم والقوس المُعْوَجّان مما يقطع بأن الأعاريب لا يستريحون للمرأة الخِلْطَة ويعدّون ذلك إعوجاجاً منها. وهذا أمر طبيعي لأنهم يعتبرون النسوان مملوكات لهن ولكل واحد منهم مملوكته الخاصة به التي يتعين ألا تختلط بغيره وأن تكون باستمرار في حالة استنفار تُلَبّي **الـهَيْعَة** (النداء وفي الأصل الهيعة هي النـداء للغزو وقد استعرناها هنا لأننا سنورد في فاصلة قادمة ما يثبت أن أحفاد بني يَشْجُب كانوا ـ وما زالوا ـ يعدّون اللقاء أو التلاقي أو التماسّ مع النسوان غزواً وفتحاً مبيناً ا.هـ).

وإذا عصت المرأة (الزوجة) بعلها أي مالكها وسيدها فقد **نشزت** أي ارتفعت ارتفاعاً أي جاوزت مكانها الخفيض وغادرته وتعالت وهذا المكان معروف وهو أن تكون في متناول يد زوجها وطوع بنانه بل رهن إشارة من سبابته، ليس هذا فحسب بل إن فعل النشوز مأخوذ من دابة نَشِزَة أي لا يستقر السرج والراكب على ظهرها. ولا يغيب عن ذكاء القارىء الفاطِن تشبيه المرأة بالدابة وفعل التماس أو طقس التلاقي (الذي ترفضه المرأة فتوصف بأنها ناشز) باستقرار السرج على ظهر الدابة ثم ركوب الراكب عليها كل هذه الألفاظ ما سلف وما سيخلف تبين لنا نظرة الأعرابي إلى المرأة وتفسر لنا كثيراً من الأمور.

ذكرنا قبل ذلك هَبَل (الهَبَل فقد العقل والتمييز) اليَعْرُبيين إزاء المرأة ذات الساقين **الخدلَّجيْن** أي الممتلئين من السِمَن وأنهم يستدلون عليها من صمت خَلْخَاليْها وحَلْيِّها أما إذا كانت حَمْشَة الساقين أي مهزولتهما فهما يصوّتان (الخَلْخَال والحَليّ) وهنا يسخرون من صاحبتهما ويقولان: استيقظا... أو هما مستيقظان تشبيهاً لها بالديك إذ إنه أبو اليَقْظان.

وعندما تكون ضخمة الذراع والعَضُد لا يصوّت السوار الذي تضعه فيهما من غلظهما فهي امرأة **شَبْعى** الذراع **وشبْعى** العضُد وإذا كانت الساق خَدْلاء تُشكِت الحِجْل فهي **شبْعَى** الساق **وشبْعى** الحِجْل (الخَلْخَال) يشبهونها بذلك ببعض الجبال والآطام (الحصون) **فالشَبْعان**: جبل بالبحرين والشَبْعان أُطُم بالمدينة أثرب.

قبل أن يتحضر العرب كان أطيب الطيب عندهم هو المِسْك فإذا اخلط بالعنبر فهو مسك **مشْمُوع** بلغ الغاية في الطِيْبة ولما

كانت المرأة المزّاحة اللَعُوب (ليست كل لَعُوب فاجرة) تروقهم فقد شبهوها به (= المسك المشْمُوع) وقالوا: إنها امرأة **شَمُوع**.

الجِلَّق حَبٌّ كالقمح وأكثر ما يكون في اليمن **وجَلّقت الامرأة عن ثناياها:** كشفت عنها فإنا بها أشبه **بالـجِلّق**.

إذا تمرّغت الدابة ظهراً لبطن من شيء يؤلمها ألماً فظيعاً يقولون عنها إنها **تَصَلَّقت** ـ وعندما يضرب المرأة الطَلْق فتتوجع وتصرخ من شدة الوجع يقولون إنها **تَتَصلَّق** وتَصَلَّقَت. وهكذا في الغالبية العظمى والكثرة الكاثرة من المجالات يقرن العرب المرأة بالدابّة فهما في نظرهم مثيلان.

يسمون **الذئبة** (الأنثى) السِلْقَة وهذا اللفظ ذاته ينعتون به الامرأة السليطة الفاحشة **البذيئة** فهي أيضاً سِلْقة.

من أشجار الصحراء واحدة تسمى **العَبَاقِيَة** وهي شجرة شائكة ذات شوك كثير. أما الامرأة السيئة الـخُلُق فهي **عَنْقَانة رَنْعَانَة**.

ومن مظاهر الطبيعة العالية هناك نجم أحمر مضيء في طرق الـمَجَرَة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها يسمونه **العَيُوق**. ومن هنا يقولون عن المرأة لم تُعجب زوجها ولم تَلْزَق بقلبه إنها ما عَاقَت عند زوجها.

ومن السماء إلى الأرض:

ـ **فالبعْل**: الأرض المرتفعة تمطر في السنة مرّة واحدة أو التي لا يسقيها إلاّ المطر أو الزرع يستقى بعروقه فيستغنى عن السقي. **وتَبَعَّلت** المرأة عن زوجها أدت حق بُعُولته عليها ولحُسْن التَبَعّل وجوه متعددة أولها السمع والطاعة ثم الزينة والخدمة... الخ.

أي تكون في سائر الأوقات طوع أمره وتلبي طلباته كافة ويقول العامة في مصر (تشوف مزاجه) وهي عبارة فصيحة فَشَافَ: أشرف ونظر والمزاج المَعْنِيُّ هنا هو مزاج الجسد: طبائعه التي يأتلف منها، ومثل هذه العبارات بالغة الخطر لأنها تكشف لنا موقف اليَعْرُبي من المرأة وكيف أنه قد ترسّب في طبقات وجدانه أن من وظائف المرأة الرئيسة هو أن تجيد التبعّل له وأن العلاقة بينهما علاقة بَعْل بمُتَبَعِلَّة وعلى ضوء ذلك نعيد قراءة ثقافة البدو فنجد أنها مُتّسِقة مع البيئة التي أفرزتها واللغة (اللسان) التي نطقت بها أو التي تضمنتها وبذلك سوف توضح نقط كثيرة على حروف كثيرة كان غيابها (= النقط) يؤدي إلى سوء فهم بالغ ـ وربما آن الأوان لنكف عن ترديد الأوصاف العشوائية الإنشائية الخطابية البعيدة عن المنهج العلمي مثل (اللغة الشاعرة) و(اللغة الجميلة).

الخِلْب: هو السحاب الذي لا ماء فيه وامرأة **خَلَبُوت** خدّاعة لا تحقق وعودها، فكما أن السحاب تبين أنه جَهَام لا يمطر كذلك هي لا تمنح تلاقياً أو تماساً.

الريح كما تكون هَوْجاء تُنقل صفتها للحمقاء تكون **صَرْصَراً** أي باردة والبرد في الصحراء وخاصة ليلاً يعد نقمة والإمرأة السليطة بالمثل نقمة ومن ثم فهي كذلك **صَرْصَر** وكما أن الريح الصَرْصَر تلْسع لَسْعاً وجيعاً فكذلك المرأة الصَرْصَر تلسع بلسانها.

كان اليعربي ـ بل لا يزال ـ لا يكتفي باستغلال المرأة بكل الطرق واستثمارها بالأوجه كافة فهي مَقْضى وطره وبطنها وعاء خِلْفته وسواعدها أدوات خدمته بل إنه يستفيد منها كإبنة له إذ يستحوذ على صداقها أو مهرها الذي هو في الحقيقة ثمنها الذي يدفعه مالكها الجديد أي زوجها فكما أن **النَافِجَة** وهي السحابة

الكثيرة المطر (بعكس الخِلْب وهي السحابة التي لا ماء فيها) تعُود على اليعْربي بالخير والنماء والزكاة فكذلك البنت هي أيضاً **النَافِجَة** لأنها تعظّم مال أبيها بما يساق إليها من صداق.

وهذا يفسر لنا ضرورة ولاية الأب على البنت حتى ولو كانت ثيّباً في عقد نكاحها فالعلّة ليست كما قيل هي اختيار الكفء بمعرفة الأب إنما ليهبش المهر ويستأثر به لنفسه في حين أنه لو كان لها تلك الولاية فهناك احتمال أن تأخذ البنت مهرها لنفسها وبذا تتحول من نافِجة إلى فاقِرة.

إذا هبّت الريح فلم تأت بأدنى خير فهي **عقيم** والامرأة التي لا تلد **عقيم** ومَعْقُومة إذ هي أيضاً عديمة الخير الذي هو في نظر الرجل الخِلْفَة التي تحفظ اسمه وتجعل شجرة النسب موصولة.

وكذلك الرملة أو الأرض التي لا تنبت هي عاقِر وبالمثل الإمرأة التي لا تلد. إذا كثر نَوْر الروض فقد **تَبَاهَج**. **وأَبْهجَت الأرض**: بَهَج نباتها. فإذا كانت المرأة بيّنة الحسن فهي **مِبْهاج**.

هل القُرْء هو الحيض أو الطُهر؟ مسألة شغلت بال اليعاريب كثيراً وانقسموا حيالها فريقين ولو أنهم رجعوا إلى لغتهم لاستبان لهم الوجه الصحيح والمعنى السليم.

فَقُرْء الثريا (النجم المعروف وكثيراً ما ذكروه في أشعارهم) هو وقت نَوْئِها الذي يُمْطَر فيه الناس **وأَقْرَات الرياح**: هبّت لوقتها. إذن القُرْء إن في الثريا أو في الرياح اقترن بنزول المطر والهُبوب ومن ثم فإن **قُرْء المرأة** هو حَيْضها لأنه يقترن بنزول دم الحيض وطُرُوء متاعبها.

تشبيه المرأة بالأرض أمر مألوف في لسان الأعاريب كما رأينا

ومن ذلك إذا كانت الأرض شديدة الخُضْرة فهي **مُلَتَجَة** وإذا كانت المرأة ذات عيون شديدة السواد فيقال عنها إنها ذات عيون **مُلَتَجَة**.

ولقد كانوا (= الأعاريب) يستملحون ذلك.

وإذا كانت الأرض مخصبة زكية النبات معجبة للعين فهي أرض أَرِيْضَة. والمرأة الولود: **أَرِيْضَة**.

وكان الأعرابي يُعجبه ذلك لأن الولد **عَزَازَة** (تقول العامة في مصر عِزْوَة ا.هـ.) ومن ناحية أخرى فإنها (المرأة الأَرِيْضة أي الولود) تقدم دليل الثبوت لكل فرد في العشيرة على أن بعلها وسيدها شديد الفِحَالة لا يهدأ ولا يكف عن التماسّ بها وهذا الأمر كان من أكثر الأمور التي يتباهى بها أولئك الأعاريب.

من الأمور التي كان يبغضها اليعْرُبيّ الغلاة لأنها مظنة الضياع والهلكة فإذا كانت واسعة شاسعة تحوّل بغضه إلى مقت شديد ومن هنا سَمّى الغلاة الواسعة **شَخْشَح**.

وإذا أنه كان يحب في المرأة التكسّر والضعف (المعنوي لا الجسمي قرين المرض ا.هـ.) والتذلل والتغنُج والأنّ والتأوه...

فإنه بالقدر نفسه كان يكره الامرأة القوية المسترجلة ذات العضلات والصوت الخشن واليد الباطشة التي تشبه الرجل قال إنها امرأة شَحشَاح لأنها تذكّره بالغلاة الواسعة المهلكة. ولعل هذا يأخذ بيدنا إلى علة النفور من المرأة المسترجلة وصب اللعنات عليها.

والأرض التي تُزرع سنة وتُترك أخرى لتقويتها لأنها أضعف من أن تُزْرع كل عام فهذه هي تَحَاوِيْل الأرض وتحويلاتها (من الحَول وهو العام) وبالمثل فإن الامرأة التي لا تلد كل عام بل تلد سنة وسنة

لا فيقولون هذه امرأة لا تضع ولا تلد إلاّ تحاويل.

حتى الحجَر شبّه الأعرابي به المرأة فهو يقول حجر **مِلء** الكف أي يستغرف الكف بأجمعه ـ وإذا كان المرأة سمينة فهي **ملء** كسائها ـ فكما أن الحجر ملء الكف فالجَرِيمَة (عظيمة الجِرْم).

الرَبيلَة البَخْبَاخَة هي بالمثل ملء ثيابها لا فرق بينهما رغم أن (الأعرابي) يفقد رشده إزاء المرأة الرِبْحَلَة الخُربُوعة المِجْبَال (كلها تعني بالغة السِمَن) فإن ذلك لا يمنعه أن يشبهها بالحَجَر مما يشي بحقيقة رؤيته للمرأة فيفسر لنا كثيراً مما يثور في أذهاننا عندما نقرأ عن وضع المرأة أو نصيبها من المال... ونتساءل: ولكن لماذا المرأة هكذا؟

إن مقام المرأة بتلك الصورة مستكنّ في أعماق شعور الأعرابي كما تكشف عنه لغته فكيف يستطيع أن يتخلص من هذا الموروث (تفلّص أي تفلّت والعامة في مصر تقول فَلْفَص ا.هـ).

وإن المرء لتنتابه الحيرة عن الباعث الدافع للأعرابي لامتهان المرأة لذلك الحد حتى أنه لا يتورع عن مساواتها بالحجر!

بيد أن الذي لا شك فيه أن البداوة التي شملته من أخمص قدمه حتى ذؤابة رأسه وانحسار شمس المدنية عنه ـ رغم أنها طوّفت حول جزيرته المبروكة ـ من أهم الأسباب.

عندما يأوي الليث (الأسد) إلى عرينه ويمكث فيه أو يخدُر فيه فيقال عنه إنه ليث **خَادر** ومُخدّر. وكذلك عندما يخبىء العربان فتياتهم يقولون إنهن جوارٍ مُخدّرات خدّرهن أهلهن أو أَخْدَرُوهنّ وهنّ قد تخدّرن ومن ربات **الخُدُور**.

إذا غاب النجم فقد **غَمَس** ويقال للمرأة اختضبت **غمساً** أي

غَمَست يدها في الحنّاء من غير **نقْش**، والمرأة العربية تعرف أن الطريق إلى رضاء سيدها عليها هو أن تكون متزيّنة و(تحت الطلب) في أي وقت وفي أي مكان ومن طرق الزينة (الساذجة التي كانت تناسب مستواهن الحضاري) الخِضَاب إما **غمساً** وإما **نَقْشاً**.

الجبال من صور (مظاهر) الطبيعة المتميزة في بيئة أحفاد يشْجُب وقد تناولوها من أقطارها كافة ولشدة ألفتهم لها كانوا يسمونها...

وأعاروا النسوان العديد من صفاتها خاصة تلك التي تعني كِبَر الجِرمْ وهو ما كانوا يستجيدونه فيهن بل كانوا يلحون في طلبه لديهن حتى إنهن كن يسْعَين إلى إيجاده بشتى الوسائل مثل تناول أطعمة خاصة أو باصطناعه اصطناعاً كوضع (عظّامات) و(حَشِيّات) على بعض أجزاء أجسادهن... الخ.

الخلاصة أن الجبل كسائر مظاهر الطبيعة ساهم في مد اليعاربة بفيض من التشبيهات:

بَذَخت المرأة إذا تكبّرت وتعظّمت وشَمَخت بأنفها إما لقسامتها ووسامتها أو لغناها أو لنبلها وشرف مَحْتِدها مثلما يقولون **بَذَخ الجبل بذْخاً فهو باذِخ**: إذا طال والجمع جبال بَواذِخ.

- **راعِف الجبل**: مَقدمه وجمعه رواعِف **ورواعِف أنف الامرأة**: طرف أرنبة أنفها.

واستقيت من **الفَلَج** وهو الجدول بين جبلين وماؤه في العادة عذب نمير. امرأة **فَلُوج** وهي التي تَفْلِج قلوب الرجال بحسنها وملاحتها أي تشق قلوبهم كما شقّ أو فَلَج الجدول طريقه بين

الأجْبُل. وامرأة ذات ثغر **أفْلَج ومُفَلّج**: في أسنانها فَلَج وتَفْلِيْج أي أن أسنانها ليست ملتسقة بل بين الواحدة والأخرى فُرْجة ـ وكان العرب يستحبونه في المرأة مما كان يدفعها إلى افتعاله لكي تنال الحُظوة لدى بعلها ومالكها ومما يؤكد ذلك (أن الزوج هو المالك) أن عقد النكاح كان ولا زال يُسمى المُلكة (بضم الميم) في بعض بلدان الجزيرة المباركة. كما يُسمى المهر **أجراً** فيقال دفع لها أجرها لأنه عوض عن بُضعها ـ كما يدفع للأجير أجره.

بعد ذلك نعود إلى السياق الذي قطعناه وهو الجبل كمصدر لتشبيه النسوة به:

رَوانِف الآكام: رؤوسها فإذا كانت المرأة **عجْزاء** ذَلِجة ثقيلة الحقيبة فهي **ذات رَوانِف** وهي أعلى الأَلْيَتيْن.

وإذا كانت هناك امرأة بيّنة الحماقة ظاهرة الطيْش فهي **رعناء** ذات رَعَن ورعُونة **والرعْن** هو أنف الجبل المتقدم منه.

لمّا يضمر خَصْر المرأة ويجوع وشاحها فهي دقيقة المِحْضَن نسبة إلى **الحِضْن** وهو ما دون الابط إلى الكَشْح مأخوذ من **حِضْن** الجبل أي وسطه.

وأيضاً إذا كانت المرأة راجحة التُلى أي ثقيلة الأرداف فهي **الشَنْتَرَة** لفظ مشتق من **الشِتْر** (بكسر الشين) وهو حرف الجبل فكأنما حقيبة المرأة الثقيلة هي حرف الجبل.

وهذا التمثيل يفصح إلى أي مدى يبغي أو يتمنى ابن يعْرُب أن يصل حجم عَجز المرأة أو ربما لأن عجيزات بعض نسوانهم كن يصلن إلى هذا الحجم فقد أوردنا فيما سبق أن إحداهن قاست عجيزتها بالحبل!!!

وفي بعض الأحيان يتقابل الجبلان فيقال عنهما إنهما تناوحا وقد استعير للنسوان المتقابلات للنياحة على الميت فيقال هن **نوائح** ونُوَّح وأَنْوَاح.

شِناط الجبل أعلاه أو شُنْطُوَته فإذا رأى العرب امرأة لحيمة جسيمة جِزْمة مكتنزة اللحم كثيرته طفا على سطح ذاكرتهم شِناط الجبل فصاحوا معجبين بها أو منبهرين: إنها **ذات شِنَاط**.

إن ولع العَرَب بالمرأة الجِزْمة الجسيمة اللِحِيْمَة واعتبارها في نظرهم (المانيكان) التي يتوجب على سائر بنات حواء الاحتذاء بها وصب قوالب أبدانهن على مثالها والنسج على منوالها...

حثهم على نحت المئات من الأوصاف التي تنعت السمينة لأن الشخص عندما يحب يكثر من ذكر محبوبه. ومن البدهي أن يكون الجبل مورداً ثَراً (على مع ما في ذلك من مفارقة لا تخفى ا.هـ.) استقوا منه وتعلّلوا ونَهِلُوا بل تَضَلَّعوا من التشبيهات التي تومىء إلى، السمن والغلظ والامتلاء.... منها **القَلِيْع** هي المرأة الضخمة القوام والرِجلين مأخوذ (= هذا النعت) من **القَلْعَة** وهي صخرة كبيرة تنقلع من الجبل.

الصِرْفَان: نايحتا الشِعْب في الجبل إذ إنك ما إن ترى واحداً حتى تصرف نظرك إلى الآخر. وهناك امرأة لعوب تعرض وجهها عليك لترى بهاءه وإشراقه ثم سرعان ما تصرفه عنك فهي إذن **صَرُوف**.

قد تكون الصخرة خَشْنَاء وقد تكون مَلسَاء فهي إذن **خلْقاء** كذا الامرأة التي حسن خلقها فهي **خلاّقة**.

عندما يغطي السحاب رؤوس الأجْبُل يقال إنه قد خنقها **تخنيقاً** وعندما تكون الجارية هضيمة الكَشْح جَوْعَى الوشاح هيفاء بيّنة الهيَف فهي إذن **مُخنّقة** الخَصْر.

تسمى السنة المجدبة الماحلة **الشهباء**: الجَبْلة لشدتها وقسوتها وعدم انفراجها ويبوسها... الخ وهذه هي أوصاف الجبل: وعندما تكون المرأة غليظة ممكورة ضمْعَج (ممتلئة) فهي **جبْلة** ومِجْبال. أعلى الجبل هو **القَرْن** ومنه سميت ذُؤابة المرأة وخُصْلتها: **القَرْن**.

الأعبَل هو الجبل الأبيض الملتسق بالأرض فيه سواد وبياض فإذا كانت المرأة تامة الخلق عَيْطَموس ثَوْهَدَة فهي إذن **عَبْلَة**.

إذا كان الطريق بين جبلين مَخُوفاً تحفّ به المخاطر وتكتنفه المهالك ويحوّم عليه شبح الردى فهو إذن طريق **مُذكِر** يعني لا يقطعه إلاّ الذكر من الرجال. وكذلك الغلاة المِذْكَار. أما الامرأة **المِذْكار** فهي التي تلد الذكور فقط.

ونكتفي بهذه الأمثلة (الجبلية)، لنعود إلى باقي مظاهر الطبيعة.

* * *

الباسِنَة هي سلال القِفَاع وهو نبات إذا يبس صار كأنه قرون وعندما تكون المرأة العربية مشحاء رشحاء أو عجيزتها صغيرة أو حتى متوسطة تدرك بفطرتها أنها لن تعجب الرجال فتعمد إلى التدليس بأن تضع عليها ما يكبّرها ويعظّمها وتسمى **الباسِنَة**.

في ظلام الصحراء الدامس يوقد اليعربي النار لكي تؤنسه وتزيل عنه الوحشة ولهذا سمى النار **المُؤنِسة**، فإذا كانت الفتاة طيبة النفس حديثها عذب طلّى قالوا عنها إنها **آنِسة** والجمع أوانس وآنسات.

إذا غابت الشمس فهي قد **أَفِلَت**. وإذا توارى النجم فقد **أَفِل** وهو آفِلْ. إذن الأفول يعني الغياب والتواري والاختفاء ـ ومن ثم إذا ذهب لبن الامرأة المرضع فقد **أَفِلَت** وهي آفِل.

كانت البيار ذات أهمية قصوى بالنسبة لليعاريب لأنها تمدهم بالماء عصب الحياة ولهذا كانوا يهتمون بها ويولونها عناية كبيرة ومن شدة احتفائهم بها كانوا يسمونها ـ كما كانوا يفعلون بالخيل كما ذكرنا ـ وكانوا يخشون أن تنهار بعد حفرها ولذا كانوا يسمونها ـ كما كانوا يفعلون بالخيل كما ذكرنا ـ وكانوا يخشون أن تنهار بعد حفرها ولذا كانوا **يؤطِّرونها** أي يطوونها بالشجر. فإذا بقيت الجارية (الفتاة) في بيت أبويها زماناً لا تتزوج فقد أُطِّرت.

ولا تترك هذه الفقرة قبل أن نذكر أنهم (= اليعاريب) نسوا البيار ومشاغلها بعد أن ركبوا على البلاد ذات الأنهار العظيمة مثل النيل ودجلة والفرات وبردى التي على ضفافها نشأت الحضارات السامقة.

في السنين المجدبة الماحلة تحترق الأرض لانعدام المطر فيتحسر الأعرابي ويصيح لقد **أفِكَت** الأرض ومن هنا إذا كانت الامرأة ضعيفة الرأي والعقل وصفت بأنها **مأفُوكة**.

ولا يقال عنها إنها **مفنَّدة** لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي **فتُفَنّد**، في كِبَرها. أما الرجل فيقال عنه مفنّد إذا أُنكر عقله من هَرَم وخلّط في كلامه وقد أَفْنَدَه الهَرَم جعله في قلة فهمه كالحجر وفلان فنّد صاحبه نسبه إلى **الفَنَد** وضعف الرأي. تفرقة صارمة بين الرجل والمرأة من منظور اليعرُبيين ولذا من أقوالهم الأثيرة والمأثورة: (الرجل أشرف من المرأة).

وما حاجة الامرأة إلى العقل والرأي والحِجى عندهم بعد أن حددوا وظائفها تحديداً دقيقاً وحصروها في أمور ثلاثة: تقديم المتعة لسيدها وبعلها ومالكها وخدمته وإنجاب ذريته الصالحة.

ولعل الكشف من خلال اللغة عن نظرة الأعراب إلى المرأة في هذه الخصوصية يفسر لنا موقف الثقافة العربية من عقلها ورأيها وحافظتها الواعية وذاكرتها إذا حضرت واقعة وطُلب منها حكْيها أو قصْها... الخ. ومنعها من تولي العديد من العُمالات والولايات ... ولعل هذا يؤيد ما سطرناه مراراً أن تلك الثقافة ارتبطت ببيئة معينة ومجتمع له موجباته وخصوصياته وإكراهاته...

ونضيف الآن ـ بعد أن قدمنا دليل الثبوت وله لغته التي كانت هي أداة التعبير لتلك الثقافة بل الظرْف (الوعاء أو الماعون) الحامل لها والآلة التي نقلتها...

الأمر الذي يستدعي بطريق الحتم واللزوم إعادة تقويم تلك الثقافة تقويماً جديداً وهذا ما سنفصل القول في حينه.

أَلِق البرق أَلْقاً وإلاقاً: لمَع كذباً أي لم يعقبه مطر فإذا شمّرت الامرأة للخصومة واستعدت للشر فهي قد تألّقت فهي **إلْقَة** والإلْقَة هي الذئبة والقردة والسَعْلاة.

عندما يرى اليعرُبي أرضاً منبتة نباتاً جديداً لم يُرْع بعد يقول: هذه **أُنُف** فإذا اشترى جارية ودخل بها فوجدها عذراء لم تُفضّ طار من الفرح وخرج لأترابه متهللاً يصيح: لقد وجدتها **أُنُفا**.

وأول ما يخرج من الخمر يقال خمرة **أُنُف** والكأس التي لم يشرب فيها من قبل: كأس **أُنُف**.

وهكذا لا فرق في نظره (= اليعْرُبي) بين الأرض والخمرة والكأس وبين الامرأة فكما أن هذه أشياء وهي أيضاً شيء تُوصف بمثل ما وصفت به.

في أحيان نادرة أو حتى قليلة تمطر السماء مطراً متتابعاً فيقول العربان ممتنين: **هلَبَتنا** السماء ـ والمرأة عندما تعي أصول اللعبة وتبذل غاية جهدها في التحبب لبعلها وسيدها ومالك زمام أمرها يصفونها بأنها **هلُوب**.

قبل أن تنفذ أشعة الحضارة إلى العرب كانوا يعدّون الثريد من أشهى أكلاتهم فإذا كانت الثريدة شديدة الثرْد والخلْط فهي **مُلَبِقَّة** وهي قمة الأطعمة وقد نقلوا هذا النعت إلى المرأة اللطيفة الظريفة السهلة الخلُق فهي **لَبِقَة** ولَبيْقَة.

في الواحات الخصيبة (نسبياً) زرع الأعاريب النخيل ومن ثم فهم قد عرفوه معرفة وثيقة وحملت لغتهم مئات الألفاظ المتعلقة به = نوعاً وشكلاً وأجزاء وثماراً وتأبِيْراً وسَقْياً... الخ.

ومن الأوصاف نخلة **نِثَار** أو مِنْثَار وهي التي تنفض بُسْرها والبُسْر: تمر النخل قبل أن يَرْطُب وهو غير مقبول ونثرت الشاة **نثِيْراً** أخرجت من أنفها الأذى وكذا الحمار. وعندما تُكْثر المرأة من الولد فهي **نَثُور** لأنها نَثَرت بطنها.

إذن النخلة والشاة والحمار والمرأة كلها متساوية في نظر الأعاريب، لا فرق.

ومع أن الامرأة **نثرت** ما يحبونه = الخِلْفة أي البنين والبنات بيد أنه لهوان شأنها في نفوسهم وضعوها في صف واحد مع النخلة وهي ترمي ببُسْرها والشاة والحمار وهما يخرجان الأذى!

شأن جميع الشعوب المتبدّية والعَدِيْمة الحظ أو قليلته من الحضارة كان العُربان يؤمنون **بالسحر** فإذا مرض أحدهم اعتقدوا أنه قد سُحر وإذا غاض لبن العنْزة أو قل عن معدله فهي **مسحورة** وإذا أجدبت الأرض ولم تنبت كالعهد بها قالوا عنها أنها أرض **مسحورة** إذ ليس لديهم تفكير علمي ليدركوا أن المرض له أسباب محددة وأن العنز قل لبنها إما لعارض مرضي أو لتغيير نوع الغذاء أو كمّه والأرض لم تعد تنبت لانعدام سُقْياها...

بل هم يُرجعون تلك الأمور لعوامل غير مرئية ولكائنات لا منظورة وعوالم مَخْفيّة ومستترة لها تأثيرها على الإنسان والحيوان والنبات وسائر صور الطبيعة وهذا يدعونا إلى قراءة هذا الشطر من ثقافتهم على ضوء ما أفصح عنهم لسانهم ومعجميته وأن ما جاء في هذه الفقرة مثال سريع ومن ثم فلا نستعجب منه ولا نستهوله ولا نرميهم بضيق الأفق وقلة العقل وقصور الإدراك فهم أبداً لم يكونوا كذلك ومن يدّعيه فهو كذاب أشِر إنما قصارى ما نصل إليه - أنه أي هذا الشطر من ثقافتهم المرتبط بالماورائيات هو متسق مع مستواهم الحضاري وبقَسْمهم من التمدن.

ثم نعود إلى السياقة فنقول عن المرأة التي تفتن الرجال وتخلب لبّهم وتستولي على عقولهم وتنسيهم أنفسهم لفرط حسنها ووضاءتها وبهائها. إنها ذات عين ساحرة أو عيون سَواحِر لأن التي تفعل تلك الأفاعيل بالرجال لا بد أن في عينيها قوة خفية توقعهم في حبائلها.

العقارب والزنابير من الحشرات المألوفة لدى العُربان وقد عانوا من شرورها كثيراً فإذا ضربت العقرب أحدهم بذنبها فإنها قد لسعته وكذا **الزُنبُور**. ولشدة مقتهم للزوجة الفارِك التي تفرِك

زوجها أي تبغضه وتَقْلِيْه (= تكرهه وتهجره) وفي الأعم الأغلب يرجع ذلك إلى عدم كفايته في التلاقي بها إذ إن ذلك أمر كان يقع في قلب بؤرة اهتمامها لأنها لتبدّيها لا يوجد عندها أنشطة تصرف فيها طاقاتها المكبوتة سوى هذا الطقّس الذي تخبرها ثقافتهم أنه يومي فإذا لَمَسَت من الرجل ضعفاً في الفِحالة أو تبينت منه أنه رُكَاكَة: فركته ولسعته بسلاطة لسانها وعيرته بهُشُوشة رجولته وخذلان ذُكُورته فهي إذن امرأة لَسُوع تشبيهاً لها بالعقرب **والزُنْبور**.

أُولع أحفاد يشْجُب بالخمر ومن ثم أطلقوا عليها العشرات من الأسماء ووصفوا أنواعها وأوقات تناولها والأثر الذي تتركه في أول الشرب ووسطه وآخره والظروف (الأوعية) التي يخزنونها فيها والكؤوس والأباريق والأكواب التي كانوا يصبونها فيها.. الخ وكانوا يسمون شدة بريقها: **زَخِيْخ الخمر**...

وإذ إن المرأة كان يتوجب عليها أن تكون دائماً ذات زينة وبريق لتلبي النداء في أي وقت أو مكان ولو على ظهر ناقة فكانوا يطلقون على امرأة الرجل: **مُزْخَته. كما كان يقال لها طَلّته** أي موضع استحسانه وإعجابه إذ إن الطَّل: الحسن المعجب من كل شيء والطلالة الحسن والبهجة والفرح والسرور... وهي أيضاً **خَضْلَته** لأن دُرّة خَضِلَة صافية كأنها قطرة ماء.

هذه الأسماء التي أطلقت على المرأة ومنها (وهذا على سبيل المثال): **المُزْخة والطَلّة والخَضلة**... التي تعني: البريق والصفاء والبهجة والسرور تشرح لنا ما ورد في الثقافة العربية أنه حتم لازم على الزوجة أن تكون على **أيْأة** (= الهَيْأة وزناً ومعنى ا.هـ.) تبعث

الفرح والحبور والانبساط كلما وقع عليها بصر سيدها ومالكها وإذا دفعته هذه الهيأة المتلالئة الوضاءة إلى طلب ملامستها فلا بد أن تلبي النداء على الفور لا على التراخي وإلاّ فهي ملعونة من الصباح إلى المساء أو بالعكس.

وليس في تلك الثقافة أن للزوجة هذا الحق على زوجها؟

وكثيراً ما سألت: لماذا هذه التفرقة؟

وقدّمتُ أسباباً لذلك واليوم أضيف بعد هذه الحفرية اللغوية أن اللسان نفسه الذي قدم لنا تلك الثقافة وعبْره أفصحت عن كينونتها هو الذي كان يحمل ذلك التمييز (بين الرجل والامرأة).

ومن ثم لم يكن من الميسور لتلك الثقافة أن تحمل فكراً مغايراً فكراً يسوّي أو يساوي بين الرجل والمرأة لاستحالة تصور ذلك لأن الفكر المغاير يحتاج إلى لسان مختلف وعقلية مباينة وذهنية مفارقة ومن هذا المنطلق تصدق ماهية ما نطرحه: إن تلك الثقافة كما ولدت معجونة بإكراهات المجتمع الذي تولدت في أعماق باطن رحمه وبإلزامات البيئة التي انبثقت في داخل تلافيفها، بالقدْر ذاته جاءت تلك الثقافة مَلْتُوتة بشفرات اللغة التي قدمتها ومخلوطة بجِينات اللسان الذي عبّرت به، أي من المستحيل أن تكون المرأة في ذلك اللسان هي مُزْحة الرجل وطَلّته وخَضْلَته... الخ وكلها تعني بحزم ووضوح التابعية والانقياد والمطاوعة ثم تأتي الثقافة بفكرة المساواة بينهما والمماثلة أن هذا منافٍ للمنطق وبديهيات العقول وطبائع الأمور...

ولهذا لما اختلط العُربان بأبناء البلاد التي قهروها وكانوا من حسن حظهم (= العُربان) على مستويات حضارية رفيعة دخلت

لغتهم ألفاظ أو استحدثوا تراكيب وتعبيرات تعبر عن فكرة المساواة بين الرجل والمرأة. وبالتالي حتّمت الضرورة نظراً للمستجدات الطارئة في البيئة والمجتمع واللسان أو اللغة إعادة النظر في تلك الثقافة ومحاولة تحديثها لتوائم تلك المتغيرات.

الغُول هي **الصَيْدانَة** أما الأرض الغليظة فتوصف بأنها **صَيْدَاء** وعندما يسوء خُلُق الامرأة فهي **صَيْدانَة**.

والذئب هو **السَلْغَد** والامرأة الحمقاء هي **السَلْغَدَة**.

عصاويد الظلام: هي طبقاته الكثيفة المتراكمة أما المرأة الشريرة فهي **العَضْواء**.

بيرثَرَّة وثَرَّارَة وثَرُوْرَة: غزيرة الماء وعندما تُكثِر الامرأة الكلام ولا تكف عنه فهي **ثَرُورة** وثَرْثَارَة.

كذلك إذا كانت البير كثيرة الماء فهي **الجَمُوم** ولذا أطلقوا على المرأة كثيرة اللحم كرة **جَمَّاء** العظام.

أما عندما تكون البير بعيدة القَعْر فهي جَرُوْر أما المرأة المُقْعَدَة فهي **جَرُور**.

- **الانبس**: ذكر السلاحف **الأَبَس**: المكان الخشن.

أما سيئة الخلُق من النسوان فهي امرأة **أَبَاس**.

من المعلوم أن الأسد له مشية متميزة فيها قدر من الخيلاء والثقة المفرطة بالذات ومن ثم يقال له **بيْهَس** ـ وكذلك **البَيْهَس** من النسوة هي الحسنة المِشْيَة وقد **تبيْهَسَت المرأة**: تبخترب ولا تفعل ذلك إلاّ المرأة الجميلة المطمئنة إلى حسنها ووسامتها. أما التي تُشرع في مِشِيَتِها فهي **مُزَوْزِكَة** تشبيهاً لها بالغُراب لأن **الزَوْك** هو مشي الغراب.

والتي تفعل ذلك إما نحيفة نحيلة مهزولة تدفعها قلة حجمها إلى الإسراع في المشي أو أنها قبيحة دميمة شَوْهاء تحثها صورتها غير المقبولة إلى الهَرْوَلَة وهذه هي العِلّة في تشبيهها (النحيلة أو الدميمة) بالغراب الذي يستدعي منظره إلى الوجدان الأحاسيس المقلقة المُسِيئة...

وإذا استعذب اليَعْرُبي ماء قال هذا ماء نَفِيْص المِنْفَاص المرأة الكثيرة الضحك دون ريبة ولذلك كان يَسْتَمْلِحُها.

وإذا أُعجب ابن يشْجُب بمكان نصب خَيْمته به واستقر وأقام فيه ولم يبرحه فيقال: **لَذِم** به. وإذا أطبق على فم المرأة وقبّلها يقال **لَذِمَها** ولَثَمَها.

لا فارق عندهم بين المكان والمرأة.

والـمَغْنَى هو المنزل الذي غنى بأهله ثم ظعنوا ونقلوا هذه الدلالة إلى فضاء النسوان: **فالغانية** هي التي تُطْلَب ولا تَطْلُب. أو الغنيّة بحسنها عن الزِينَة. أو التي غَنِيَت ببيت أبويها.

اليعْرُبي يسمي المكان الخشن: **شازِب** ـ وكان يفضّل **المرأة البَهْنَكة**: ناعمة الجسم واللّينة **البزْهَرَة** التي تكاد تتساقط من النعمة والدّل ـ في حين كان يُغضّ بالامرأة المَهْزُولة النحيلة النحيفة ويصفها بأنها **شَازِب** مثلها مثل المكان الخشن.

فإذا جمعت إلى الخشونة القصر **فهي جَشُوب** إذ إنها بالنسبة إليه وجبة جافة تُضرّس أنيابه فهذا الوصف مأخوذ من طعام **مَـجْشُوب** بيّن الجُشُوبة وهي الذي أُسيء طحنه أو هو الذي لا أَدَم معه وكان هذا هو طعامهم الغالب فلما كسحوا خيرات المستعمرات التي وطئوها عرفوا الأطعمة الطرّية الدَسِمة الشهيّة

اللذيذة التي ما حلموا أبداً طوال أعمارهم أن يشاهدوها مجرد مشاهدة.

ويطلقون على المرأة التي ركب لحمها على بعض الرَبَاب يشبهونها **بالرَبَابَة** وهي السحابة رَكِب بعضها على بعض وكان قصارى طموحهم أن يُرزقوا بالمرأة **الرَبَاب** التي من كثرة لحمها تتأطّر في مِشيتها تماماً مثلما يقولون عن العود أنه تأطّر أي اعْوجّ وتَثَنّى.

إذا ترعرع النبات وتمايل قيل إنه **أَشِر** وعندما يتردد البرق في لمعانه فقد **أشِر** وتوصف المرأة بأنها **أَشِرَت** في عدة حالات: إذا بطرت وكفرت بالنعمة. أو إذا مرحت وغدا المرح بيّناً عليها مظهراً وسلوكاً. أو إذا تكبرت واختالت لسبب أو لآخر مثل: الغنى ـ العز ـ الجمال ـ النسب والحسب.

بيد أن هذه الحالات يجمعها جامع هو تجاوز الحد ـ أما **الأُشُر** أو الأُشْرَة فهو شوك في ساقي الجرادة أو عقد في رأس ذنبها كالمخلبين تعض بها... وحين تحدد المرأة أطراف أسنانها تجملاً لسيدها ومالكها لأنه كان يستملحه منها أوفيها فهي قد اسْتَأْثَرت **وائْتَشَرَت** وهي **مأشورة** أو مُسْتأْشِرَة أو هي ذات ثغر مُؤشّر.

ففي الوقت الذي تعرض فيه اليَعْرُبية فمها وأسناها للألم وربما التشويه تحبباً لبعلها واستجلاباً لرضاه السامي إذا به يشبهها **بالجرادة**... إذ كما تعض الجرادة بأُشْرها أو بأُشرتها كذلك الامرأة من الجائز أو الوارد أن تعضّه بأسنانها المؤشرة إذا ضاقت تبعيتها له وثارت عليه.

ألفاظ كثيرة وتعبيرات لا حصر لها تفصح عن رؤية الأعرابي للأعرابية فهو عندما يجلس إلى جارية (فتاة) طيبة الحديث يصفها

بأنها أَنُوس هذا الوصف ذاته يطلق على الكلبة غير العقور فهي كلبة **أَنُوس**. لا فرق عنده بين الكلبة والفتاة كلاهما **أَنُوس**.

ولا مانع لدى حفيد يشجُب أن يشبه المرأة بالكلب:

امرأة فقْماء: ثناياها العليا لا تنطبق على السفلى وأصل **الفَقْم** هو طرف خَطْم الكلب. والخطْم هو مَقْدم الأنف.

وهنا تبلغ المفارقة قمتها أو إحدى قممها وهي أن الحفيد (= حفيد يشْجُب) الذي يُطْبِق على فِي المرأة يلْثُمه ويلْزَمه ويَلْذِمه ويرْشُفه...

لا يجد أقل غضاضة في أن يمثله بفم الكلب وهذا مرجعه إما أنه يُعزّ الكلب ويشعر نحوه بامتنان لما يسديه له من خدمات...

وإما أن مستواه الحضاري وعقليته البدائية لا ترى مأْثما أو حرجاً في وضع المرأة في مستوى واحد مع الكلب.

ونهدي هذه الحفرية اللغوية وأمثالها إلى أولئك الذين ما زالوا يصرون على أن العربية لغة جميلة وشاعرة وفنانة... الخ تلك النعوت التي دفعتهم إليها العواطف الفطيرة.

وتارة يشبهها **بالكبْش** (= فحل الضأن) فهو عندما يذهب قرناه يمنة ويسرة فهو **الأفْشَغ**.

ولما تنتأ ثنيّة الامرأة وتخرج عن نَضَد باقي أسنانها فهي **فشْغَاء**.

والمماثلة هنا لا بين الكبش والمرأة بل بين قرون أو قرني الأول وأسنان الأخيرة فكلاهما أصابه **الفشْغ**.

ويقال للرمح المضطرب: **خَطِل**. وللسهم الذي يذهب يميناً وشمالاً ولا يقصد قصد الهدف أنه **خَطِل**.

أما المرأة **الخطّالة** فهي ذات الريبة والفحش بيّنة الفحش التي تتلوى وتتبختر في مِشيتها تلفت الأنظار إليها.

يُسرّ ابن يعرُب أيما سرور عندما يرزق بماشية كثرت ألبانها وأصوافها فيصيح متهللاً = إنها ماشية كثيرة **الفَوَاضِل**.

وإذا لبست المرأة ثوباً واحداً ملحفة أو نحوها يقال إنها تفضّلت وهي **فُضُل** أو لبست لبسة الـمُتفَضِّل ـ والمرأة **الفُضُل** هي أيضاً التي تمشي مختالة وتفْضُل من ذيل ثوبها ـ وإذا لبست مجموعة من النسوان لبسة **الـمُتفضِّل** يقال: خرجن وعليهن **المفاضِل** والمباذِل جمع مِفْضِل ومِبْذَل.

في لغة اليعرُبيين **أمير** الأعمى: قائده وهاديه **والأمير** أيضاً هو صاحب السلطة والسلطان وهو الآمر والوالي (أما الحاكم فهو القاضي ا.هـ.) وهو أيضاً صاحب الكلمة المسموعة النافذة في أي مجموعة كبيرة أو صغيرة. **وأمير** الامرأة: بعلها. أي أنها في نظرهم عمياء تحتاج إلى من يقودها ويهديها ولا بد من وجود سلطة وولاية وأمر عليها إذ إنها لا تصلح إلاّ لذلك.

وهذا الجِذْر اللغوي يفسر لنا ما نطالعه في الثقافة العربية أن الرجال هم المهيمنون عليها وأنهم قد فُضّلوا عليها ولهم النصيب الأوفر في المال والولاية في التزويج وقبض المهور... الخ.

إن اللغة التي نطقت بها تلك الثقافة مركوز في أعماقها عدم المماثلة الذي خرجت منه كل هذه الفروع.

الأسد **مُدِلٌ** بقوته وبطشه ولا غرو فهو ملك الوحوش أو ملك الغابة. والمرأة **تُدُل** بحسنها ووضاءتها ومن ثم **تتدلّل** على زوجها بأن تريه جرأة عليه في تشكّل كأنها تخالفه وليس بها خلاف.

فالأعرابي في قرارة نفسه يكره أن تتدلّل امرأته عليه وإن كان يعجب بجمالها ووسامتها لأنه تعوّد أن تكون مطاوعة منقادة.

وحتى هذه الحسينة المُلاّحة لا تتجاوز حِدّها فهي في تشكّلها تظهر أنها تخالفه مجرد إظهار أي أنه ليس خلافاً حقيقياً لأنها تدرك بفطرتها أنها لا تجرؤ عليه حتى ولو حازت حسن بلقيس.

ولذا تسعى المرأة حتى تظفر بعشق رجلها إلى طريق التخضّع والتذلّل وهنا يشمخ اليعربي بأنفه ويتباهى بأن **خَضْلته** (امرأته) **تقتّلت** له مثل ما يقول: **قتلت** الخِنْدَرِيس (الخمر) أي مزجتها بالماء حتى يكسر حدتها فالخمر والمرأة في نظره سواء فالأولى تعطيه النشوة والأخرى تمنحه المتعة واللذة.

عندما ينقطع الغيث (= المطر) تتشقق الأرض فيصفهاالعربان بأنها أرض **فَلّ**. وعندما تعمد الامرأة إلى فِيْها وتُوْسِعُه تفليلاً وتأشيراً لأنها تعرف أن ذلك يوصلها إلى رضى سيدها يقول هو عنها هانئاً مسروراً: لقد منحتك رضائي إنك ذات ثَغْر **مُفَلّل**: إنه مع إعجابه بذلك الثغر وإقباله عليه لثْماً ولذْماً ورشْفاً لا يرى أدنى مفارقة بتمثيله بالأرض وأية أرض؟ الأرض الشَرِقَة المتشققة!

ألا تقدم هذه الصورة لنا دليل الثبوت على أن سهم أولئك العرب من الذوق كان ضامراً مهزولاً؟

ومع ذلك يطالعنا مذياع مصر المحروسة كل ليلة بمن يحاول إقناعنا بأنها لغة جميلة!

ونصعد إلى الأجواء العالية فإذا اضطربت السحابة وتهيأت للمطر قيل إنها **ترَهْيَأت رهْيأة** فإذا تكفّأت المرأة في مشيتها قيل إنها **ترَهْيَأت رَهْيَأة**.

يشتد الأعاريب على ورود البئر ويزدحمون على نزح مائها حتى يوشك على النفاد فيقال عنه ماء **مثْمود** وبالمقابل **تُثْمِد** المرأة الجميلة رجلها أي تنزف ماءه وتغدو هي **ثَامِدَة** وهو مثْمود.

ويتكرر ذلك كثيراً لدى العرب لأن هاجس التلاقي بالمرأة يملأ عليهم أقطار نفوسهم فنظراً لتبدّيهم الملموس فلم تكن في حياتهم أنشطة رياضية أو ثقافية أو فنية أو تعليمية فلا يوجد أمامهم مجال لتصريف نزوعاتهم سوى الملاقاة بالجنس الآخر يستوي على ذلك الرجال والنسوان ولعل هذا يفسر لنا سر وجود تلك المساحة الوسيعة عن علاقة الرجل والمرأة في الثقافة العربية.

عندما يشحذ العربي سيفه ويجعله صقيلاً حَدِيداً فقد **هنّده** وإذا أورثت الامرأة الرجل عشقاً بالملاطفة فقد **هنّدته** أي جعلته صارماً مؤثراً عند التلاقي كالسيف المشحوذ عند المقاتلة.

وفي فاصلة قادمة سوف نثبت من واقع معجمية اللسان العربي أنه كان يعتبر مسّ الخصْلة ضرباً من الطِعان.

الشاة **الدَرْعَاء** هي السوداء المَقْدم - ومنه يقول ابن يعرُب إن الامرأة **أدْرَعَت** وتَدَرَّعت إذا لبست دِرْعها **قميصها** (الذي كثيراً ما يكون لونه أسود). إنها عندما تفعل تذكره بشاته السوداء المقْدم أو الدَرْعاء وتشبيه المرأة بالشاة لا يشكّل عنده أي حُروْجة بل يراه طبيعياً.

عندما يمنع اليعربي شخصاً عن كذا يقول حدَذْتُه عنه ومن ثم سُمِّي الحاجب **حِداداً** وحَدّاً وكذلك الحاجز الذي يحجز بين الشيئين. ولهذا يقول الأعرابي عن امرأته إنها **حدَادَته** لأنه يحدّها أي يمنعها من الرجال الآخرين وهذا طبيعي لا اعتراض عليه.

ولكن يقال **حدّت** المرأة على زوجها وأحَدّت وهي حادّ ومُحِدّ أي دخلت في مرحلة الحِداد عليه منذ وفاته وهو الامتناع عن الزواج قبل انقضاء أجل معين.

وتزخر الثقافة العربية بفصول عديدة عن مسألة الحِدَاد هذه = متى يبدأ ومتى ينتهي وأنواعه وما يباح للمرأة المُحِدّ فيه وما يحظر عليها وكيفية الإعلان عن خروجها منه وكأن هناك طقساً معيناً تقوم به الحادّ بإعلام الكافة بانعتاقها من أسر الحِدَاد ننصح علماء الأنثروبولوجيا الدينية بدراسته.

والسؤال لماذا فرضت تلك الثقافة **الحِدَاد** على النسوة دون الرجال؟

فإذا قيل إن العلّة الكامنة وراء تقْلِيْده (جعله من التقاليد الراسخة التي يستحيل تجاوزها): هي استبراء رحم المرأة إذ ربما يكون عَلِقَ به شيء من أثر الزواج كل ذلك حفاظاً على النسب الذي يُعَدّ من أهم المحاور التي دارت حولها معيشتهم.

كان الرد: ذلك التقليد كان ملزماً للمرأة ولو كانت عقيماً لا تلد أو جاوزت سن اليأس أي انقطع حيضها علامة على انعدام قدرتها على الإنجاب وحالياً يمكن بالأجهزة الطبية الحديثة في دقائق معدودة التيقن مما إذا كانت المرأة المُحِدّ حاملاً من عدمه أي أن هذه العلة أسقطها بل أجهز عليها التقدم العلمي ومن ثم نادينا بعدم ضرورة التمسك بفترة الحِدَاد إذا أثبت الطب براءة الرحم من أي حمل وبالتالي إباحة الزواج فور ذلك للمرأة الحادّ وأن ذلك يتيح لها تجاوز حزنها وتحسين حالتها النفسية وإذا كانت عديمة المال أو فقيرة فإن الزواج الجديد السريع سوف ينقذها من البَهْدَلَة (في قواميس اللغة بهدل في مشيه أسرع واهتزت بهدلته والبَهْدَلَة الخِفّة ا.هـ.

والشَحْطَة (في المعاجم: أثر الخدش والقَشْر وشَحَط المكان بعُد وشَحَط الجمل أي ذبحه وهي كالبهدلة تعني المعاناة والمقاساة والعامة في مصر تقول الشَحْطَطَة ا.هـ.) وقد طرحنا ذلك في مقال نشرته لنا صحيفة «الأهالي» (لسان حال حزب التجمع بمصر) فانبرى لنا اثنان من أصحاب العمائم المهيبة وصبا علينا سيلاً من الكلم الحامي ووصفاها بأنها فكرة هدّامة مع أننا قدمنا الأدلة العقلية والنقلية التي توثق صحتها.

والمسؤال المطروح: لماذا تُفرض مهلة الحداد الرجل دون المرأة؟

ومن البديهي ما دامت اللغة أطلقت على الامرأة حَدادَة وفرضت عليها الحِدَاد عند وفاة سيدها وبعلها فقد كان من البديهي أن تنضوي الثقافة المنبثقة منها فصلاً ضافياً عن الحداد.

ولكن ما الدليل على أن ذلك شأن بديهي؟

الثقافة العربية تسربت عبر قنوات اللسان العربي ومن خلال هذا التسرب كان من الحتم أن تحمل بصماتها وتنطبع بطابعها وتتشكّل على صورتها.

هذه حقيقة تعد معارضتها نوعاً من الممارأة والمشاكسة والجدل المعقوم الذي لا يبغي التوصل إلى الصواب.

بعد هذه الاستطرادة اللازمة نعود إلى الإجابة عن السؤال المطروح: لماذا الحداد فرض على النساء دون الرجال؟

ورغم أهمية السؤال لأنه يبرز مَعْلَماً بارزاً من معالم عدم المساواة بين الرجل والمرأة في لسان ثم ثقافة اليعْرُبيين فإن الإجابة لا تحتاج إلى كبير فطنة.

لقد رأيت من معجمية ذلك اللسان أو تلك اللغة أن الرجل بعل

وسيد ومالك والمرأة مبْعُولة وعانية وأسيرة فكيف يتصور أن يحزن ويحدّ السيد على تابعته ومملوكته فموتها بالنسبة إليه أمر عارض فهو يستطيع أن يتزوج في ذات يوم وفاتها وأن ينكح العدد الذي يشاء من النسوان: حرائر وملك يمين.

وهذا بعينه ما ورثته الثقافة حذوك القُذّة بالقُذّة مع شيء من التهذيب الطفيف أو التحديد في العدد ولو أن بعض سدنة تلك الثقافة أفتوا بأنه لا يوجد تحديد إنما هو من قبيل التبيين والتوضيح.

والبعض الآخر نفذ إلى الاطلاقية أو المطلقية العددية حتى وصل إلى العدد القديم بل تعداه وإلى الضعف في بعض الأحايين تقول نفذ إليها بطريقة مشروعة لا تخفى على فطنة الأريب.

وعسى أن يكون في هذا المسلك مقنع بأن الثقافة العربية هي ربيبة اللغة تغذّت من لبانها ورُبيت في حِجرها.

* * *

جولة ربما بدت للقارىء طويلة في رحاب مظاهر الطبيعة لتبيين أن العربي استعارها بمختلف ضروبها ونقلها إلى عالم المرأة وشبهها بها وهذا يؤكد ما قال به علماء اللغة أن البيئة ـ وخاصة الجغرافية ـ تؤثر على لسان الإنسان الذي يعيش فيها.

ولم يقتصر الأعرابي على الشطر المادي وهو جسد المرأة في عملية التمثيل هذه بل تعداها إلى الشطر المعنوي ونعني به النفسي والخُلُقي (بضم الخاء واللام) وكان المجال أمامه فسيحاً ليفعل ذلك لأن البادية التي قضى حياته فيها فضلاً عن أنها كانت وسيمة للغاية فإن الطبيعة حبتها بالكثير من صورها ولا شك أن اليعربي كان فطناً ذكياً لماحاً ومن ثم التقط نقاط التشابه والتماثل الموجودة في مظاهر الطبيعة ـ من وجهة نظره ـ ونقلها إلى فضاء الامرأة.

وعندما نقول إن العربي كان ذكياً لماحاً لا يتناقض هذا مع ما ذكرناه مراراً وتكراراً عن تبدّيه وبعده عن الحضارة ولقد أكد علماء الأنثروبولوجيا أن الإنسان البدائي ليس فَدْماً غبياً فلا تلازم بين الأمرين فكم من متحضر بيّن الفدومة ضعف الفهم.

ولا أدل على فطنة الأعاريب من أنهم عندما خالطوا أبناء الحضارات السامقة وطالتهم المدنية أنشأوا حضارة زاهرة احتلت موضعاً مرموقاً بين الحضارات الباهرة.

كذلك فإن ثراء اللغة التي نطقوا بها ساعدهم على اشتقاق تلك التشبيهات سواء في الأسماء أو الصفات أو الأفعال وهذا كان أحد العوامل الفعّالة في أن تلك التشبيهات تُعدّ بالألوف وما قدمناه لا يعدو أن يكون غَرْفَة بيد واحدة من بحر زاخر موّار، والأمر يحتاج إلى كتيبة من البحّاث لإيفاء الموضوع حقه من الإحصاء.

ومرة أخرى فلا تناقض بين ما نقرره الآن من أن لغة اليَعَاربة ثرية غنية وبين ما أخذناه على البعض من وصفها بأنها جميلة شاعرة ساحرة فنانة (الأصح أن يقال فنّاء وفنْواء ولكننا آثرنا استعمال اللفظ الشائع نزولاً على القاعدة: خطأ مشهور خير من صواب مهجور ا.هـ.) فلا ارتباط بين الغنى والجمال فك من من غني ثري مليء سواء في الإنسان أو في مظاهر الطبيعة ومع ذلك فهو دميم قبيح أشْوَه أو على الأقل عديم الجمال أو قليل الحظ منه وخذ مثالاً على ذلك شجرة البلوط وزهرة الياسمين...

- **والعَثَوْثَج**: (البعير الضخم) والعُصْفور...
- **والعَتَلة**: (الناقة القوية) والطاووس...
- **والحَيْرَمة**: البقرة

- **وأم حُمَارِس**: الغزالة.
- **والكَزْكَدن**: (حيوان له ثلاثة قرون) واليمامة.
- **والعِلْج**: حمار الوحش السمين القوي - (وكان العُربان يسمون مواطني البلاد التي داسوها بخيولهم المبروكة وكسحوا خيراتها: العُلُوج جمع عِلْج مع أنهم من عرقهم كانوا يعيشون في بُلْهَنِيّة وهم متكئون على أسرَّتهم في قراهم المقدسة ا.هـ).
- **والعُتْرفَان**: الديك...
- **والجاموسة وأم الطّلا أو أم شادِن**: الظَبْية[٦].

ونكتفي بهذه الأمثلة لعل فيها مقنعاً بأنه لا صلة بين الثراء والامتلاء والضخامة وبين الجمال والحسن والبهاء والوضاءة والقسامة والوسامة... ونحن لم نقل أن لغة بني يعرب شوهاء قبيحة لكننا أخذنا على من ينعتونها بالجمال خطأهم ويبدو أنهم يسيرون في ذلك على خطى أسلافهم بني يعْرُب الذين كانوا يعتبرون قمة جمال المرأة أن تكون جريمة، جسيمة سمينة، كِنَاز، جَبْلة، ضَمْعَج، بَخِنْداة، رَدَاح، ثِقال...

وسيأتي ذلك بشيء من التفصيل في الباب القادم، ولا غرابة في أن ينحو الخلف الطيّب منحى سلفه الصالح فالذي لا مشاحة فيه أنه مركوز في العقل الباطن لليعْرُبي وفي أعماق لا شعوره أن الضخامة والسمن والغلظ والثقل والامتلاء والحذْر والعَبَل كل منها

(٦) لمزيد من الأمثلة ارجع إلى **حياة الحيوان الكبرى** لكمال الدين الدميري مصدر سابق وإذا لم يكن لديك جلد على البحث والتنقير مثلي فعليك بكتاب **المختار من حياة الحيوان الكبرى** لكمال الدين الدميري المتوفي سنة ٨٠٨ هجرية - اختيار: محمد الحاذق - مراجعة: عبد الحميد الدواخلي - سلسلة «مختارات من تراثنا». الإدارة العامة للثقافة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر - د. ت. ن.

قرين البهاء والحسن والوضاءة فما دام اللسان العربي واسعاً عريضاً ضخماً غليظ زَبْعرياً رِبَحل زِبِيْراً فهو إذن جميل حسن بهيّ بل فنان...

إنهم (المدّعون بقالة اللغة الجميلة، الشاعرة الفنْواء) مثلما يحدث في كثير من الآراء والأفكار المطروحة اليوم يقومون بعملية اختيار وانتخاب وانتقاء...

لعدد من الألفاظ الجميلة ويقدمونها دليل ثبوت على ادعائهم الفَطِيْر مع أنه ما من لغة من لغات بني آدم التي تُعد بالمئات وربما بالألوف إلاّ وفيها كلمات جميلة حسينة بهيّة.

وعلى أولئك الأشاوس البُهْم المغاوير أن يخبرونا هل اللغة التي تنضوي على الألوف من الكلمات التي سنورد بعد قليل أمثلة منها هل هي جميلة شاعرة فنّاء مثل:

الخَنْضَرِف ـ الخَرِيقَة ـ الشَنْظِيْرَة ـ الشَنْغِيْرَة ـ المُلَعْظَلَة ـ العَلْجَن ـ العَنْطَنَطَة ـ المُتَلَعُّجَة ـ الدَغْنَجَة ـ العَرْفَجَة ـ الزَنْجَبَة ـ البَزْهَرَة ـ الجَلْهُوْب ـ الكَنْعَب ـ الزَافِنَة ـ الرَفْعَاء ـ الطَنْبَرِيْز ـ التغضُوضَة ـ القَرْفَطَة ـ المُهَرْنِفَة ـ الجَفْعَلِيْق ـ العَضَنْكَة ـ الهَكْهَكَة ـ المؤْتَبَة ـ الحُنْطُوب ـ البَهْصَلَة ـ المُخَبَّشَسَة ـ الحَبَرْكاة ـ النُكوع ـ العِضَمُزَة ـ الخَبَرْقَصة ـ الدُعْسُوقَة ـ الحِنْزَقْوَة ـ الرَكْرَاكَة ـ الهُرْكُولة ـ القَعْواء ـ الحُنْطُوْب ـ الحُرْعُوْب ـ العَيْطَمُوس ـ الخَضْعَبَة ـ الضَبَضَب ـ الجَلَنْبأة ـ السَبَحْلَلة ـ الصَدْلَحَة ـ القَلْهَمَس ـ الكَبْكَابَة ـ الخُزبُوعَة ـ الفَلْحَسَة ـ العِكْرِشَة ـ العَنفَرَش ـ الجُبَاعَة ـ القَرْشَع ـ الخَفَخَافَة ـ الهَرْشَعَة ـ الخِزْبَقَة ـ الغِلْفَاق ـ الضَبَرَك ـ الحَزَنْبَل ـ الخَبتَل ـ الخَنْجَل ـ الطِمَلَة ـ الهَيضَلَة ـ الثِرْعَامَة ـ الخراطِم ـ الهِلْقَم ـ الطُرطُب ـ العَلْهَبَة ـ

النَهْبَرَة ـ الهَيْعَرُون ـ الهَيْدَكُور ـ البَيْهَس ـ القَهْبَلَس ـ الحَزَنْقَفَة ـ الخَبِعَة ـ الهَرْشَفَة....

تلك كانت رشفة العجلان التي لا تبلّ صدى ولا تنقع غُلّة.

وبداهة نحن ما قصدنا إلى استقصاء فهذا ليس موضعه ولا هو مكانه فضلاً عن أنه يفوق الطاقة ويجاوز الوسع ويعلو إلى الجهد...

إنما قدمنا تلك الألفاظ لندلل على أن لغة تضم عشرات الألوف من أمثال هذه الكلمات الحُوشيّة الجافية الغليظة التي تنبو عن الذوق السليم هل يمكن أن توصف بأنها شاعرة أو جميلة أو فنانة مع الوضع في الحُسبان أن تلك الألفاظ وهناك المئات إن لم يكن الألوف من مثيلاتها وردت في دائرة المرأة حيث يتوجب أن تُراعى اللطافة والرهافة والرقة والعذوبة واللين والنعومة فما بالك بالكلمات التي كانوا يتداولونها في دوائر العنف والخصومة والحِرَابة والعراك والعداوة والبغضاء والشحناء والكراهية أو حتى الأحوال المعتادة والشؤون الحياتية... الخ.

أفبعد ذلك يجرؤ أولئك المدّعون على الإصرار على دعواهم أن لغة العَرب جميلة أو شاعرة أو فنانة... ألا يجدر بهم أن يكفوا عن دعواهم تلك التي تقوم ألوف الأدلة على نقضها من أُسّها وأن يكونوا موضوعيين ويعترفوا بأنها لغة مثل غيرها من اللغات فيها الجميل والقبيح والحسن والردىء والوسيم والدميم والمُعْجِب والأشوه والجافي واللطيف والحُوشي والمقبول والغليظ والمرْهوف والثخين والرقيق والسميك والشفيف.... الخ.

ولعل دعوى اللغة الشاعرة تندرج تحت مثيلاتها من الإدعاءات مثل أن اليعاربة أقاموا أمجد حضارة ولديهم أعظم إسطار وأغنى

أدب وأرفع شعر وأجمل فن وأثرى تراث وأعرق مدن وأقدم جامعات... الخ ومبعث هذا كله مركب النقص والشعوب بالدونية والجدب العلمي والإنهزام الحضاري...

وهذه الإدعاءات القرعاء لا تُسمن من هزال ولا تُغني من جوع ولا تخرج من ورطة ولا تحل أزمة ولا تنشل من وهدة ولا تقيل من عثرة ولا ترفع من خيبة ولا تنجي من إخفاق ولا تنقذ من سقوط...

إنما الطريق الذي لا بديل له هو الانعتاق من ربقة المسطورات والتفلت من هيمنة المأثورات وفك أسر العقل والإيمان به في الصباح والمساء كما قال أبو العلاء المعري في الأمور كافة جليلها ودقيقها والإقبال على العلم (نعني به العلم التجريبي أو الطبيعي) وتسييده في كل المجالات... الخ.

وتلك الإدعاءات الزُيوف ليست سوى مخدرات معنوية وبنج نفسي نتيجتها الحتمية تزييف الوعي وتغيب الإدراك وسوف يبقى العُربان على حالهم هذه ما ظلوا مؤمنين بتلك الدعاوى الفاسدة.

بعد هذه الإستطرادة نعود إلى سياقة الحديث...

إذا قلنا فيما سبق أن الناقة أثرت تأثيراً طاغياً على اليعْرُبي في تشبيه المرأة بها تأثيراً يكاد يعطيها الفَرادة في هذا المجال ثم جاءت الفرس التالية (المُصلّية) في ذلك التأثير فإن المظاهر الطبيعية احتلت ما تبقى من حيز في نفسيته ووجدانه في هذا النطاق.

ذلك أنه من البديهي أن تفوز بالقِدْح المُعلّى ومرده إلى خطرها (قدرها) بالنسبة إليه وحاجته إليها شبه الدائمة إنْ في الإقامة أو الظعن ثم تلحق بها الفرس لأنها كانت تلعب دوراً فذاً في المعارك

التي كانت لا تكاد تهدأ بين القبائل ثم تجيء بعدهما صور الطبيعة المتعددة التي كانت تحيط به وكان بعضها ضرورياً له والبعض الآخر كان يَرْهبه ويخشاه ويتقي غضبه ويتجنب ضرره ويفر من أذاه والبعض الثالث كان مبعث رضاه بل سروره ولكن في كل هذه الأحوال كان موقفه ينطلق من منظور حسّي وليس شعورياً وهو الموقف نفسه الذي كان يرى به المرأة بل ويتعامل معها وخاصة في مجال دقيق وهو التَماسّ بها...

كما سيتضح في الباب القادم..

إذا قمنا بعملية استقرائية ونعني إلقاء نظرة فاحصة على الجزئيات ليوصلنا إلى مُحصّلة كُليّة هي أن مبدأ اليَعَاربة في تشبيه المرأة بمظاهر الطبيعة كان حسيّاً مادياً مثل التي كان ينطلق منها في مضماريّ الناقة والفرس لأن المعنويات كانت بعيدة عن مداركه البدائية فالمرأة حسنة المُتجَرَّدة هي حسنة المَعْرى مثلما يقول حمار أعرّ أي سمين الصدر والعنق فهما عنده سواء.

والجَزْلة هي القطعة العظيمة من التمْر فإذا رأى حقيبتها ثقيلة قال عنها إنها جَزْلة فهو قد نقل تأثير القطعة العظيمة من التمر على حواسه إلى عجيزة المرأة وشاكل بينهما.

كذلك الدِرْع الوسيمة السابغة هي فَضْفَاضة فإذا عاين اليعربي امرأة لحيمة جسيمة طويلة طفت على سطح مرآة ذهنه تلك الدِرْع فيصفها بأنها فضفاضة.

وفي الربيع عندما يترعرع العشب ويزيّن الأرض يقول الأعاريب إنها ازِيّنت وعندما تمر بهم امرأة جميلة حسنة المظهر فهي امرأة زَيْنَة ـ فكما أن الأرض زَيْنَة بعشبها فهذه زَيْنَة بجمالها وحسن مظهرها.

والسهم القصير الذي يلعب به الصبية: **جُبَاع** والمرأة القصيرة أيضاً **جُبَاع** - والخنفساء هي المَنْدُوْسة وهي عينها الامرأة الخفيفة كلاهما لا قيمة لها في نظرهم.

ولما يكون الضبّ ضخماً فهو **سَبَحْل** وعندما تكون الجارية تارة فهي أيضاً **سَبَحْلاً**.

ومن السماء - **أرداف** النجوم: تواليها وأواخرها ومؤخرات النسوان وأعجازهن هي **روادفهن** - فهنا (السماء) التي هي بلا مشاحة ميدان رحب بل لا متناهٍ لاستعارة المعنويات والمرموزات والتخييلات لم يجد أبناء يعرب فيها إلاّ التشبيهات المادية والمماثلات الحسيّة الملموسة التي تملأ الكف بل هنا لا يحيط بها الكفان معاً فاستعاروا توالي النجوم إلى عضو في المرأة يصيبهم بالهَوَس والخَبَل.

وفي هذا المثال لا يماري أحد في أن أولئك العرب كانوا على درجة غير مسبوقة ولا ملحوقة من الحسيّة الغليظة والمادية المركّبة.

وبه نختم سهم التمثيلات المستقاة من مظاهر الطبيعة في شطره الجسدي وبعده ننتقل إلى الشطر المعنوي.

المرأة الظريفة اللطيفة ذات الحديث المُعْجِب والسهلة الخُلُق يصفها أحفاد يشْجُب بأنها **لَبِقَة** أو لَبِيْقَة أخذوا هذا الوصف من **الـمُلَبَّقة** وهي الثريدة شديدة الخَلْط (كان الثريد من أشهى إن لم يكن أشهى أكلاتهم قبل أن تعطيهم الشعوب التي دعسوها ببُعرانهم وأفراسهم دروساً في المدنية والحضارة والترقي والترهف ا.هـ. فهنا لم يجدوا ما ينعتون به الكلام الطلّي الحلو الذي تنثره الإمرأة إلاّ الثريد (تسميه العامة في مصر الفَتَّة وهي كلمة فصيحة ا.هـ).

فهل بعد هذا إمعان في الحسّية؟

لما يدقّ الأعرابي أوتاد خيمته في مكان رَاقَ له وعَدَن (أقام) به ولم يغادره يقال إنه **لَذِم به** وعندما يقبّل امرأته فهو **لَذِمها**، هذا الفعل الذي سُداه المودة ولُحمته الإعزاز لم يعثر له على شبيه إلاّ الأرض التي يستقر بها.

سبق أن كررنا القول إن العُربان يرون أن عُمالة (وظيفة) المرأة الرئيسة هي الاستعداد الدائم لتقديم المتعة لسيدها في أي زمان ومكان (ولو على ظهر تنّور) وهذا يفسر لنا شدة كرههم للمرأة التي تعجز عن ذلك لمرض أو كِبَر في السن... **فالعَوْزَب** هي التي بعُد عهدها عن النكاح (يقول العامة في مصر: راحت عليها وهي عبارة تقرب كثيراً من الفصحى ا.هـ) استعارة من قولتهم ـ **عَزَبت** الأرض ـ إذا لم يكن بها أحد مُخصبة كانت أم مُجْدبة. فمن شدة تغيظهم من المرأة عديمة الصلاحية للنكاح (= الزواج) قرنوها بالأرض الخالية من أي أحد.

فهي إذن جمعت بين الأرضية والخلاء التام.

أما إذا كانت المرأة ولوداً ألصقوا بها صفة الأرضية فحسب فهي **أَرِيْضَة** مثلها مثل الأرض الوفيرة الخصب ونباتها زكيّ فهي أيضاً **أَرِيْضَة**. إن هي في الحالتين: **أرض** سواء أخصبت أم أجدبت.

شَعْر المرأة هو تاجها وهو جزء جميل من جسدها وإن كان غزيراً مسترسلاً طويلاً تباهت به إذ تعدّه من شارات الحسن والبهاء. ولكن الأعرابي لم ير فيه إلاّ أنه يشبه ذُؤابة الجبل فكما أنها هي **قرْنه** كذا فإن خُصلة شعرها هي **القرْن**.

الفَلاَة في لا شعور اليعرُبي تساوي الهَلَكة فإن كانت مترامية الأطراف فهي **قرينة** الردى المحتوم ومن هنا فهو يكنّ لها كل مقت

وبغض وكراهية... ويسميها **شَحشَح**. وبالقدر نفسه ينفر من المرأة المسترجلة الفاقدة الأنوثة ويصفها بأنها **شَخْشَاح**.

لماذا؟

لأنه لا يجد لديها المتعة وهي طِلْبته الأولى منها وهذا يساوي في نظره الهلاك والضياع وشتات الأمر فهي والفلاة الوسيعة على قدم المساواة.

أسلفنا أن مرد إعجاب اليعربيين بضمور خَصْر المرأة هو أنه يُظْهر من جسدها ضخامة الجزء العلوي وثقل الجزء السفلي (الذي يحوز على نصيب الأسد من استحسانهم واستملاحهم) لا عن شعور بالجمال... فيقولون عن المرأة ذات الخَصْر النحيل إنها دقيقة **المِخضَن** (ما دون الإبِط إلى الكَشْح)... هذا التشبيه أخذوه من الجبل إذ أن وسط الجبل هو **حِضْنه**.

الإلْقَة هي الذئبة والقردة والسَعْلاة. فإن استعدّت الامرأة للخصومة وتهيأت للشر فهي أيضاً **إلْقَة**.

الدُرّة الصافية التي تشبه في صفائها قطرة الماء هي **الخَضَلَة** ـ ومن الأسماء التي يطلقها العرب على المرأة **الخَضْلة** لأنه يتمنى أن تكون في جميع حالاتها صافية متلألئة دائماً في وضع استعداد لتهب المتعة له ـ وإذا تدلّلت المرأة ـ بقدر محسوب لا تتعداه على زوجها بسبب قسامتها ووضاءتها فهي هنا أشبه بالأسد ملك وحوش الغابة الذي يدلّ بقوته.

حتى في هذا المقطع النفسي من سلوك الامرأة لم يجد حِسّ العربي الغليظ سوى الأسد ليجعله له ضريباً. ولعل في ما تقدم الكفاية للتدليل على أن اليعاربة حتى في الدائرة المعنوية والنفسية لم يستطيعوا أن ينفلتوا من حسّيتهم المفرطة.

الباب الرابع

١

النظرة الغليظة والحركة العنيفة

تمهيد:

عاش العربي في بيئة جغرافية تتسم بالقساوة والجهامة والكآبة والأمور فيها تصل إلى حدودها القصوى فمناخها صحرواي جاف، الحر شديد في أيام القيظ والبرد قارس (ويصح أن يقال كذلك قارص) في الشتاء والسماء صافية لا تحجبها غيوم ومن ثم فهي ترسل أشعتها دون عائق فيتحول النهار إلى ألسنة لهيب لافح يشوي الوجوه والأبدان، والليل شآبيب (ج. شؤبوب وهو حد كل شيء وشدة دفعه.اهـ) من الصقيع والمياه قليلة إن لم تكن نادرة، والمطر شحيح أو سيول عارمة كاسحة وذلك في أحوال متباعدة، والخضرة توشك أن تكون منعدمة سوى في عدد مهزول من الواحات مثل اليمامة والطائف وخيبر والتربة فقيرة بائسة إلا في بقاع لا تتجاوز عدها أصابع يد واحدة والرياح سوافٍ أشد ما يكون السُفُوّ والجبال خشنة صلْداء ملساء طويلة عريضة باذخة، والرمال لاعجة (مُحرِقَة) والبروق والرعود والأنواء صاكّة صلاّقة تخطف الأبصار والأسماع والفلاة وسيعة لا متناهية تعج

بالحيوانات المتوحشة والقوارض والحشرات والهوام اللادغة والعاضّة والسامّة والطيور الجوارح والنباتات الشائكة والتلال المرتفعة والأخاديد الغائرة والصخور الصمّاء والوديان المنفسحة والهواء الجاف النقي والشقوق العميقة الخ...

ذلك وصف موجز للبيئة الجغرافية التي عاش فيها العربي.

أما ما يهمنا من الناحية الاجتماعية فهو أن هذه البيئة القفر البائسة دفعتهم إلى شن الغارات بعضهم على بعض وأصبح النهب والسلب من مواردهم ودخولهم المعتمدة حتى أنهم كانوا يقولون إن أرزاقهم معلقة بسيوفهم ورماحهم ـ من هذين المَعْلَمَين ندرك العلة في نظرة الأعرابي للمرأة ثم سلوكه أو حركته معها. فتلك البيئة الجافية التي لا توسط فيها فهي إما شديدة الحرارة أو قارسة البرودة وإما مطر شحيح شبه معدوم وإما سيل عَرِم وإما جبال خشنة أو رمال ناعمة وإما رياح هوج أو نسيم رخيّ دفعتهم دفعاً إلى النظرة الحسّية والحسّية الغليظة بل الممعنة في الغِلَظ كما أن ضخامة صور الطبيعة أو مظاهرها في تلك اليئة مثل: الجبال العالية والتلال المرتفعة والفلاة الوسيعة والوديان الرحبة والأخاديد العميقة والشقوق الغائرة والحيوانات المكتنزة مثل الناقة والبقرة وحمار الوحش... والرمال المنبسطة.. كلها جعلته يوقن في قرارة نفسه أن الضخامة والغلظ والسمن والاكتناز والامتلاء هي الجديرة بالإعجاب والخليقة بالتقدير...

فهو يفتح عينيه على هذه المظاهر فيترسب في أعماق نفسه وفي أغوار وجدانه أن كبر الحجم هو المثل أو النموذج الذي يتعين أن يُحتذى في من أو ما يتعامل معه أو ما يستعمله أو يستخدمه وأن ضخامة الجِرْم دليل أو حتى قرينة على الصلاحية والكفاية وأن عظم

الهيئة جواز المرور لنوال القبول... وتلقي الحظوة بل الإعجاب والإنبهار...

يضاف إليه حرمانه من الحضارة وافتقاره إلى المدنية... جميع هذه العوامل دفعته بالإضافة إلى النظرة الحسّية المكثفة أن يتطلب في المرَة ما شاهده في صور الطبيعة المحيطة بها:

الضخامة والغلظ والامتلاء والاكتناز والتراكم الخ... فيها ككل وفي أجزاء أو أعضاء جسدها واحداً واحداً وخاصة تلك التي تتصل اتصالاً مباشراً بفعل التماسّ أو الالتصاق بها وبداهة أن يشدد على تلك المواصفات في الشِطْر الأسفل منه على وجه الخصوص.

وكما أن العلاقة بين القبيلة والأخرى قامت على الغزو والهجوم والكرّ والفتح والصراع والمقاتلة والمغالبة الخ... فكذلك نظر إلى طقس مسّه أو اقترابه من المرَة من المنظار عينه...

وسوف نرى في الفصل الخاص بالحركة العنيفة أنه كان يوجه إليه الرؤية نفسها فهو فرع خرج من أصل الحركة تجاه القبيلة الأخرى المعادية.

حقيقة أنه لم يصل إلى حد الحرب والعراك والقتال إذ لم يدّع أحد أن الفرع مثيل أو مطابق لأصله إنما يشاكله ويشابهه أي يعطي ملامحه ويذكّر بقسماته الخ...

ومن ثم فهو (طقس التماسّ بالمرأة) في عرفه: سلْق وشرْح وقشْر ونحيْر حَفْر الخ... حقيقة أنه بعيد (كما تنبىء هذه الألفاظ) عن أن يكون طعاناً ونزالاً وجرحاً ومبارزة بيد أنه ينتمي إلى الدوحة نفسها وينبثق من المشكلة عينها ... ففيه روح المغالبة والقهر والدعس والدكّ الخ... وقد نلتمس لأولئك الأعاريب العذر لأنهم

نظروا لهذا الفعل تلك النظرة الجافية القاسية العنيفة في حين أنه م المفترض أن يكون أسّه المحبة والمودة والألفة واللطف والإعزازالخ...

ذلك أنهم عاشوا في بيئة قاسية ذات مظاهر ضخمة وصور حدْيّة كما أن عزلتهم في جزيرتهم المقدسة حالت دون وصول أشعة الحضارة إليهم وترتيباً على ذلك كله بل ونتيجة حتمية له أن تغدو تلك هي نظرتهم أو رؤيتهم للمرأة أن تتشكل حركتهم عند اقترابهم منها بذلك الشكل العنيف أو هو للدقة: العُدواني ولقد كان من المنافي لبدائه العقول ولطبائع الأمور وأبجديات المنطق أن تجيىء نظرتهم خلاف تلك النظرة أو أن تتموضع حركتهم في التماس والتلاقي معها على أرض الواقع أرق وألطف لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٢

النظرة الغليظة

أ ـ الشكل الكلي

أوضحنا في التمهيد العلة وراء نظرة العربي إلى المرأة تلك النظرة الحسّية الغليظة البالغة الغِلَظ ـ بقي أن نقدم البرهان على ذلك النموذج الأمثل للمرأة لدى العربي هو المرأة الجسيمة اللحيمة السمينة ذات الجِرْم الهائل المكتنزة لحماً وشحماً التي تمتع حواسه جميعها ـ ولا أدل على ذلك من مئات الأوصاف التي أطلقوها على من كانت تحوز تلك الأوصاف مما يقطع بإعجابهم بل تولههم بها فهي:

مَرَة تَميمة: تامة الخلْق وثيقة.

بضّة الـمُتَجَرَّد: إذا طرحت عنها ثيابها تكشف بياض جسمها وسمنه وامتلاءه.

حسنة الجُزدة: مثلها.

جَرِيمَة: عظيمة الجرم.

كِنَاز: كثيرة اللحم صلبته

بضّة: بيّنة البضاضة أي شديدة البياض مع سمن ظاهر أو بالغ.

بَضِيْضَة: مثلها.

بَخباجَة: سمينة مضطربة اللحم.

بَخْبَاجَة: كثيرة اللحم غليظته.

رَبِيْلَة: سمينة.

جوارٍ (جمع جارية) شَوَابِل: طوال سمان.

تَبَخْبَجَت الجارية: سمنت وامتلأ جسمها.

امرَأة خِدَبَة: ضخمة الخلْق.

امرَأة بِادن: كثيرة اللحم، بيّنة البدانة.

امرَأة خُنْطِوْب: ضخمة.

امرَأة حَوشَبَة: عظيمة البطن.

امرَأة حَوشَبَة: عظيمة الجنبين.

الخُزْعُوب: الشابة اللحيمة الحسنة الخلْق الرَخْصة.

الخُزْعُوبة: مثلها.

الخُزْعُوبة: مثلها.

امرَأة سَرْهَنَة: جسيمة طويلة.

البَهْنَكَة: امرَأة ليّنة الجسم ناعمته.

العَيْطَمُوس: امرَأة ليّنة الجسم ناعمته مع حسن في الخلْق وتمام.

امرَأة ضَكْضَاكَة: مكتنزة اللحم ولكنها قصيرة.

امرَأة ضُكَاضِكَة: مكتنزة اللحم ولكنها قصيرة.

وكان أحفاد يعرُب لا يفضلونها مثل تفضيلهم للسمينة الطويلة ولعل الوصفين يحملان قدراً من الاستهزاء.

جارية عَكْناء: ذات عِكَن أو عَكَنَات أي طيّات في بطنها من السمن والامتلاء. وكان اليعاربة يصيبهم مسّ من الهوس إذا نكح أحدهم زوجة فوجدها عكْناء أو اشترى أو أسر جارية فوجدها كذلك.

جارية مُعَكّنَة: مثلها.

امرَأة عَبنْهَرَة: سمينة ممتلئة الجسم رقيقة البشرة حسنة الخلحق.

امرَأة مُخْتَلَقَة: ذات حسن وخليقة.

امرَأة عَبْلَة: تامة الخلْق. والعَبْل هو الضخم من كل شيء.

مرة زَبْعرَاء: غليظة مع كثرة في شعر جسدها. ولما كان الأعاريب يكرهون كثرة الشعر في جسد المرأة فإنها كانت تسارع إلى نتفه.

إمَرَأة مُثْخَنَة: ضخمة غليظة.

إمَرَأة عَرَكْرَكَة: كثيرة اللحم.

إمَرَأة عِفْضَاج: عظيمة البطن مسترخية اللحم.

إمرأة مَفَاضَة: عظيمة البطن مسترخية اللحم.

امرَأة خُزبُوعَة: مُتَثنِية من السمن. وكان العَرَب يعجبهم تَثَني المرَأة ومن ثم كانت المرَأة تصطنع التَثَني لتفوز برضاهم بل لتحظى بإعجابهم.

إمرَأة رَبَحْلَة: سمينة منعمة.

امرَأة سَبَحْلَة: سمينة منعمة.

امرَأة الوَهنَانة: لينة الجسم ناعمته تكاد تتساقط من النعمة والدّل.

امرَأة البَرْهَرَة: ليّنة الجسم ناعمته تكاد تتساقط من النعمة الدّل.

امرَأة البَهْنَكَة: ليّنة الجسم ناعمته تكاد تتساقط من النعمة والدّل.

امرَأة البَهْنَكَة: ليّنة الجسم ناعمته تكاد تتساقط من النعمة والدّل.

وكان بنو يعرُب يُفتنون بمن كانت بهذه الصفة ولذا فإنهم كانوا يدفعون فيها أغلى المهور إذا كانت حرة أما إن كانت جارية فإنهم كانوا يبذلون في سبيل شرائها المبالغ الطائلة.

إمرَأة جغباء: ضخمة كبيرة.

الخُود: المَرة الحسنة الخلْق مع تمامه (امتلائه).

إمرأة جبْلة: عظيمة الخلْق.

إمرَأة مِجْبال: عظيمة الخلْق.

الخَبَنْذاة: الريّانة الممتلئة.

البخنداة: الناعمة القصَب.

الـخَبنْداة: الناعمة القصَب.

البَخْنداة: الناعمة القصَب. من معاني القصَب: العظام والخَصْر.

إمرأة ممكُورة: مطوية الخلْق سمينته.

إمرأة رضْراضَة: كثيرة اللحم.

المزْمُورة: التي إذا مشت ارتجت من السمن واللين من أثر النعمة.

المزْمَارة: مثلها.

إمرأة ضَمْفَج: التي قد تم خلْقها (امتلاء).

إمرَأة خَنَضْرَف: ضخمة لحيمة كبيرة الثديين.

إمَرأة رَدَاح: بيّنة الرداحة وردحت أي ضخمت.

إمرأة ثِقال: ثَقُلَت أي عَظُمَت.

إمرأة شرْعَبة: طويلة حسنة الجسم.

إمرأة أنَاة: بدينة.

قال أو حية النميري: رمته من أنَاة ربيعة عامر نَؤُوم الضحى.
وكان نوم الضحى بالنسبة للمرأة آية على العزّ والبُلهينة.

جارية حسنة العرية (بالضم والكسر): إذا نزعت عنها ثيابها تكشّف جسدها البالغ الحسن.

جارية حسنة المَعْرى: إذا نزعت عنها ثيابها تَكَشَّف جسدها البالغ الحسن.

جارية حسنة المِعْراة: إذا نزعت عنها ثيابها تَكشَّف جسدها البالغ الحسن.

جارية حسنة الـمَجْرد: إذا نزعت عنها ثيابها تكشَّف جسدها البالغ الحسن.

إمرأة ريّا العظام فخمة المُخدّم: عظامها مليئة (باللحم) وساقاها ويداها (عضُداها) كلها غليظة وكان غلظ الساقين دليلاً

لا يقبل النقض لدى الأعاريب على أن صاحبتهما تمنح متعة مضاعفة ومن هنا يجيء جنونهم بالساقين الخِدَلّجين.

إمرأة زَبِرة: ضخمة.

أثّث المرة أثّا: امتلأ جسمها وقوامها.

إمرأة ثأْدَاء: الكثيرة اللحم البينة السِمَن وكذلك ثَأْدة.

إمرَأة ظاهرة الثآدة: الكثيرة اللحم البيّنة السمن وكذلك ثأْدة.

إمرأة بلْدَح: بادِنة.

إمرأة سلَطْح: عريضة.

إمرَأة بيْذَخ: بَادِن.

إمرأة ديّاصة: ضخمة مُتَرَجْرِجة.

المرَأة الرَبَاب: المرأة التي ركب لحمها على بعض.

إمرأة فَقْحَة: حسنة الخلْق.

إمرَأة أثّاثة: طويلة تامة كثيرة اللحم.

نسوة أثائِث: طويلات تامات كثيرات اللحم.

إمرَأة بيذَخ: بادِن.

إمرأة نَحِيْضَة: لحيمة وعكسها منْحُوضة.

الطباخِيَة: الشابة المكتنزة.

الهَبِيْخة: الجارية الناعمة التارّة الممتلئة.

إمرَأة عَمَدانِيّة: شابة بيّنة الشباب ممتلئة.

امرَأة عضاد (بضم العين وبكسرها): غليظة العضُد.

إمرَأة خُوْدة: سمينة ليّنة العظام.

إمرَأة كبْداء: ضخمة الوسط، بطيئة السير.

إمرأة ملْساء: لان ونعم ملمس بدنها وهذا قريب السمن لان المهزولة يكون بدنها خشناً وعندما تسمن المَرة يصيح الأعراب فرحين قائلين لقد بَظِيَت أو حَظِيَت وبَظِيَت.

إمرأة ذات كعب وارى اللحم: ذات كعب سمين وسِمَن الكعب دليل على غِلَظ الساق وهنا يتحرك هوس اليَعرُبي لأنه في كثير من الأحيان لا يرى من المرأة سوى كعبها وحتى هذا فإن الإسْطِير العربي يحظر رؤيته لأن المرأة كلها عورة.

إمرَأة رُؤدُود: طرية شابة ناعمة الخلْق.

إمرَأة غضّة: طريّة شابة ناعمة الخلْق.

إمرَأة خَوْطانة: طويلة ناعمة.

إمرَأة خَوْطانيّة: طويلة ناعمة.

إمرَأة ليّنة المعاطف: إثْر مشيها يبين سمنها.

إمرَأة ليّنة عَيْطاء: طويلة العنق.

إمرَأة قَفَاخ: حادرة حسنة الخلق.

إمَرأة حَادِرة: سمينة في غلظ.

إمَرأة حَادِرة: مجتمعة الخلْق.

إمرأة جَلْنَبَأة: سمينة.

إمرأة مَقْدُودَة: حسنة التقطيع.

الدَغْنَجة: عظم المَرأة وثقلها مع مشية متقاربة.

امرَأة الضَمْبغَج: الضخمة التامة الخلْق.

امرأة الضمْخة: المَرأة السمينة.

امرَأة الدَحُوج: امرأة عظيمة.

المرأة البَلْزة: الضخمة أو الخفيفة ضده.

وسبق أن قلنا إن اللغة العربية تنفرد بخصيصة فاذّة وهي أن لفظاً ما يعطي المعنى ونقيضه في الوقت نفسه وهذه الخصيصة واحدة من أعاجيبها التي لا تنقضي وقد أدّت إلى كثير من الربْك في فهم العديد من المواقع في الإِسْطَار العربي.

العرْفسيس: الضخمة الشديدة.

السِنْيعة: المَرأة الجميلة الليّنة المفاصل (ولا يكون ذلك إلا من الامتلاء والسمن) اللطيفة العظام.

الكَهْكَاهة: الجارية السمينة.

القلْهَمس: المَرأة السمينة.

المتعاونة: السمينة في اعتدال وساقها ليست حَمْشَة (دقيقة أو نحيلة) ولا خدَلّة (ممتلئة الساق مستديرته) وكان العُربان لا يمقتون شيئاً قدر مقتهم للمرأة حَمْشَة الساقين إذ بخبرتهم الطويلة أدركوا أنها عند التماسّ بها تعجز عن وهب أدنى حظ من التمتيع.

الكَبْكابة: السمينة.

جارية ثَوْهَدَة: سمينة تامة الخلق.

إمرأة ثَهْمَد: عظيمة سمينة.

جارية خبنذاة: تارّة ممتلئة.

إمرأة خِدَال: ممتلئة الأعضاء من اللحم مع دقّة العظام.

إمرأة مُتَرَبّلة: كثيرة اللحم.

إمرأة بيّنة الرَبالة: كثيرة اللحم.

الرُعموم: المرَأة الناعمة (في نظر اليعرُبيين تقترن النعومة بالسمن).

امرَأة بلْعَثة: غليظة مسترخية.

إمرأة حَوْثاء: مليئة البطن مسترخيتها.

إمَرأة بيْدحة: تارّة.

إمَرأة دُمْلُحة: تارة.

مَرة وثيرة: سمينة موافقة للمضاجعة.

الخربضة (بفتح الخاء وبكسرها): الجارية الحديثة السن البيضاء والتارّة.

المَرأة التارّة: الممتلئة الجسم.

إمرأة الملّعِظة: السمينة الطويلة الجسيمة.

المَرأة العَضَنْكَة: اللحيمة المضطربة.

المَرأة الكزْشاء: العظيمة البطن.

إمرأة كنْراء: عظيمة الوسط.

إمرَأة حَوْشبَة: عظيمة البطن أو عظيمة الجنبين ـ وأصل الحَوْشَب: العِجْل (ولد البقرة).

امَرأة خَضْعَبَة: سمينة وقيل ضعيفة.

امرأة خُنضَبة: سمينة.

امرأة حسنة الموقفين: وهما ١: الوجه و ٢: القدم.
أما حسن الوجه فمعروف أما حسن القدم فمعناه تمكّن القدم من وطء الأرض مما يدل على سمنها وثقلها وغلظها. فإذا جمعت بين حسن الموقفين فإن العربي يتدّله في حبها ويجهد جهده لكي يستطيع الوصول إلى الالتساق بها إنه عشق حسّي إذ لا يعرف سواه.

جارية مغصُوبة: حسنة العصْب.

جارية ممْسُودة: حسنة المشد.

جارية مأزومة: حسنة الجدْل.

جارية مجدولة: حسنة الجدْل.

جارية مأزومة: حسنة الأَزْم. وكلها تعني أن جسمها ليس مترهلاً وليس فيه استرخاء.

إمرأة كبْراء: عظيمة الوسط.

جنْحبَت امرأة: سمنت وغَلُظَت

امرَأة سبخلة: سمينة.

امرأة سبحلَلة: سمينة.

امرأة رِبَحلَة: سمينة.

امرأة جَخْلة: سمينة.

امرأة خضْجرة: سمينة.

امرأة بَنَاة اللحم: سمينة ممكُورة.

جارية مَبْنيَّة: سمينة ممكورة.

طَفْلة: رخْصة والطَفْل: البنان الرخْص.

جارية جَسْرة المُخدَّم: ممتلئة الساعدين.

جارية جَسْرة المُخدَّم: ممتلئة الساقيين.

وكان اليعاربة يضربهم الخَبَل وينتابهم الهَوَس ويفقدون عقولهم ويفارقهم اتزانهم وتطيش أحلامهم إذا رزقوا بظعينة (زوجة) أو جارية جسرة المُخدَّمينْ العلوي والسفلي.

جارية خُود: حسنة الخلْق، شابة ناعمة، تخوّد الغصن تَثَنّى.

جارية دَخْدَبة: مكتنزة اللحم.

امرأة دِخْدَبة: مكتنزة اللحم.

امرأة خِدَبّة: ضخمة الخلق.

وفي الإِسْطِير العربي أن الأم (العربية) كانت ترقّص صبيها وتغني له شعراً (ركيكاً) أن يرزقه الله بِجارية خِدَبّة وهكذا يترسب في ذهن الإعرابي وهو طفل صغير أن المرَأة الضخمة الخلْق هي منتهى الأمل وغاية المراد.

امرأة حسنة البَلاَط: حسنة المُتَجَرَّد.

امرَأة عذْل: حازت الصفات المُعْجِبَة وبداهة في مقدمتها السمن.

امرأة عذْلة: مثلها.

امرأة رُغبوبة: بيضاء حسنة الخلْق ناعمة.

امرأة رُعبوب: بيضاء حسنة الخلْق ناعمة.

امرأة رُعبيب: بيضاء حسنة الخلْق ناعمة.

جارية شطْبة: غضة طويلة حسنة الخلْق.

شَغْفَر: جميلة حسنة الخلْق.

امرأة فخمة المُخَدّم: ضخمة موضع الخلّخال أي ضخمة الساقين ويجن جنون العربي عندما يتلقي بمَرة تحوز تلك الصفة.

امرأة حسنة المحَاسِر: إذا حسرت عن بدنها أي كشفته أو كشفت عنه تبين أنه فائق الحسن.

امرأة ذات ذراع غِيْل: ممتلىء شحماً.

امرأة مُعَذَلجَة: ممتلئة ناعمة حسنة الخلْق.

امرأة طيبة الريّا: عطرة الجِرْم.

جوارٍ لَفٍ: شوابل سمانٍ طوالٍ.

امرأة جَلْبَانَة: غليظة مع جفاء ظاهر.

امرأة عجْباء: يُتعجب من حسنها والعَربَة لا يتعجبون إلا من المَرأة السمينة والعامة في صعيد مصر يقولون عَجْبَانة.

امرأة مُتَأَطِّرة: أي تتأطّر (تتثنّى) في مشيتها ولا تفعل ذلك إلا الخُزْبُوعة البَرْهَرَة.

امرأة فتّانة: شديدة الفتنة وكان الأعراب لا تفتنهم إلا المَرة العيْطَمُوس المجْبَال.

امرأة رَحاب: واسعة.

امرأة مُهَبّجَة: مسترخية اللحم.

امرأة خَريع: بيّنة الخَرَاعة وهي الليْن والتثّني مع خلاعة والتثّني يكون مع السمن إذ لا يتصور أن تتثنّى الممصوصة الهزيلة العجْفاء.

المَرأة الرُؤد: طرية الشباب ناعمة البدن.

امرأة حيّاكة: تتبختر في مشيتها وتختال ولا تفعل ذلك إلا البَخَنْدَاة لأنها هي المُعْجِبَة.

امرأة حيْكانة: مثلها.

امرأة حيْكى: مثلها.

نَاسِعَة: طويلة الظهر أو طويلة البطن.

تَرَهْيَأَت المَرأة في مشيتها: تكفأت تكفؤ النخلة الصيدَانة المُوقَرَة بالبلح.

امرأة عيْطَل: طويلة.

امرأة عَثِيْمة: طويلة.

امرأة فعْمَة الساقين: ممتلئتهما، وكان ذلك يورث العربة الخبَال.

امرأة لبّة: لطيفة ناعمة كأنها لُبّ الحب.

الكُدوبة: المرَة البيضاء النقية البياض.

امرأة حسّانة الجسد: جميلة الجسم بلغت في ذلك الغاية.

امرأة خَوْثاء: بينة الخَوَث وهو عِظَم البطن في أعلاه واسترخاء في أسفله.

امرأة حَوْثاء: سمينة.

امرأة خَوثاء: بيّنة الخوث وهو استرخاء البطن والامتلاء.

امرأة مِخْنَاث: مُتَكَسِّرة (ويكون هذا من السمن).

امرأة خَنَاث: مُتَكَسِّرة (ويكون هذا من السمن).

امرأة خَنَث: مُتَكَسِّرة (ويكون هذا من السمن).

جارية خَوْثاء: حَدَثَة ناعمة.

جارية مَحطُومة المتْنَيْن: ملساء (والمَتْن الظهر أو الجانب).

امرأة خَدْلة: ممتلئة الأعضاء من اللحم مع دقة العظام. والجمع نسوان خَدْلات، والمَرأة خَدَلت خِدَالة وخَدْلاً، ويقال لها قوام عَدْل وقصَب خَدْل.

امَرأة الممكُورة: المطوية الخلْق، المستديرة الساقين المُدْمَجة الخلْق.

امرأة بيّنة الوثارة: سمنها واضح وكثرة لحمها ظاهرة.

الخَرِيضَة: الجارية الحديثة السن البيضاء التارّة.

الخَرِيْضَة: مثلها.

امرأة عَنشَط: طويلة.

امرأة عَنشَطَة: طويلة.

ب ـ الأعضاء

لم يكشف اليعربي عن ولهه الشديد بالمرأة الجَرِيمة في وصفها بألوف الصفات من الخارج أو ككل فحسب بل مَوْضَعَ ذلك الولع البالغ في إطلاقه مئات الأسماء والنعوت على أعضاء بدنها ـ وخاصة تلك التي تتصل مباشرة بفعل الالتصاق بها أو على الأقل تُهيّيء وتحضر له، وهما: الثدي والعَجُز وما يتصل به أو يُفضي إليه وإذ أن الحسيّة المفرطة هي التي تؤُزه أزّاً واعراً في علاقته بالمرأة وهي التي تلوّن رؤيته لها للأسباب التي ذكرناها وهي التي هيمنت على قسمات الشكل الخارجي وصبغتها بصبغ السمن والغلظ والامتلاء والإكتناز والمكُورة والثقل والنُفُوج والرَبَالة والارتفاع، والوَثارة، والخُدُولة والتَرارَة والبَدَانة، والبَضَاضة، والدَرَم، والعِظَم، والزبْعَرة

والضخامة، والبَذَخ والبَلَخ، والثآدة والدُحوح، والعَبَل، والكَبْكَبة الخ... فهي ذاتها التي رسمت أحاسيسه الغليظة الجافية على النعوت والأسماء والأفعال التي قذف بها على العضوين المذكورين فجاءت على الشاكلة نفسها ونَسَجَت على النول نفسه والحق أن ذلك أمر بديهي لأن الأعضاء هي التي تُشكّل الجسد والكل هو مجموع الأجزاء ـ وبعد هذه الفرشة السريعة الموجزة يجيىء أوان تقديم دليل الدعوى وبرهان الادعاء.

١ ـ الثديان:

الثدي الذي يحوز إعجاب الأعاريب يتعين أن يكون كبيراً مرتفعاً حَاجِماً كاعباً قائماً مُقْعَداً ناهداً مُفلّكاً الخ...

امَرأة ثدْياء: عظيمة الثديين وضدها امرأة حَبّاء: صغيرتهما.

امرأة خَنْضَرِف: كبيرة الثديين.

امرأة طُرطُبة: ذات ثدي ضخم طُرطُب أي مسترخ.

مَرة وَطبْاء: عظيمة الثديين ـ الوَطَب: الثدي وسِقاء اللبن، شبهوا الثدي بِسِقاء (إناء) اللبن فكلاهما يؤدي الوظيفة عينها بيد أن الثدي مخصص للأطفال الرُضّع ـ وكان اليعارب يُقبلون على الوَطبْاء لأنها حسب تعبيرهم (تشبع الرضيع وتدفىء الضجيع) وكما كانت تعجبهم الناقة الضَرْعاء (ذات الضُروع الكبيرة) كانوا بالمثل تفتنهم الثَدْيَاء الوَطْبَاء وينفرون من الجَبّاء (سبق شرحها) والضَهْياء (لم ينبُت ثدياها).

امرَأة ذات ثدي مُقْعَد: ناهد مرتفع.

امرأة لها ثدي حاجِم: مرتفع وظاهر.

امرأة لها ثدي نَاتِر: يملأ العين، ولعل القارىء الحصيف أدرك

أنهم لم يقولوا يُبْهِج العين أو يَسُرها أو يُمْتِعها ولكنهم قالوا: يملأ العين، كما يملأ الكف إنها لغة الحسّ والحواس التي ناسبت بداوتهم وجَفَاوتهم.

جارية ذات ثدي ناتىء: في أول بُدُوه وظُهُورِه.

جارية كِعاب: ذات ثدي بيّن الكُعُوب أي الاستدارة والتَفَلُّك.

جارية كاعِب: ذات ثدي بَيّن الكعوب أي الإستدارة والتَفَلُّك.

وكَعُب ثَدْيها: استدار ونَهَد وتفلّك. والكعب هو الثدي ذاته.

جاريةٌ مُكْعِب: ذات ثدي مرتفع مستدير.

جارية ذات ثدي مستدير: مُرتفع كَاعِب.

جارية ذات ثدي مرتفع: مُقْعَد ناهد.

جارية ذات ثدي ناهد: ظاهر مرتفع.

نَفَج ثدي المَرة قميصها: رفَعَه من شدة كُعُوبه وكِبَر حجمه.

فإذا كانت حقيبتها لشدة ثقلها تنفُج قميصا من الخلف فهي ذات النَفْجَتَيْن - ومن يظفر منهم بواحدة من على هذه الشاكلة فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ويحسده عليها خصومه وشانؤوه ويغظبه أصدقاؤه وأحبابه ويعتبر نفسه سعيد السعداء، لأن الأعاريب يعيشون بحواسّهم ولهم هدف وحيد هو إمتاع تلك الحواس.

الجارية أول ما يبدأ ثديها ينبُت (يطْلُع) يقول أحفاد يشْحُب إنها أَرْكَسَت فإذا اجتمع وضخم فقد نَهَد. ويُجْمَع الثدي على أثْد وثُدِيّ.

فَلَك ثدي الجارية: صار مستديراً كَالفَلَكَة.

تَفَلّك ثدي الجارية: صار مستديراً كَالفَلَكَة.

إستفلَك ثدي الجارية: صار مستديراً كَالفَلَكة.

ثدي مُقْعَد: ناهد يملأ الكف.

وسبق أن قرأنا: ناهد يملأ العين. إنها لغة الامتلاء: مرة للعين وأخرى للكف ولا عجب في ذلك فهي لغة الحواس.

تَدَمْلَكَ ثدي الجارية: فَلَك ونَهَد.

مَرَة ضَرْعاء: عظيمة الضَرْع أي الثدي.

مَرة ضَرِيْعَة: مثلها.

مَرة ضَرِيْع: مثلها.

والضَرْع هو الإسم الذي كانوا يطلقونه على خَلْف الناقة.

مَرة حَضُون: أحد ثدييها أكبر من الآخر.

مَرة فتْخاء: ارتفعت أخلافها قِبَل بطنها.

والخَلِيفَان ما تحت الإِبطَيْن وهذا أمر مستملح. ولكن لم غدا كذلك؟ لأن العَرَبة يحبون الإرتفاع والامتلاء والغلظ والسمن والثقل في كل أعضاء المرأة بلا استثناء حتى العيون هاموا بالوسيعة النجلاء وحثوا نسوانهم على وضع الكحل لماذا؟ لأن الكحل يوهم بسعة العين وكبر حجمها، إذن هم حتى حيال هذا العضو الرقيق المنقطع الصلة بفعل التماس بالمرأة تطلبوا أن يكون واسعاً إما طبيعة أو صناعة.

أرأيت إلى أي مدى بلغت الحِسِّيَة بأولئك العُرْبان بعدها نعود لسياق القول:

مرة خَطْلاء الثديين: فيهما اضطراب.

ومع ذلك فقد كان الأعرابي يفضل الخَطْلاء (الثديين) على الضَهْياء (المحرومة من الثديين) لأن الأولى تمنح متعة قد يشوبها

اضطراب أما الأخرى فإنها لا تمنح أي قدر منها وأنى لها ذلك وصدرها مَسِيْح.

مرة حسنة اللعوة (بفتح اللام وضمها): سواد حول حلمة الثدي وكان الأعراب يستجيدون ذلك وقد أرجعناه فيما سبق إلى أن هذه اللعوة تذكرهم بضَرْع الناقة معشوقتهم الأثيرة.

وإذ أن إعجاب العربي بِالثدي كان خفيضاً نسبياً فإن ما ورد بشأنه قليل نسبياً.

٢ ـ العجيزة وتوابعها:

رَكّز أبناء يعْرُب اهتمامهم على الجزء الأسفل من جسد المرأة وحظيت بنصيب الأسد من هذا الاهتمان ومن بعدها توابعها وما يفضي إليها.

كانت المَرة ذات الحقيبة الثقيلة ـ لديهم ـ ولا زالت عند خَلَفِهم المبارك تحرك فيهم الشَبَق وتثير الغُلْمة ومن شدة تولههم بهذا العضو فقد أطلقوا عليه وعلى صاحبته عشرات الأسماء والصفات مما يقطع بأنه كان المَعْلم الأول من معالم الجمال عندهم وشارة الحسن وآية القسامة وعنوان الوسامة حتى أنه من اليسير علينا أن نقطع بأن المرأة الرشحاء المشحاء أو حتى متوسطة العَجُز لا يلتفتون إليها مهما كان سهمها من الوضاءة والبهاء والملاحة... وبداهة أن مرد ذلك إلى غلبة الحِسيّة عليهم الناجمة عن هيمنة البداوة وتلسط الجفاوة وسيادة القساوة... وكلها النتاج الطبيعي لانعدام الحضارة والبعد عن التمدن... وما ضمته القواميس والمعاجم في هذا شأن يعد بالألوف دعك مما جاء في قصائد شعرائهم جاهليين ومخضرمين ومن جاء بعدهم ـ ومن ثم سوف نجتزىء بالنَزْر اليسير مما ورد في

هذا النطاق لطرح البرهان وتثبيت اليقين على ما نقول:

امرأة عجْزاء: ثقيلة الأرداف ولا يقال للرجل أَعْجَز.

امرأة رَدَاح: عظيمة العجز ورَدَحت عجيزة المرَة: ثقُلت وعظُمت.

امرأة بَوْصاء: ثقيلة العجيزة ويقال: اشترى جارية كالقلوص عريضة البوص.

امرأة جَزْلَة: ذات أرداف ـ مرة جزلاء: مثلها.

امرأة بزخاء: تخرج (تبرز) عجيزتها عند المشي تلفت أنظار الأعاريب إليها وتفتنهم.

امرأة هزكُولة: عظيمة العجيزة والأوراك معاً أي أنها جمعت بين الحسنيين وهذا منتهى أمل العرب.

امرأة سَتْهاء: عظيمة العجيزة (نسبة إلى الإسْت أي المؤخرة).

امرأة وَثِيرَة: فهي السمينة الموافقة للمضاجعة وكان العُربان يطير عقلهم إذا صادفوا من كانت كذلك.

امرأة ثقيلة الحقيبة: عظيمة العَجُز.

امرأة نُفج الحقيبة: ضخمة الأرداف والمآكم وكُني عن العجيزة بالحقيبة لامتلائها واكتنازها وأصل الحَقب: الحبس والمنع والصَرّ.

أما النَفْج فهو الخروج والارتفاع والكثرة ـ أي أن عجيزتها ارتفعت وخرجت...

(وسبق أن تكلمنا عن ذات النَفْجتيْن المرأة ذات الثدي المُقْعَد الكاعب والحقيبة الثقيلة وكيف أنها أروع ما كان يشتهيه اليعاربة بل حتى الآن ا.هـ).

امرأة ثِقَال: عجيزتها عظيمة.

امرأة بيّنة الثِقْل: مثلها.

وضدها الرسْحاء المسْحاء أي عديمة العجز وكانت ولا زالت حتى الآن تفوز بالجائزة الكبرى في مسابقة كراهية العُزْبان.

امرأة ذَلْخاء: عجزاء.

إمرأة ذَلِخة: عجْزاء.

امرأة ذِلاخ: عجزاء.

امرأة وراء: ضخمة غليظة الألواح كبيرة الردفين وبالجملة فإن الجزء الخلفي منها هو الذي يشد انتباه اليعاريب وإطلاق وصف وراء وصف عليها من باب إطلاق الخاص على العام.

امرأة جزْلاء: ذات أرداف ثقال.

امرأة عجيزتها سابغة: ضخمة.

امرأة عجيزتها سابغة: ذات أَليتيْن كبيرتين.

امرأة رَكْرَاكَة: عظيمة العَجُز والفخذين.

امرأة ثقيلة القَطَاة: ثقيلة العجيزة.

وأصل القَطَاة: مؤخر الفرس التي يركبها الرديف ويقال لها مقْعَد الرديف.

فكأن عجيزة المرأة بلغت من الثقل حتى أن شخصاً يمكنه أن يجلس عليها وليس في هذا مبالغة بل هو يتناسق مع المقياس الحسي للجمال لدى العرب وسبق أن سطرنا حكاية المرأة العربية التي قاست عجيزتها بحبل وهي حكاية مشهورة مثبوتة في كتب الإسطار العربي.

امرأة راجِح: كبيرة الأرداف.

امرأة رَجَاح: كبيرة الأرداف.

ويقال:

نساء راجحات التلَى: عظيمات الأعجاز، كبيرات الأرداف.

ونساء راجحات التوالي: مثلهن.

وعبر عن الأرداف بالتُلى مرّة والتوالي أخرى لأنها تجيء تالية أي تابعة لجسد المرأة مما يشي بأنها كأنها إنسان آخر غيرها من شدة ثقلها وسطرنا فيما سبق أن إحدى معشوقات عمر بن أبي ربيعة (شاعر الغزل) كانت عجيزتها من ضخامتها يُخيّل للناظر إليها أنها شخص آخر يتبعها ويمشي في إثرها وليس في ذلك مغالاة فإن النظرة الحسّية لدى العربان تسيدت على نفوسهم فجعلتهم يزنون محاسن المرأة بميزان الضخامة والامتلاء.. الخ ومن ثم كانت النسوان تسعى إلى تسمين أنفسهن وتضخيم أعضاء أجسادهن بالطرق كافة.

امرأة ذات رَوانِف: عجزاء ـ هي أعلى الأليتين.

نساء رُجح الأكفال: أعجازهن ثقيلة.

ناءت بالمرأة حقيبتها أو ناءت هي بحقيبتها: نهضت بعجيزتها مثقلة.

امرأة مؤكّمة: عظيمة المأكمتيْن.

والمأْكَمتان اللحمتان الوثيرتان من العَجُز ـ والأَكَمة هي التل ـ أي كأن مأْكمتيها أشبه بالتل لضخامتها.

امرَأة رَبْلَة ضخمة الرَّبلات والرَّبلة باطن الفخذ.

امرأة رَبِلَة: مثلها.

تَخَاجَأت المرأة: أبرزت مؤخرتها إلى الوراء لتُعجب الرجال.

امرأة ذات لَفَف بيّن: كثيرة لحم الفخذين بصورة واضحة.

أَكَمت المرأة مؤاكمة: عظمت مأكمتاها (سبق شرحها).

قال عمرو بن كلثوم (شاعر جاهلي):

ومأكمة يضيق الباب عنها
وكَشْحاً قد جُننت به جُنوناً

والكَشْح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.

وجمع مأْكمة: مآكم ـ وتطلق المأْكمة على العَجُز من باب إطلاق الخاص على العام.

وقال عمر بن أبي ربيعة (شاعر إسلامي):

إذا ما دعت أترابها فاكتنفنها
تمايلن أو مالت بهن المآكم

أي مالت أعجازهن بهن لثقلها.

فهنا شاعر جاهلي وآخر إسلامي يهيمان بالنسوان ذوات الحقائب العظيمة فأولهما يقول إن محبوبته يضيق الباب عنها لضخامتها أما الآخر فإن من معشوقاته من يدفعهن ثقل عجيزاتهن إلى التمايل.

الأمر الذي يقطع بأن أرداف المرأة المكتنزة احتلت في وجدان العربي مكاناً وسيعاً ومكانة وثيقة.

امرأة ذات كَفَل راجح: عجز ثقيل.

امرأة لصّاء: ملتزقة الفخذين، لا فُرجة بينهما (وهذا من السمن).

امرأة رمْصة: تَحُكّ فخذها الفخذ الأخرى (وهذا من السمن).

امرأة لفّاء: ضخمة الفخذين ـ واللّفاء أيضاً الفخذ الضخمة.

المرأة العَضَنَك: المرأة اللفاء التي ضاق ملتقى فخذيها مع ترارتها.

امرأة حيّاكة ضَيّاكة: مُتفحِّجَة لسمن فخذيها ـ التفحّج هو التفريج بين الرجلين.

امرأة خَبَنْداة: ثقيلة الوركين.

والخبنْداة لثقل وركيها وثقل ردفيها إذا مشت تحركت أليّتاها يقال عندئذٍ إنها زَوْزَكت فإذا رأى الأعرابي امرأة تفعل ذلك يطير لبه ويفارقه صوابه.

أثّت المرأة: عظُمت عجيزتها وضخُمت.

امرأة ذات فخذ ثَِد: ممتلىء.

ولشدة كراهية بني يعْرب بن يشْب للمرأة التي لا عجيزة لها أو حتى معتدلتها فإنهم قد أطلقوا عليها عدة نعوت تدلّ على الكم الهائل مما يحتبس في صدورهم من شنآن لها فهي: عَصُوب، رشْحاء، زلاّء، مسْحاء، رضْعاء، مضْواء، مِزلاق، مِزلاج، مِنْداص، ممصومة، قفْرة، معروقة، قضِيفة، عشّة، مدْشاء، كَرْواء ثطّاء...

كما أنها من ناحية أخرى تدل على الاستهزاء والسخرية والتهكم ولهذا كانت الأعرابية يصيبها الخوف ويركبها الرعب وينتابها الفزع ويطغى عليها الهول... إذا اكتشفت أن عجيزتها ليست بالحجم المطلوب لدى الرجال (اليعاربة) ولا تقاس بالحبل لذلك فهي تعمد إلى تكبيرها وتضخيمها الذي يأتي بطريق التبَع لسمن جسمها وذلك بتناول بعض الأطعمة الخاصة (المُسَمِّنة) ومنها كما ورد في الإسطير العربي القثّاء مع الرُطَب فإذا لم تفلح في تسمينها وبالتالي تكبير عجزها فإنها تلجأ إلى الطريقة الصناعية

وهي أن تضع على مؤخرتها الصغيرة أو المسيحة عظّامة تضخم بها عجيزتها لتبدو ثقيلة تعجب العربان وتسمى تلك **العظّامة**: زَنْبَحَة ومِزْفَقَة ومِصْدَعَة...

ورغم أن هذا غش وتدليس بيد أنه قد يُلتمس لها العذر ولكنها مهما كانت حُلوة مُلاّحة بهيّة حسينة وضيئة لبيقة لبيبة ظريفة مِعْطار آبسة عَرُوبة شنْبَاء (ذات فم طيّب الرائحة) ضحوك لَعَّة (مليحة عفيفة) عاتِكة (يفوح من أردافها العطر) برْجاء (وسيعة العينين مع حسن ظاهر منهما) نجْلاء... الخ. فإن كل هذه الصفات الرائعة لا تشفع لها إن كانت رسحاء مصواء زلاّء أي مفتقرة إلى العجيزة الثقيلة إنها النظرة الحسّية حتى يمكن أن يُقال إن:

أرداف المرأة هي المقياس الوحيد لجمالها وإن عجيزتها هي جواز المرور (الباسبورت) لها لتحوز رضى العُربان وتذكّر هنا بما قلناه من تأثير الناقة والحِجْر (الفرسة) خاصة على نظرة الأعرابي إلى المرأة فكما كانت الناقة القُذْعَمَلة الجبّار القفْخ المُجَلْحَبَة العَرَفْسِيس الجِلْس السُرحوبة الخِلْب الجخلاء الضَرِيع... والفرسة الشَطْبَة الرؤق الترّ السُرعوف المخدّم عبلة الشَوَى المقّاء... هي التي تفوز برضاه وتحظى بإعجابه.

كذلك استحسن المرأة السمينة الجِرْمة البرْهَرَة العجزاء السلْطَح البيْدَح الزَبيرَة... الخ.

كأنما هي عملية (تناسخ أجساد) كما قلنا إن صحّ هذا التعبير ولا أدلّ على ذلك من أن كثيراً من الأسماء والأوصاف والنعوت التي أطلقها على الناقة والحِجر (الفرسة) أعارها المرأة بحروفها وإيحاءاتها النفسية.

٣

الحركة العنيفة أو الفعل الجافي

أوشكت أن أكتب (الفعل الجفو) كما تقول الرجل العَذْل (الممعن في العدل) ولكنني توقعت أن يلقى ذلك اعتراضاً فعدلت إلى الصفة المعتادة.

ومبادرتي إلى وصف الفعل بالجفو مردها إلى أن الفعل كما سوف يبين بعد قليل أنه جفو خالص لا شائبة فيه. بعد هذا القيدام السريع نشرع في الولوج إلى الباب المبحث: التقاء الرجل بالمرأة أو مسه إياها من البديهي اتسامه باللطف والمودة والمحبة والإعزاز وكل هذه المجموعة من العواطف الرقيقة فهو قبل أن يكون التحاماً جسدياً فهو شأن عاطفي تبعث عليه المشاعر السامية... كل هذا في المجتمعات المتحضرة والبيئات المتمدنية أما في المجتمع المتبدية فلا يتعدى مربع الحواس ولا يكون الغرض منه إلا إشباع الغريزة وإطفاء الشهوة... وذلك كان بشأن مجتمع الأعاريب الذين خلّفوا لنا اللغة التي حفلت بالألفاظ والكلمات التي أثبتت أنه كان كذلك في نظر الفاعلين الذين كانوا يتداولونها.

وهناك أمر آخر لا يقل أهمية عن البداوة وانعدام التحضر والافتقار إلى التمدن وهو أن الغزو والكرّ والطعان والنزال والمبارزة والحرابة والمقاتلة والمصارعة من الطقوس المعاشية المتداولة لدى العربة لأسباب ليس هنا موضع ذكرها ـ إذن الطعن والضرب والشق والقطع واللطم والدكّ والدوس والصرع والقشْر والسلْق والرطْم والمَغط والخرط الخ....

بالنسبة إليهم أفعال معتادة يمارسونها بمنتهى السهولة بصفة دورية منتظمة أي أنها مَعْلَم طبيعي من معالم معيشتهم وليست استثنائية أو شاذة أو فاذة قد تحدث في العمل كله مرتين أو مرّة أو لا تحدث على الإطلاق ولهذا فإن الواحد منهم عندما يختلي بالمرأة زوجة أو جارية لا تنفصل عن وجدانه ولا تفارق نفسيته ولا تباين ذاكرته تلك الممارسات التي كان يقوم بها إبان الغزو أو في ميدان القتال وهكذا اجتمعت في العربي سمتان:

الأولى: البداوة ومفاصلة الحضارة ومخاصمة المدنية.

والأخرى: اعتياده العراك والنزال والتبارز ومن هنا جاءت الأفعال والصفات والأسماء في دائرة مسّ المرأة تنبيء عن أنها كانت في نظرة نوعاً من المصارعة والمنازلة والمبارزة واتسمت بالعنف والشراسة والقساوة والعدوانية...

وفي مذهبنا أن تلك محصلة بديهية وأنها لو أتت على خلافها لكان ذلك مما يجافي المنطق وسنن الاجتماع. وهذه أمثلة سريعة عما كان يقوله العربي عندما يمسّ مرَته لا فرق بين أن تكون زوجته الحرة أو سُريّته المخصوصة أو محظيته الأثيرة أو جاريته المملوكة أو معشوقته المفضلة (ونكرر ما قلناه أنه عشق حسّي.اهـ.) أو غانية اختلى بها مرّة عابرة:

حَطَأَ: وحَطَأَة صرعه وضرب ظهره بيد مبسوطة.

حَزَأَ: وحَزَأَ الإبل جمعها وساقها.

وسَلَق: وسَلَق الشيء غلاه في النار.

وَجَأَ: أي طعن.

افْتَرَش وفَرَش.

افْتَرَشَ وفَرَشَ: وافْتَرَشَ وَفَرَشَ غريمه غلبه وصرعه.

حَشَأَ: حَشَأَه بالسيف: أصابه.

حَفَر: والحفْر معروف.

حَرَث: والحرْث تقليب الأرض وتثويرها.

عَصَدَ: وعَصَدَه: لواه وأكرهه على الأمر.

زَكَأَ: وزَكَأَه مائة سوط أي جلده مائة جلدة.

مَلَث: والمَلْثَة: الضرب الخفيف باليد.

شَطَأَ: وشَطَأَ الرجل فلاناً قهره وغلبه.

نَجَرَ: والنَجْر نوع من الضرب باليد.

دَحَم: دَحَب: والدَحْم والدَحْب: الدفع.

دَحّ: والدَحّ الدفع في القفا.

ذَحّ: والذَحّ: الضرب ـ الشق ـ الدق.

شَرَحَ: وشَرَح الرجل الشيء: كشفه ثم قطّعه.

حَفَزَ: وحفَزَ عدوه: دفعه بالرمح ثم طعنه به.

دكّ: ودكّ الشي: دقّه بشدة وقوة.

زَعَبَ: وأصل الزَعْب: الدَفْع.

زَكَبَ: وأصل الزكْب: المَلْء وزَكَب الإناء زَكباً وزُكوباً: ملأه عن آخره.

زَكَتَ: مثله.

مَلَخَ: ومَلَخ سيفه: استله من غمده ومَلَخ الشيء: قبضه وأوسعه عضاً.

إمْتَلَخَ: مثله.

مَسَحَ: والمشح معروف.

دَاسَ ودَاكَ: وطىء على الشيء بشدة.

فَشَغَ: والفشْغ هو العضّ والإفْتراع.

نَخَبَ: ونَخَب فلان فلاناً: عضّه ونَخَب شيئاً: انتزعه.

دَسَرَ: ودَرسَ عدوه برمحه: طعنه به طعناً مكيناً.

دَرَسَ: طريق مدروس: معبّد.

فَسَخَ: أصل الفَسْخ الطرْح.

لَعَجَ: ولَعَج النار في الحَطَب ليحترق.

هَرَجَ: وهَرَج الفرس: عدا مسرعاً وهرَجَ الرجل الباب: فتحه على مصراعيه.

نَجَرَ: ونَجَر العود قشّره وسواه.

قَفَشَ: وقَفَشَه: ضربه بالعصا أو بالسيف.

ضَفَرَ: والضَفْر هو العَدْو والوثب والقفز أو هو الضرب باليد والرجل.

طَبَزَ: وأصل الطبْز المَلْء لكل شيء.

مَعَطَ: ومَعَطَ الرجل سيفه: سلّه من غمده.

رَضَعَ: والرضع: الضرب باليد وكذا الطعن الشديد.

دَهَكَ: ودَهَكَ الرجل الأرض: وطئها بقوة.

رَهِكَ: مثله.

هَكَّ: مثله.

رَكَّ: ركّ الشيء طرح بعضه على بعض أو غَمَزَه بيده ليعرف حجمه.

رَدَعَ: ورَدَع الرجل السهم: ضرب بنصله الأرض ليثبت في الرُعْظ وهو الثقب الذي يدخل فيه.

نَشَلَ: ونشل الشيء: أسرع نزعه.

دَحَم: والرجل دَحَم غريمه: دفعه دفعاً مزعجاً.

دَخَمَ: مثله.

رَطَم: رَطَم الرجل خصيمه: أوصله في شيء لا يخرج منه أبداً.

مَحَن: مَحَن الرجل الأديم: قشّره.

ذَلَغَ: وذَلِغ الرجل طعامه: التهمه فأتى على جميعه.

ذَعَّ: (مثله).

حظّ: حظّ فلان فلاناً طرده.

شَلَقَ: وشَلَقَ الرجل غريمه: ضربه بسوطه.

خَرَطَ: والرجل خَرَط الشجرة: انتزع ورقها والرجل خَرَط الدلْو في البئر: أرسله حتى قعْره والرجل خَرَط العنقود: ملأ به فاه (فمه).

خَفَق: والخفْق الضرب بِالدرّة (العصا القصيرة).

دَاكَ: دَاكَ القوم وقعوا في دُوكة أي في شر واختلاط.

كَاسَ: كَوْس الرجل الشيء تكويسا قَلَبه ظهراً لبطن.

أَكاسَ: مثله.

مَعَسَ: وأصل المعْس: الدلْك بشدة وقوة مع الاستمرار مدة (حتى ينْعَم الأديم.

خَوّش: وأصل الخوْش الطعن أو الحثْي الجمع في الوعاء.

زَعَر: وأصل الزَعَارة الشراسة.

قَحَطر: قَحَطر الرجل قوسه: وترها.

أَزّ: وأصل الأَزْ: الحلب الشديد البالغ الشدة.

إِنْتَزَ: مثله مع السرعة والاستعجال.

عَزَجّ: والفلاح عَزَج الأرض بِالمسحاة: قلَّبها.

كَشَح: كَشَحَ عدوه طعنه في كَشْحه والمِكْشاح: الفأس لأنه يكشح الأرض.

دَحّ: أصل الدَحّ: الدَسّ في القفاز.

دَعّ: مثله.

مَشَق: مَشَق الكتان: جذبه في ممشقة حتى يخلص خالصه وتبقى مِشَاقَتُه.

زَخْزَخَ: زَخّ فلان فلاناً: أوقعه في وهْدة.

وَهَثَ: وأصل الوهْث الإنهماك في الشيء تماماً.

هَثْهَثَ: وأصل الهَثْهَثَة: الاختلاط والظلم.

خَجْخَجَ: وأصل الخَجْخَجَة إناخة البعير مع السرعة.

مَعَجَ: وأصل المَعْج: الاضطراب والمَعْجَة: العنفوان.

عَفَجَ: وأصل العفْج: الضرب.

لَتَح: ولَتَحه ضرب جسده أو وجهه بالحصى فأثر فيه.

جَلَخ: وجَلَخ السيل الوادي: ملأه كله ولم يترك فيه شبرا وجَلَخ الشيء: مدّه وجَلَخ السيف: انتضاه أخرجه من غِمْده.

نَجَح: النَجْح: صوت السيل في سند الوادي: خضخضة الوادي.

شَطَأَ: وشَطَأَ الرجل خصيمه: قهره.

مَأس: ومسّه بالسوط جلده.

ظَامَ: والظَأْم: الجلَبَة.

مَلَقَ: ومَلَقَ الثوب: غسله ومَلَقَ الفصيل أمه: رضعها.

جَلَخ: وجَلَخ فلاناً بسيفه: بَضَع من لحمه بُضْعَة.

قَزَب: والقَزْب: الصلابة والشدة.

نَخَب: وأصل النَخْب: العضّ والنَزْع.

دَسَم: ودسم المطر الأرض: بلها قليلاً.

ضَفَن: وضَفَن البعير برجله: خَبَط، ضَفَن فلان فلاناً: ضرب على عَجُزه برجله، وضَفَن فلان فلاناً بالأولى: ضربه بها.

مَشَن: أصل المشْن الضرب بالسيف ضرباً يقشّر الجلد.

ونكتفي بهذه الأمثلة وهناك المئات بل الألوف غيرها والذي لا مشاحة فيه أن وجود هذا العدد الهائل يقطع بأن الأعاريب كانوا يُولُون هذه العملية أهمية تفوق الوصف وذلك بديهي إذ لم يكن لديهم أي أنشطة ثقافية أو فكرية أو أدبية أو موسيقية أو فنية يفرغون فيها طاقاتهم سواها علاوة على جفاف الجو وطلاقة

الطقس وانعدام العمل الذي يستهلك الوقت أو حتى الذي يشغل ساعات طوالاً في اليوم مع ملاحظة أنهم رجالاً ونساء في الإقبال على طقس التماس والتلاقي سواء بل ربما تكون النسوان أشد عَرَامة لأن ساعات الفراغ لديهن أكثر.

ومن جانب آخر فلعل القارىء آمن وصدق بأن اليعاربة كانوا يعدّون طقس المسّ فرعاً من شجرة العراك والنزال والطعان كما استبان بوضوح لا لبس فيه من شروح معاني الألفاظ التي عبرت عنه.

وبعد:

فتلك كانت جولة على قدر من الطول النسبي في أغوار نفسية العَرَبة من زاوية نظرتهم إلى المرأة وبالأخص بدنها وإن شئت الدقة جسدها لأن البدن لا يشمل الأطراف وعبر تلك النظرة المصوبة إلى الجسد نستطيع كما قلنا في المفتتح أن نتحسس موقفهم منها من كافة أقطارها.

وهذا أمر في اتقادنا له قدر ملحوظ من الأهمية لأن الكشف عن مكان المرأة ومكانتها في عقلهم الباطن وفي أعماق لا شعورهم سوف يساعد على تقديم عدد من الحلول التي تعاني منها مجتمعاتنا خاصة تلك التي ابتليت (الابتلاء هو الامتحان واختبار.اهـ.) بالغزو العربي الاستيطاني منذ أربعة عشر قرناً خاصة البلاد ذات الحضارات العريقة:

مصر (الحضارة المصرية القديمة)، الشام (الفينيقية) العراق (الآشورية والبابلية).

لأن من عجائب التاريخ وألغازه أن شعباً أمياً جاهلياً بدائياً

استطاع أن يقهر شعوباً عريقة في الحضارة والمدنية ويستعمر أرضها ويكسح خيراتها ويستعبد رجالها ويسبي نسوانها ويحولهن إلى جوارٍ وملك يمين وكل ذلك في كوم حسب التعبير العاميّ المصري البليغ وأن يفرض عليها ثقافته ولغته وتقاليده وعاداته وأعرافه... كوم آخر وعن طريق هذه اللغة وعبر قنواتها تغيرت أفكار تلك الشعوب المتحضرة وتبدلت مفاهيمهم ومنها النظرة إلى المرأة والموقف منها فبعد أن كانت نظرة تلك الشعوب إلى المرأة نظرة راقية وموقفهم منها موقف متحضر تحولت إلى هذا الموقف الحسيّ المتدني الذي تكشف عنه هذه الحَفْرِيّة اللغوية والتي نرجو أن تكون بداية لدراسات جادة في تبيين ما اقترفه إسْطَار اليعاربة في كثير من المجالات. فبعد أن كانت (المرأة هي شريكة الرجل في المجتمع المصري القديم)[1] وبعد أن (كانت مصر في نطاق العصور القديمة البلد الوحيد الذي خصص فعلاً للمرأة وضعاً قانونياً يتساوى مع الرجل. ويبدو هذا واضحاً دون أي غموض طوال فترة حكم الدولة القديمة كلها ويتألق بوضوح ساطع خلال الدولة الحديثة)[2] تحولت إلى ناقة وفرسة وتابعة خاضعة للرجل، إذا أمرها أطاعته وإن دعاها أجابته في أي وقت وأي مكان وإلا فعليها اللعنة ولها بعض المال الخ....

وقد رأينا أن أبناء يعرب يصفون أسمى علاقة بين الرجل والمرأة بِالهَرج والكَشْح والقَمْط والقَشْر والدّح الخ... في حين أنها كانت

---

(١) **دور المرأة في المجتمع المصري القديم** د. عبد الحليم نور الدوين ص١٦٣ الطبعة الأولى نشرة المجلد الأعلى للآثار ـ وزارة الثقافة ـ مصر.

(٢) **المرأة الفرعونية** تأليف: كريستيان ديروش نوبلكور ـ ترجمة فاطمة عبد الله محمود ـ مراجعة د. محمود ماهر طه ـ ص ١٨٣ ـ العدد ١٩٣ من مشروع الألف كتاب الثاني ـ الطبعة الأولى ١٩٩٥ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر.

في مصر القديمة (في الأغاني الغرامية ينادي الشباب محبوبته الغالية أختي وتنادي الفتاة حبيبها يا أخي... وبعد الزواج يستمر الرجل ينادي زوجه سونيت بمعنى أخت وليس هيميت بمعنى زوجة وقد استقر هذا النظام في نهاية الأسرة الثامنة عشرة ولا نعرف متى انتهى ولكنه استمر بالتأكيد طوال عهد الامبراطورية الحديثة)[٣] إنه بكل بساطة الفرق بين الحضارة بل أعرق حضارة عرفها التاريخ وبين البداوة.

والمرأة نصف المجتمع وحل مشكلاتها حل لنصف أزماته والأمر المؤكد أن وضع هذه الحفرية اللغوية باستخراجها من بطون القواميس أمام الأبصار والبصائر ليدرسها من يحمل هموم وطنه على كتفيه ويتفرّس فيها ويتملّى في جزئياتها سوف يدرك على الفور لا على عجلٍ لا على رَيْث أن صورة المرأة ووضعها ومكانتها التي رسّخها في الأذهان وسرّبها إلى اللاشعور ورسّبها في الوجدان إسْطِيْر الناقة والحِجْر (الفرسة) والصحراء يتعين بطريق الحتم واللزوم ويتغير وهذا أمر لا سُوام (مساومة) فيه ولا مزايدة عليه لكي تتحرر المرأة من كل القيود التي تكبلها منذ قرون.

ونحن لا نزعم أن حل مشاكل المرأة سوف ينهي أزمات المجتمع بأسرها فهذا وهم كبير لا نقع فيه بيد أن تحرير المرأة سوف يعطي دفعة قوية للمجتمع ليخرجه من الوَهْدة التي يتردّى فيها فإن نجحت هذه الحفرية في القيام بذلك فإنها تكون قد أدت دورها الذي رسمناه لها.

(٣) **الحياة اليومية في مصر القديمة** بير مونتيه ـ ترجمة عزيز وقس منصور ص ٦٥ طبعة ١٩٩٧ ـ مكتبة الأسرة مهرجان القرأة للجميع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الخاتمة

في الإسطير العربي: للرجال هيمنة على النسوان وإذا رأت المرأة واقعة فلا تستطيع أن تقصّها كما حدثت لأنها تفتقر إلى الملَكة العقلية التي تؤهلها لذلك وضربة لازب أن تؤيدها أخرى ولها جزء من المال. ولا تسافر وحدها وأفضل مكان لها دارها بل عُقْر دارها هو الخِدْر ومن ثم فهي المُخَدَّرَة أي المُخَبَّأة المُخَزَّنَة وكلها عورة حتى صوتها وهي أسيرة (عَوَان) عند الزوج وعليها الطاعة الشاملة الكاملة ولو أمرها ألا تغادر المنزل حتى لزيارة أبويها فيجب أن تمتثل وإلا عُدَّت عاصية كالعبد إذا خالف فهو أبِق ولا تجلس مع أجنبي منفردة وخير لها ألا يراها رجل ولا ترى رجلاً وإذا خرجت من دارها فلا تُظْهِر سوى عينيها وأن تكون تَفِلَة (غير متعطرة) لأن الطِيْب الذي يفوح من أردانها يحرك رغبة الرجال.

ولا حاجة بها إلى التعليم إلا النزْر اليسير ـ وعليها أن تظل دائماً في هيأة سارة بهيجة لأن زوجها يتعين أن يراها كذلك أي كلما وقع بصره الكريم عليها أفرحته وأسعدته وإذا دعاها لقضاء وطره فحتم لازم أن تلّبي في أي وقت وفي أي موضع وإذا لم تفعل فهي

ملعونة من الصباح إلى المساء أو من المساء إلى الصباح ـ فضلاً عن أن له حق هجرها فإذا لم ينفع الهجر معها فمن حقه أن يضربها ولا يُسأَل فيم ضربها!!! وهو يستطيع أن يفكّ عقدة النكاح في أي وقت حتى ولو بعد عِشْرة دامت عقوداً دون رقيب أو حسيب ومن حقه أن يتزوج عليها أكثر من واحدة ـ ولا يحق لها أن تعمل فعملها سوف يعطّل الوظائف الرئيسة المنوطة بها وهي:

أ ـ تقديم المتعة للزوج.

ب ـ إنجاب الذرية الميمونة له.

ج ـ خدمته وأولاده بل وعبيده.

من حق البعل أن ينقلها معه لأي بلد يشاء دون أدنى اعتراض منها أو من أهلها ـ الزوج وهو يتولى الإنفاق عليها يقوم بشراء مستلزماتها حتى ملابسها الداخلية إذ هو غير ملزم بإعطائها نقوداً لتشتري بها حاجياتها.

محظور عليها أن تستقبل أي رجل في غياب زوجها خلاف والدها وإخوتها حتى ولو كان ابن عمها أو ابن خالها الخ... حتى قبل الدخول وليس مطلوباً منه تقديم مبرر مقبول أو غير مقبول.

ولا يحق للمرأة أن تزوّج نفسها وإن كانت بالغة عاقلة رشيدة بل وثيّباً ولا يصح عقد نكاحها إلا بولّي من أهلها من العصبات وقرأنا في الإسْطار العربي عن زوجة تولّي عقد زواجها ابنها الصغير وأن على المرأة أن تَخْتَتِن أو تُخْتَتَنْ وعللوا ذلك أن القَلْفَاء مُغْتَلِمَة شديدة الشهوة تتطلع دوماً إلى المباضعة ويرجع ذلك إلى أن بقاء نسوانهم قعيدات الخيام المباركة طوال الوقت بـ (لا شُغْلَة ولا مَشْغَلَة) يدفعهن إلى التفكير في ذلك والعلاج هو خَتْنُهَن وخِتَانُهن.

وليس للمرأة أن تسلِّم على أجنبي لأن مجرد اللمس من الطرفين يؤجِّج الرغبة في كليهما بل يهيّج الشهوة لأنه مجتمع ليس فيه نشاطات سوى النزوع إلى ملامسة الآخر ولذا فإن هذا الأمر استنزف مساحة وسيعة من الإسْطِير.

وحتى الآن بعض بني يعْرُب عندما يسلم على المرأة الأجنبية فإنه يضع منديلاً على يمينه قبل التسليم!!! وإِثْر عدد محدود من الأَيمان تغادر الزوجة بيتها الذي ظلت فيه سنين طويلة غير مأسوف عليها أما السيد البعل فيظل فيه بل في اليوم عينه ينكح أخرى.

إذا كرهت امرأة زوجها وطلبت مفارقته ورضي بذلك فعليها أن تردّ إليه ما أعطاها من مهر وتوابعه وربما زيادة وهي بذلك إخْتَلَعَت وبداهة تبرئه من حقوقها كافة.

وقد شبّهوا هذا الخُلْع بفداء الأسير أي ما يدفعه ليُفَكّ من الأسر مما يؤكد أن المبعولة (الزوجة) عانية (مأسورة) لدى بعلها. وملعونة محرومة المرأة التي تطلب فراق زوجها من غير بأس وبلا سبب قاهر أو ضرورة ملجئة أو عذر حازب أما صاحب السيادة البعل فله أن يطلق ولا أحد يسأله لم؟ وعلى المرأة المفصولة فصلا تعسفياً من مؤسسة الزوجية التي ربما تكون قد أفنت فيها زهرة عمرها عليها أن تَنْتَظِر شهوراً حتى تنكح غيره لماذا؟ لاستبراء رحمها الذي ربما عَلِقَ شيئاً ـ كيلا تختلط الأنساب ذات الشأن الجلَل في ذياك المجتمع البدوي البدائي ـ أما الزوج فيمكنه أن يتزوج في الليلة نفسها باستثناء حالة واحدة شاذة فريدة وإذا كان صاحب ثِنْتَيْن ويميل لإحداهما ويفرِك الأخرى فيكفي العدل الظاهري أي في ليلة المحبوبة يقبل عليها أما المكروهة المنشوءة فيعطيها ظهره وهكذا

يكون قد عدل في القسمة وعمل ما عليه!!! أليس هو البعل السيد المالك؟.

إذا مات الزوج فإن على الأسيرة العانية أي الزوجة أن تمكث مدة محددة حتى تتزوج، وأكثر من ذلك فحتم عليها ألا تخرج من بيتها ليلاً إلا لشأن ضروري ضرورة قاهرة وتتجنب الزينة بل ومسّ الطيب ولو مسّاً خفيفاً أما صاحب البِعَالة فإن من حقه أن ينكح أخرى فوراً إلا في حالة يتمية فاذّة.

وملكية الزوج لزوجته ـ في الإِسْطَار العربي ـ مسألة لا ينتطح فيها عنزان كما يقول مثلهم البليغ المشتق من بيئتهم المُعْجِبَة ومن الأدلة عليه:

أن ليس للزوجة أن تُرْضِع غير ولدها إلا بإذن زوجها ـ لأن لبنها فرع منها والذي يملك الأصل بداهة يملك الفرع ـ كما أنه ليس من حقها أن تسافر خارج البلدة إلا بإذن زوجها حتى ولو مع والدها فإذا فعلت فإن هذا الوالد يُعزَّر (يعاقب) وتُعَزّر الزوجة إن كانت تستطيع التخلف أما إذا خافت سطوة أبيها ولم يسعها إلا الإنصياع لأمره فلا تعزير عليها.

ولكن كيف يُعَزّر الأب إذا اصطحب ابنته معه في سفره؟.

الجواب أن هذه الزوجة انتقلت ملكيتها إلى زوجها فور عقد النكاح، واصطحاب الوالد لها بغير إذن زوجها فيه تعدٍ على هذه الملكية والمتعدي يُعَزَّر إذا تزوج فوجدها غير صالحة لتمتيعه كأن تكون صغيرة فلا لنفقة لها عليه لماذا؟

لأن النفقة تتبع الانتفاع ـ وما دام لا إنتفاع فلا نفقة ـ أي الانتفاع الرئيسي من المرأة هو تقديم المتعة ـ وتُجبَر الزوجة وتُكرَه

وتُقْسَر على تمكين زوجها من الاستمتاع ببدنها بجميع أنواعه المباحة مقبلة مدبرة مستلقية الخ...

وكيف لا تُكْره على ذلك وهي أسيرته ومملوكته ألا يسمى عقد الزواج حتى الآن في جزيرتهم المباركة المُلْكة (بضم الميم) وعروة الزواج تبلغ ذروة الهوان في الإِسْطَار المخيّم إذ البعل يمكنه أن يوكّل غيره في القيام بفصمها كما يوكّله في فسخ عقد شراء عتبة (دار) وكيف لا وسبق أن قلنا إن الأعاريب يسمون الزوجة: عتبة ويتلاعب اليعْرُبي بأيمان الطلاق ولم لا؟ أليس هو السيد، فأحدهم يحلف على زوجه الحامل: أنت طالق طلقة واحدة إنْ ولدتِ ذكراً أما إنْ ولدتِ أنثى فأنت طالق مرتين فتلد توأماً ذكراً وأنثى فيختلف سدنة الإِسْطِيْر: هل وقعت الطلقات الثلاث فتَبِيْن منه ـ أم يُكْتَفَى بالحد الأعلى أي بالطلقتين أي كما يقال في القانون الجنائي (الجزائي) تطبق العقوبة الأشد ولم يفكر أحد منهم (سدنة الإِسْطار المخيِّم) أن هذا عبث لا يليق بأقدس علاقة لماذا؟ لأن في لا شعورهم تقبع المرأة/الناقة والمرأة/ الحِجْر فكما أنه حر في ناقته وفرسته فهو كذلك بالنسبة لامرأته أليس هو المالك لها جميعها!! وحتى لا يسأم الرجل وهو يقطع آصرة الزوجية فقد هيأ له الإِسْطِيْر ثلاثة أنواع يختار منها ما يشاء وما يلائم هواه ويتفق مع مزاجه... مراعاة لمكانة صاحب البِعَالة وإذا طلق البعل أسيرته وله منها أطفال فلا حضانة لها عليهم إلا إذا تفرغت لهم فإذا تزوجت فلا حضانة لها أي أنها تختار أَمَرّ الأمرين: تماماً كالناقة إذا باعها صاحبها فلا يتبعها فصيلها القاعدة نفسها، وتفسير ذلك أن المرأة/ الناقة مترَسِّبة في أعماق العقل الباطن عندهم...

تُطْرَح عدة تعليلات لهذه القواعد أما العلة الحقيقية فلا يجرؤ أحد أن يقترب منها...

نرى في الإسطار المخيّم تشديداً لافتاً للنظر على ضرورة ستر الساقين حتى أنهما بلغا حد العورة في ذلك مع أنهما من الأعضاء الأطراف وهناك من الأعضاء الأطراف ما لم يحدث بالنسبة له هذا التشديد ولا نُصَيِّفُه مثل الذراعين والبعض الآخر منها (الأعضاء الأطراف) لا حرج من ظهوره مثل القدمين والبعض الثالث مباح ظهوره مثل اليدين فلماذا حظي الساقان بذلك التشديد؟ هنا تبرز أهمية عملية الحفْر اللغوي والأنثروبولوجي والتاريخي الخ... التي ننادي بها لتفسير قواعد الأسطار تفسيراً عقلانياً صحيحاً... فقد رأينا في الفصول السوابق من هذه الحفرية أن الإعرابي كان (ولا زال) يعتبر الساقين الممتلئين الخَدَلَّجين شارة موثقة وعلامة مؤكدة على أن المَرَة التي تملكهما تهب متعة مضاعفة ومن هنا ينطلق التشديد على سترهما وتغطيتهما، ثم ننتهي من ذلك إلى ما سبق أن طرحناه أن أحكام الإِسْطِيْر يتعين بطريق الحتم واللزوم ربطها بموجبات بيئتها وإكراهات مجتمعها ولهذا فإن القول يالسرمدية والصلاحية لكل زمان ومكان أمور تحتاج لتمحيص علمي جاد تُسْتَخْدم فيه كل أدوات البحث والتدقيق العتيقة والحديثة وما بعد الحديثة إنْ لزم الأمر ولا يُكتَفى فيه بالأساليب الخطابية والإنشائية التي وإن دغدغت العواطف واستثارت الوجدان فإن مردودها العلمي لا يساوي شيئاً.

تلك بعض الأمثلة عن موقف الاسطير من المرأة إذا نقَّبت عنها وجدت أن لها جذوراً غائرة عميقة في نفسية اليعْرُبي كما أفصحت عنها لغته أو لسانه الذي رصدته لنا المعاجم والقواميس فعندما تُفلِّي تلك القواعد تجد أنها ضاربة في الغور بمعنى أنك لو سلطت عليها أشعة كاشفة كتلك التي يسلطها الباحثون على الأشياء التي يبحثونها ليعرفوا كنهها لبرزت لك من الأعماق

التقاليد العتيقة والمفاهيم القديمة التي سطرتها لنا المعاجم والقواميس وكتب المفردات من كلمات وتعبيرات وتركيبات والتي رسمت لنا بانوراما نابضة بالحياة عن ذلك المجتمع الذي تداول تلك اللغة (اللسان) ولاستبان لك أن الإِسْطِيْر المخيّم رسّخ تلك الصورة بتقْنِينها وتقْعِيْدها، فبعد أن كانت تقاليد وأعرافاً غدت كليّات وأحكاماً فقصور عقلية المرأة وعدم الاعتماد على روايتها المنفردة مرجعه إلى أنها (المرأة) وقت التخاطب باللغة ووصفها وتسميتها بالأوصاف والأسماء التي ذكرناها كانت صلتها بالعالم الخارجي مقطوعة ما خلا مضارب القبيلة ومثلها من الحتم اللازم أن تُصاب بضيق الأفق وضمور التفكير وضحالة الذاكرة ومن كانت على هذه الحالة يُشَكّ في روايتها لما تراه ولا تُسْتَند لها عُمالة ولا تُكَلّف بوظيفة، ولذا كان اليعاريب منطقيين ومتسقين مع أنفسهم عندما نفوا عن المرأة تفنيد الرأي لماذا؟ لأنها لا رأي لها من البداية منذ أن كانت شابة فنَصَف فصاحبة سُؤْرة (بقية من شباب) في كل هذه الأدوار هي عديمة الرأي فكيف يُقال عنها إذا كبرت وشاخت أنها مُفَنَّدَة الرأي لأن فاقد الشيء لا يعطيه والأصح أن يقول إنها خَرِفَت فإذا جاء الإِسْطَار ووصمها بالقصور والنقص والهُزال في الملَكات العقلية بعامة فهذا هو الطبيعي بل والبديهي وهذا هو ما كان يُتوقع منه وعندما يُقعِّد (الإِسْطِيْر) ضرورة أن تسبغ المرأة على نفسها ثياباً فضفاضة تسترها ولا تَصِف ولا تشِفّ ولا تظهر سوى عينيها أو على أحسن الفروض وجهها وكفيها يتوجب علينا لفهم ذلك استحصار صورة المَرَة في مِخْيال العَربَة الجَسِيمة اللَّحِيمة العجزْاء الثِقَال الرَدَاحِ الثَدْيَاء الخ... فمثل هذه يجب سترها وستر أعضائها الغليظة المَمْكُورة المليئة النافِجَة عن أعين الغرباء لأن هذه الكنوز الثمينة ملك خالص للبعل لا يشاركه فيها أحد حتى ولو

بمجرد النظرة المُمعنة أو الخاطِفة كما أن هذه المرأة بجسمها البضّ التَمِيْم الجَرِيم العَبْل الرَدَاح المُتربِّل إذا ظهرت برداء شَفِيْف أو حَبِيْك فسوف تظهر تقسيماته وتبدو تفصيلاته فتتحرك الشهوات وتثور الغرائز ويستيقظ الشَبَق... خاصة في مجتمع بدائي يحتل فيه النزوع إلى الآخر حيزاً وسيعاً... وهو أمر غير مستحب... والمقطوع به أنه لو كانت النسوان لدى الأعراب رشيقات خفيفات مَضْوَاءاتَ رَسْحَاوَات رَصْعَاوات كميثلاتهن في البلدان المتحضرة لما احتاج الإِسْطَار إلى هذا الكم الهائل من الحظْر والمنْع والتَقَيّد والتَشْدِيْد بشأن لباس المرأة وزينتها وطِيْبِها (عِطْرها) وغطاء رأسها الخ...

ألا تقدم هذه الفقرة برهاناً يضاف إلى ما سبق أن الحفَر اللُغوي يساعد على فهم الإِسْطِيْر الفهم الأمثل وعلى تفسير كلياته التفسير الأصح وأن التغاضي عن هذه الحقيقة وغيرها من الحقائق الموضوعية لن يزيد الأمور إلا خَطَلا وَربْكَا.

بقاء الأعرابية جَلْس الخيمة قصيرة الخباء مخدَّرَة خَبأَة مستترة كما ترسمها المعاجم جعل الإِسْطَار يرى أن هذه هي الصورة المثالية لكل امرأة في سائر البيئات وعلى اختلاف العصور وكرّ الدهور ومن ثم جاءت قواعده تدفع إلى محاكاة هذا النموذج الأمثل من حَثّ على الإِسْتِكْنَان في عُقْر الدار إلى الكلام من وراء حجاب الخ... ولو أن اللغة حملت إلينا صورة مغايرة للمرأة مثل صورتها في المجتمعات الزراعية فيها الخروج للعمل وبالتالي الاختلاط مع الرجال ومشاركتهم في هموم الشغل وتدبير المعاش ورعاية حيوانات الزراعة المختلفة والطيور.. وتربية الأولاد لتباينت التعليمات واختلفت الممنوعات والمُبَاحات ولجأت على وجه مختلف ذات

سَخْنَاء مغايرة كما أن بقاء العربية طوال الوقت رهينة الخيمة جعل هاجس التلاقي والتماسّ لديها متوهجاً مُتَلَعِّجاً ولا دواء لهذا الداء اللعين أنجع من إبعادها عن الطرف المُوجب وصرفها عنه أو صرفه عنها وأدّى الإِسْطِيْر دوره في هذا المجال ببراعة منقطعة النظير فنقرأ فيه عن حظر الخُلوة بأجنبي ووجوب التحدث معه خلف ساتر غليظ ومنع استقبال أي شخص سوى الأب والإخوة مهما كانت درجة القرابة... والذي أمدنا بفقه هذه الكليات الصَوَارِم هو الحَفْر اللُغوي فعندما طالعنا في القواميس أن المرأة في مجتمعهم جَلْس، قَعِيْدَة، مخدّرة، مخبوءة، مستورة، مصونة أدركنا على الفور العلة في حض الإِسْطِيْر لها على البقاء على حالها وهو القرار في أعمق أغوار الدار وفي منعها من الخلوة بأجنبي وعدم استقباله وإن كان ولا بد فمحادثته من خلف حجاب. في ذلك المجتمع كان عمل الرجال محدوداً للغاية بالقياس إلى أعمالهم في المجتمعات المتحضرة وعمل المرأة شبه معدوم ومن ثم جاء الإِسْطَارُ ينفّر من عمل المرأة (خارج الخِبَاء والخِيَم) ويبشعه لسبب في غاية البساطة أنك عندما تتصفح القواميس والمعاجم لا تجد كلمات أو تراكيب عن عمل المرأة إلاّ العُمالات الساذجة البسيطة مثل الظِئْر (المُرضِعَة) والمُقيّنة (التي تزيّن النسوان وخاصة العرائس) والخَافِضَة (الخَاتِنَة أو مُقَطّعة البُظُور) والداية (المولدة) والراقية (التي تَرْقِي) وفضلاً عن ذلك فإن اللاتي كن يقيم بها إما الجواري أو الحرافيش والزعانف وخلو المعاجم والقواميس من وظائف سواها يدلّ على أن الأعاريب لم يعرفوا للنسوان غيرها وبالتالي فإنه من البديهي لا من الطبيعي فقط أن يجيء الإِسْطِيْر وهو عَرّي منها لأن فاقد الشيء لا يعطيه وهو قد خاطب من خاطبهم عَبْر اللغة التي افتقرت إليها فكيف يُتَصَور عقلاً أن ينص عليها؟ وما ينطبق على العمل ينطبق على تعليم المرأة

فإذا كانت الأمية ضاربة بأطنابها على الرجال أنفسهم فكيف يتناول لسانهم أمراً لا وجود له إذ كيف يتحدثون عن تعليم المرأة والرجل ذاته أميّ أباً عن جَد بل عن سابع جَدّ وبالمثل وبالقدر نفسه فإن الإِسْطير بطريق الحتم واللزوم من المستحيل أن يلتفت إليه وتحت إكراهات لا محل لذكرها اضطر (الإِسْطير) إلى السماح بالقدْر الضروري لتعليم المرأة مع التأكد على أن المهمة الرئيسة لها هو عملها في الدار بضروبه كافة ويسمونه تزييفاً وتمويهاً (مملكة المرأة) عندما قعّد الإِسْطير قاعدة ضرب المرأة أصاب مرازبته وخاصة المُحدَثِيْن منهم رَبْك شديد وانتابهم حَيْرة دفينة ولحقتهم لَخْمَة غامرة (في المعجم الوسيط: ال لَخْمَة ثِقَل النفس.اهـ.) وجاءت تبريراتهم لها خليطاً من المماحكات اللفظية والشطارة الفكرية (الشاطر الخبيث الفاجر.اهـ) والألاعيب العقلية تذكرك بِمحاولات تربيع الدائرة وأبرز مثل ذكره على ذلك ما قام به الأستاذ عباس محمود العقاد في إحدى عبقرياته في هذه الخصوصية (ضرب النسوان) مع أن الأمر أهون من ذلك بكثير فقد رأينا في هذه الحفرية في باب المرأة/الفرسة أن الحِجْر (أنثى الفرس) في بعض الأحيان: تَنْشِص على صاحبها وتأنف وتُفَرْفِر وتعنك ويصدر منها نَزَق وخَطَل وهي أفعال تدلّ على الحُرُون... فماذا يفعل؟ في البداية يسوسها بجميع أنواع السياسة فإذا لم تُجْدِ معها ضربها ضرباً خفيفاً على جاعريتها ولا يتعدّى ذلك ولما كانت الفرسة قابعة في مِخْيال العُرْبان فإن امرأته إذا أَنشَزَت عليه راضها بكل ضروب المراوضة فإذا لم تحقق الفائدة المرجوة واستمرت المرأة في نشوزها وفي مقدم صور النشوز حرمانه من الطقْس اليومي المعتاد وهو قُرْبانها عند ذلك يُستَثَار غضبه فيضربها كما يضرب الفُرَيْسَة النَاشِص وهو يتجنب الوجه الذي فيه الفم الذي يَرْشُف رُضَابه

والشفتين اللتين يمُصّهما الخ... ونكرر ما سبق أن سطرناه: هو لا يُسأل بأي نوع من أنواع المسألة: فيم ضرب مرته وكيف يُسأل وهو: المالك السيد البعل!!! وهذا كله مسطور في اللغة التي حملتها المعاجم وإن لم يكن بذات الترتيب المعروض هنا وقد تسربت إلى الإِسْطَار الناطق بها وتسللت إليه وتحولت إلى قاعدة ولا يقدح في وصفها قاعدة أو كلية أو عمومية أنها جوازية وليست إلزامية لأن ما يحمله الإِسْطِير بين دفتيه يكتسب تلك الصفات حتى ولو كانت جوازية لأن جوازيتها كامنة خامدة فإذا تهيأت لها الظروف باينت كُمونها وفارقت خُمودها ولزم تطبيقها من قِبَل من يتمسك بها ولا تثريب عليه لأنه أثبت أنه من موالي الإِسْطَار ومحاسبيه وهذه رتبة عالية ودرجة رفيعة بل شرف مُنِيف وهكذا نقدم دليلاً وراء آخر على أن الحَفْر اللُغوي يطرح التأويل السديد لكثير مما قد يبدو مُلْغِزاً أو مُشْكِلاً أو مُتَشابِهاً خاصة في نظر المحَدثِيْن من السَدَنَة فبدلاً من التلاعب بالألفاظ واللجوء إلى حَيِل الحُواة وخِفَة يد السَحَرة فعليهم بالأصول اللُغوية والجذور اللسانية وهي أيسر من أساليبهم التي تَسْتدعي الشَفَقَة ولا تقدم الحلّ الصحيح.

في الفصل الخاص بالحركة العنيفة والفعل الجَفْو أو الجافي قرأنا كماً وفيراً من الأسماء والأفعال والصفات التي أطلقها العُرْبان عليه وقلنا إنها تدلّ على أنه (الفعل الجافي) كان له حيز متميز في حياتهم وأنه جزء هام من معيشتهم بل ركن ركين فيها وقدمنا الأسباب المقنعة ونضيف أنه بإعادة النظر في تلك الألفاظ يتبين أنهم (العربان) كانوا يقومون به (الفعل الجافي) بطرائق متعددة وكيفيات مختلفة وهيئات متنوعة وسرعات متدرجة وهذا أمر بديهي لأنه ما دام (الفعل الجافي) هو المتنفس الوحيد لتفريغ الطاقة

وشغلهم الشاغل عندما يعودون إلي خيامهم المباركة ويؤوبون إلى أخبيتهم الميمونة فإنهم يفننون في أدائه ويُبْدِعُون في إنجازه ينوعون في كيفية القيام به. والإِسْطَار كما كررنا وصل إلى من خوطبوا به عَبْر ذات اللسان الذي يحمل هذه التوصيفات الكثيرة التي تعد بالألوف لهذا الفعل وهيآته وأشكاله... ومن المحال أن ينسلخ الإِسْطِيْر عن اللسان (حامله) فينزع عن الفعل أهم سماته وأبرز علاماته وأوضح قسماته ونعني التعددية والتنوعية ومن ثم فقد جاء (الإِسْطِيْر) متسقاً مع مصدره متوافقاً من منبعه متناغماً مع أُسِّه عندما قرر قاعدة حق الرجل في التلذذ بِمَرَته في أي وضع: مقبلة، مستلقية، مدبرة، جاثية، باركة، مُقْعِيَة، مُقرفِصة، مُفَرْشِحَة، وسَنَانَة الخ... وفي أي وقت يشاء وفي أي مكان يختاره وإذا رفضت أو عارضت إن بالنسبة للوضع أي الكيفية أو الزمان أو المكان فله حق إجبارها حتى تمتثل وتنصاع وتخضع فالذي يردد النظر في هذه الكلية العامة لأنها تشمل كل المُخَاطَبات بها بلا تمييز ويحيك صدره منها شيء فعليه أن يتتبع خيوطها فسوف يجد أنها تنتهي به إلى اللسان أو اللغة ـ فهي التي حملت بواكيرها الأولى ومنها انتقلت إلى الإِسْطِيْر الذي لا معدّى له عن حملها ثم تقنيتها وتشريعها ـ وهذا مِدْمَاك نضيفه إلى المداميك السوابق التي ندعّم بها دعوانا إلى أننا لن نفقه الإِسْطار حق الفقه إلا بعمل حفريات متنوعة وعلى رأسها الحَفَرِيَّات اللُغوية ولعل هذه الحفرية الرائدة تفتح الطريق أمام حفريات أخرى في شتى المجالات وكما قلنا في بحوث لنا سالفة:

إن الدراسات الرائدة من الحتم اللازم أن يشوبها قدر غير قليل من الخطأ والقصور بيد أن شرف الريادة يكفيها إذ هو أعلى وسام تفوز به.

المصادر والمراجع

أولاً: المعاجم والقواميس وكتب المفردات

أ ـ التراثية

١ ـ **القاموس المحيط** (للفيروزآبادي).

٢ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس** (للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي).

٣ ـ **تهذيب اللغة** لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري.

٤ ـ **المصباح المنير** (في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقري الفومي).

٥ ـ **مختار الصحاح** (للرازي).

٦ ـ **نظام الغريب في اللغة** (لعيسى بن إبراهيم الربعي الوحاظي الحِمْيَريّ).

٧ ـ **أساس البلاغة** (لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري).

٨ ـ **إصلاح المنطق** (لابن السِكّيت).
شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون الطبعة الرابعة ـ ١٩٨٧ ـ دار المعارف بمصر.

٩ ـ **تهذيب إصلاح المنطق** (لأبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزيّ).

تحقيق: د. فوزي عبد العزيز مسعود طقبعة ١٩٩١ ـ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

١٠ ـ **شجر الدرّ** (لأبي الطيب عبد الواحد علي اللغوي).

تحقيق محمد عبد الجواد الطبعة الثالثة ـ ١٩٨٥ ـ دار المعارف بمصر.

١١ ـ **الفروق** (لأبي هلال العسكري) تحقيق د. أحمد سليم الحِمصيّ الطبعة الأولى ١٩٩٤م/١٤١٥هـ جروس برس ـ طرابلس، لبنان.

١٢ ـ **الممدود والمقصور** (لأبي الطيب الوشّاء).

تحقيق د. رمضان عبد التواب ـ ١٩٧٩م ـ مكتبة الخان جي بمصر.

١٣ ـ **شرح الفصيح في اللغة** (لأبي منصور ابن الجبّان).

تحقيق د. عبد الجبار جعفر القزاز طبعة ١٩٩١ ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد

١٤ ـ **ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه** شرح مقصورة ابن دُرَيْد).

تحقيق د. محمود جاسم محمد الدرويش دون تاريخ نشر ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد.

١٥ ـ **مختصر العَيْن** (لأبي بكر الزبيدي الإشبيلي).

تحقيق د. صلاح الدين قهدي الفرطوسي طبعة ١٩٩١ ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد.

١٦ ـ **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** (لأبي منصور الثعالبي).

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم سلسلة ذخائر العرب رقم (٥٧) ـ طبعة ١٩٨٥ دار المعارف بمصر.

١٧ ـ **التعريفات** (للجرجاني).

عدة طبعات ـ دور نشر مختلفة.

١٨ ـ **المفردات في غريب القرآن** (للراغب الأصفهاني).
تحقيق محمد سيد كيلاني طبعة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١ ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

ب ـ الحديثة

١٩ ـ **المختار من صحاح اللغة** (لمحمد محيى الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي).
الطبعة الثانية ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م المكتبة التجارية الكبرى ـ مصطفى محمد بمصر.

٢٠ ـ **المعجم الكبير**.

٢١ ـ **المعجم الوسيط**.

٢٢ ـ **المعجم الوجيز**.

والثلاثة: لمجمع اللغة العربية بمصر.

ثانياً: المصادر والمراجع

حسب ورودها في المتن:

١ ـ **في الشعر الجاهلي**.
(طه حسين) الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م ـ مطبعة دار الكتب المصرية.

٢ ـ **شاعر الغزل** (عباس محمود العقاد).
العدد الثاني من سلسلة (اقرأ) ١٩٤٥م د. أعيد طبعه في ١٥ تموز/ يوليو ١٩٥٥ ـ دار المعارف بمصر.

٣ ـ **قاموس علم الاجتماع** (د. محمد عاطف غيث).
الطبعة الأولى ١٩٨٨م ـ دار المعرفة الجامعية ـ الإسكندرية.

ـ **معجم العلوم الاجتماعية** (تصدير ومراجعة د. إبراهيم مدكور).
إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب. الشعبة القومية للتربية والعلوم

والثقافة يونيسكو ـ الطبعة الأولى ١٩٧٥ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥ ـ **اللغة والمجتمع** (د. علي عبد الواحد وافي).
طبعة ١٩٧١م ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

٦ ـ **معجم علم الاجتماع** (تحرير البروفيسور دينكس ميتشيل).
ترجمة ومراجعة د. إحسان محمد الحسن ـ الطبعة الثانية ١٩٨٦ ـ دار الطليعة ـ بيروت.

٧ ـ **الإسلام والحضارة العربية** (محمد كرد علي).
الطبعة الثانية ١٩٨٦ ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ مصر.

٨ ـ **المقدمة** (عبد الرحمان بن محمد بن خلدون).
تحقيق علي عبد الواحد وافي ـ الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م ـ لجنة البيان العربي بمصر.

٩ ـ **المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام** (د. جواد علي).
الطبعة الثانية ـ ١٩٧٧م ـ دار العلم للملايين ـ بيروت.

١٠ ـ **عالم البدو** (إشراف فيدور سييف).
أكاديمية العلوم السوفياتية ـ الطبعة الأولى ١٩٨٦ ـ موسكو.

١١ ـ **التطور اللُغَوي ـ مظاهره وعلله وقوانينه** (د. رمضان عبد التواب).
الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ـ دار الخان جي بمصر.

١٢ ـ **الحصيلة اللُغَوِيّة** (د. أحمد محمد المعتوقي).
الكتاب ٢١٢ من سلسلة **عالم المعرفة** ـ الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م المجلس الوطني للثقافة ـ الكويت.

١٣ ـ **مجتمع يثرب ـ العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين المحمدي والخليفي** (خليل عبد الكريم) الطبعة الأولى ١٩٩٧ ـ دار سينا للنشر ـ مصر ودار الانتشار العربي ـ بيروت.

١٤ ـ **حياة الحيوان الكبرى** (كمال الدين الدميري).

١٥ ـ **دائرة المعارف الإسلامية**

إعداد وتحرير إبراهيم خورشيد وآخرين د. ت. ر. ن. دار الشعب بمصر.

١٦ ـ **كتاب البعير** (موريس برجيس).

الطبعة الأولى ١٩٠٨م ـ جامعة القديس يوسف ـ بيروت.

١٧ ـ **كتاب الخَيْل** (أبو عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنّى التَيْمي).

الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ ـ مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ـ الهند.

١٨ ـ **كتاب الحيوان** (الجاحظ).

طبعة ١٣٢٣هـ/ ـ المطبعة الحميدية المصرية.

١٩ ـ **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات** (زكريا بن محمد بن محمود القزويني).

د. ت. ن دار الشرق العربي ـ بيروت.

٢٠ ـ **حديث الأربعاء** (طه حسين).

طبعة ١٩٩٧م ـ مهرجان القراءة للجميع ـ مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢١ ـ **المختار من كتاب حياة الحيوان الكبرى** (لكمال الدين الدميري).

اختيار محمد الحاذق مراجعة عبد الحميد الدواخلي ـ سلسلة مختارات من تراثنا ـ د. ت. ن. وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ مصر.

٢٢ ـ **دور المرأة في المجتمع المصري القديم** (د. عبد الحليم نور الدين).

الطبعة الأولى ١٩٩٥م ـ المجلس الأعلى للآثار ـ وزارة الثقافة ـ مصر.

٢٣ ـ **المرأة الفرعونية** (كريستيان ديروش نوبلكور).

ترجمة فاطمة عبد الله محمود مراجعة د. محمود ماهر طه.

مشروع الألف كتاب الثاني الكتاب رقم ١٩٣ ـ الطبعة الأولى ١٩٩٥ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٤ ـ **الحياة اليومية في مصر القديمة** (بيير مونتيه).

ترجمة عزيز مرقس منصور طبعة ١٩٩٧ ـ مهرجان القراءة للجميع ـ مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب.